

سلسلة المعارف الإسلامية



# دراسات في

# مناهج التفسير



الإعداد والإخراج الإلكتروني  
www.almaaref.org



# دراسات في مناهج التفسير



الإعداد والإخراج الإلكتروني  
www.almaaref.org

اسم الكتاب : دراسات في مناهج التفسير  
إعداد: مركز نون للتأليف والترجمة  
نشر : جمعيّة المعارف الإسلاميّة النُقاويّة  
الطبعة الأولى - شباط 2012 م - 1433 هـ

بيروت - لبنان - العمورة - الشارع العام  
تلفون: 01/471070 فاكس: 01/476142  
www.almaaref.org  
Email: info@almaaref.org









# الفهرس



٥	الفهرس
٩	المقدمة
١١	الدرس الأول: التفسير والتأويل
١٢	التفسير
١٢	الحاجة إلى التفسير
١٥	التأويل
١٧	الفرق بين التفسير والتأويل
١٨	التأويل عند الطبائبي
١٩	هل يعلم التأويل غير الله؟
٢٢	الدرس الثاني: أصول التفسير
٢٥	تمهيد
٢٦	ما يلاحظه المفسر في عملية التفسير
٢٣	الدرس الثالث: شروط ومؤهلات ومهارات المفسر وآدابه (١)
٣٥	من العلوم والمعارف التي يحتاجها المفسر
٣٦	١. معرفة اللغة العربية وعلومها
٣٨	٢. معرفة بعض ما يختص بعلوم القرآن
٤٠	وجه الحاجة إلى التمييز بين المكي والمدني
٤٥	الدرس الرابع: شروط ومؤهلات ومهارات المفسر وآدابه (٢)
٤٧	تمهيد
٤٧	٢. العلوم التي لها صلة بعلم التفسير
٥٥	الدرس الخامس: المناهج والاتجاهات التفسيرية
٥٧	نشوء وتطور مناهج التفسير

- ٥٩ ..... الفارق بين المناهج والاتجاهات التفسيرية
- ٦١ ..... تقسيم المناهج التفسيرية
- ٦٢ ..... تقسيم الاتجاهات التفسيرية
- ٦٤ ..... ملاحظة حول طرق كتابة التفسير
- ٦٤ ..... آراء المتخصصين في تقسيم المناهج والاتجاهات
- ٦٩ ..... **الدرس السادس: منهج تفسير القرآن بالقرآن (١)**
- ٧١ ..... تمهيد
- ٧١ ..... المراد من تفسير القرآن بالقرآن
- ٧٢ ..... تاريخ منهج تفسير القرآن بالقرآن
- ٧٣ ..... لماذا يجب تفسير القرآن بالقرآن؟
- ٧٦ ..... حجّة ظواهر القرآن
- ٨١ ..... **الدرس السابع: تطبيقات عملية**
- ٨٣ ..... تمهيد
- ٨٣ ..... الطرق الفرعية لمنهج تفسير القرآن بالقرآن
- ٩١ ..... **الدرس الثامن: منهج التفسير الروائي للقرآن الكريم**
- ٩٣ ..... تمهيد
- ٩٣ ..... معنى التفسير الروائي
- ٩٥ ..... الأدوار التاريخية للمنهج الروائي
- ٩٨ ..... مكانة الروايات في التفسير
- ١٠١ ..... **الدرس التاسع: ملاحظات على التفسير الروائي**
- ١٠٣ ..... تمهيد
- ١٠٣ ..... أسباب الوهن في التفسير الروائي
- ١٠٦ ..... ومن أشهر من روى الإسرائيليات:
- ١٠٨ ..... أهم كتب التفسير الروائي
- ١٠٨ ..... نموذج عن أصحاب التفسير بالمأثور
- ١١٢ ..... **الدرس العاشر: التفسير في عهد الصحابة (ابن عباس نموذجاً)**
- ١١٥ ..... تمهيد
- ١١٥ ..... المفسرون من الصحابة
- ١١٦ ..... من أعلم الصحابة بمعاني القرآن
- ١٢١ ..... تفسير ابن عباس
- ١٢٣ ..... **الدرس الحادي عشر: الدساتر الإسرائيلية في تفسير القرآن**
- ١٢٥ ..... الإسرائيليات في قصة داود عَلَيْهِ السَّلَامُ



الكذب على النبي ﷺ	١٢٦
التفسير الصحيح للآيات	١٢٩
<b>الدرس الثاني عشر: منهج التفسير العقلي والاجتهادي للقرآن</b>	
تمهيد	١٣١
المراد من التفسير العقلي الاجتهادي	١٣٣
تاريخ العمل بالمنهج العقلي للتفسير	١٣٣
الاختلاف في معنى التفسير العقلي	١٣٤
أدلة جواز الاعتماد على المنهج العقلي في التفسير	١٣٦
أدلة جواز الاعتماد على المنهج العقلي في التفسير	١٣٨
<b>الدرس الثالث عشر: منهج التفسير بالرأي</b>	
تمهيد	١٤١
المراد من التفسير بالرأي	١٤٣
الجدور التاريخية للتفسير بالرأي	١٤٤
أدلة المخالفين للتفسير بالرأي	١٤٥
أدلة القائلين بجواز التفسير بالرأي	١٤٦
أدلة القائلين بجواز التفسير بالرأي	١٤٧
<b>الدرس الرابع عشر: الطباطبائي وموقفه من منهج التفسير بالرأي</b>	
تمهيد	١٥١
حول تفسير الميزان	١٥٣
مزايا تفسير الميزان	١٥٣
بيان الطباطبائي لمنهج التفسير بالرأي	١٥٤
معنى «الرأي» عند الطباطبائي	١٥٥
التفسير المنهي عنه	١٥٥
<b>الدرس الخامس عشر: منهج التفسير الإشاري (١) منهج العرفاء والمتصوفين</b>	
تمهيد	١٦١
معنى المنهج الإشاري في التفسير	١٦٣
الواقع التاريخي لهذا المنهج	١٦٣
أهم تقاسير الصوفية وأهل العرفان	١٦٤
المؤاخذات على التقاسير الصوفية والعرفانية	١٦٥
المؤاخذات على التقاسير الصوفية والعرفانية	١٦٩
<b>الدرس السادس عشر: أقسام منهج التفسير الإشاري (٢)</b>	
العرفان والتصوف	١٧١
أقسام التفسير الإشاري ونماذجه	١٧٣
الملاحظات الأساس على هذه المناهج	١٧٤
الملاحظات الأساس على هذه المناهج	١٧٦



- ١٧٧..... نماذج من التفسير الباطني الصحيح.
- ١٧٩..... معايير التفسير الإشاري الصحيح .....
- ١٨١..... **الدرس السابع عشر: الاتجاه الكلامي في تفسير القرآن**
- ١٨٣..... نبذة تاريخية.....
- ١٨٤..... الاتجاه الكلامي.....
- ١٨٤..... أشهر المدارس الكلامية في التفسير .....
- ١٩٠..... النماذج .....
- ١٩٣..... **الدرس الثامن عشر: التفسير على ضوء منهج الأشعري**.....
- ١٩٥..... ١. جواز التكليف بما لا يطاق .....
- ١٩٨..... ٢. إمكان رؤية الله .....
- ٢٠١..... **الدرس التاسع عشر: تفسير الآيات على ضوء مدرسة الاعتزال**.....
- ٢٠٣..... ١. الشفاعة حصّ الذنوب أو رفع الدرجة .....
- ٢٠٥..... ٢. هل مرتكب الكبيرة يستحقّ المغفرة أم لا؟ .....
- ٢٠٩..... **الدرس العشرون: الاتجاه الفقهي في تفسير القرآن**.....
- ٢١١..... تمهيد .....
- ٢١١..... نبذة تاريخية .....
- ٢١٢..... خصائص الاتجاه الفقهي.....
- ٢١٣..... الأنواع والمصادر .....
- ٢١٦..... نماذج وموضوعات .....

### نماذج تفسيرية

- ٢٢١..... **الدرس الواحد والعشرون: آية الولاية**.....
- ٢٣٥..... **الدرس الثاني والعشرون: آية الوضوء (١)**.....
- ٢٤٧..... **الدرس الثالث والعشرون: آية الوضوء (٢)**.....
- ٢٦٧..... **الدرس الرابع والعشرون: تفسير موضوعي لبحث: حبّ الدنيا**.....
- ٢٨١..... **الدرس الخامس والعشرون: تفسير موضوعي لبحث: الشفاعة (١)**.....
- ٢٩٩..... **الدرس السادس والعشرون: تفسير موضوعي لبحث: الشفاعة (٢)**.....

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على العالم بالقرآن ورسول  
الرحمان مولانا أبي القاسم محمد بن عبد الله وعلى آله الكرام.  
يعتبر القرآن الكريم المصدر الأول للشريعة الإسلامية الحقة، وهو الكتاب  
الأوحد الذي يعدّ قطعي السند، وواصل إلى الأمة الإسلامية بالتواتر اللفظي،  
وما ذلك إلا لشدة عناية واهتمام المسلمين بكتابهم المقدّس. وقد برز  
شدة الاهتمام بأن دأب علماء الأمة على تفسير كلام الله سبحانه، فتعدّدت  
التفاسير، وتضافرت الاتجاهات، على مرّ القرون، فنلاحظ أطياف التفسير  
تختلف من قرن إلى قرن، ومن عالم إلى آخر، حتّى كاد الداخل المبتدئ في  
علم التفسير يضيع لكثرة اتجاهات ومناهج التفسير الموجودة، بينما يجد  
فيها العالم الخبير أنساً ورونقاً وجمالاً وعزاً لهذا الكتاب، فيجد فيها منهله،  
ويروي فيها عطشه.

من هنا كان هذا الكتاب «دراسات في مناهج التفسير» خطوة متقدّمة في  
مجال معارف الإسلام، يضعه مركز نون للتأليف والترجمة في جمعية المعارف  
الإسلامية الثقافية بين يدي رواد المعرفة والحقيقة، حتّى يتسنى لهم الدخول



في علم التفسير بتؤودة ورفق، ويرشفوا من رحيق القرآن الكريم مختلفاً ألوانه، فإنَّ ظاهره أنيق وباطنه عميق لا تفنى غرائبه، ولا تنقضي عجائبه، وعلى أمل أن يسدَّ هذا السفر القيم فراغاً في المكتبة العلميَّة، ويملاً حاجة طلاب المعرفة. وأن يتقبَّل الله سبحانه منَّا بأحسن القبول، ويعجِّل فرج صاحب العصر والزمان، إنَّه نعم المولى ونعم المأمول.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَاللَّهُ يَهْدِي الْقَوْمَ الصَّالِحِينَ





الدرس الأول

## التفسير والتأويل



أهداف الدرس

- أن يتعرّف الطالب إلى معنى التفسير والتأويل والفرق بينهما
- أن يدرك الحاجة إلى التفسير







## التفسير

**أ. لغة:** التفسير من فَسَّرَ، بمعنى أبان وكشف.

ويقال «فَسَّرَ» للدلالة على التكثر، تنزيلاً لما يعانيه المفسّر من كد الفكر لتحصيل المعاني الدقيقة.

**ب. اصطلاحاً:** هو: إزاحة الإبهام عن اللفظ القرآني المشكل، أي المشكل في إفادة المعنى المقصود، أو الكشف عن الإبهام في الجمل والكلمات القرآنية، وتوضيح مقاصدها وأهدافها.

## الحاجة إلى التفسير

إذا كان القرآن الكريم قد أنزله الله نوراً وهدىً وتبياناً لكل شيء ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ فَدَجَاءَ كُمْ بُرْهَنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾<sup>(١)</sup>، ﴿هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، ﴿هَذَا بَصِيرَةٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، وإذا

(١) سورة النساء، الآية: ١٧٤.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٣٨.

(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٢٠.



كان قد جاء ليكون بنفسه أحسن تفسيراً ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾<sup>(١)</sup>.

فما هي الحاجة إلى علم التفسير؟

يمكن الإجابة عن هذا السؤال بذكر الأسباب التالية:

١- إن القرآن الكريم جاء تشريعاً للأصول والمباني، وأجملَ في البيان إيكالاً إلى تبين النبي ﷺ تفاصيل ما نُزل إليهم.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «إن رسول الله ﷺ نزلت عليه الصلاة ولم يُسمَّ لهم ثلاثاً، ولا أربعاً، حتى كان رسول الله ﷺ هو الذي فسَّر لهم ذلك»<sup>(٢)</sup>.

٢- احتواء القرآن على معانٍ دقيقة ومفاهيم رقيقة، مثل أسرار الخليفة والوجود وصفاته تعالى، وهي فوق مستوى البشرية آنذاك، ليقوم النبي ﷺ بتبيينها وشرح تفاصيلها.

٣- اشتغال القرآن على بيان حوادث غابرة وأمم خالية، جاء ذكرها لأجل العظة والاعتبار إلى جنب عادات جاهلية كانت معاصرة، عارضها وشدّد النكير عليها، مثل نهيه عن دخول البيوت من ظهورها<sup>(٣)</sup>، ومسألة النسيء<sup>(٤)</sup>... فقطعها من جذورها. وكل هذه الأمور جاءت مجملة بحاجة إلى شرح وبيان لا تتم إلا من خلال التفسير بالمأثور.

٤- جاء في القرآن الكريم كلمات عربية غريبة صعبة الفهم على عامة الناس وهي على أفصح وأبلغ وجه، فكانت بحاجة إلى شرح وبيان وتفسير.

(١) سورة الفرقان، الآية: ٣٣.

(٢) الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، تحقيق: علي أكبر الغفاري: ج ١، ص ٢٨٦، دار الكتب الإسلامية، ١٩٨٦م.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٨٩.

(٤) سورة التوبة، الآية: ٢٧.



ولذا قال الراغب في المفردات: فالتفسير إما أن يستعمل في غريب الألفاظ نحو: «البحيرة» و«السائبة» و«الوصيلة» أو في وجيز كلام يبين ويشرح، لقوله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾<sup>(١)</sup> أو في كلام مضمّن بقصة لا يمكن تصوّره إلا بمعرفتها، نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾<sup>(٢)</sup> وقوله: ﴿وَلَيْسَ الرِّبَّانَ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾<sup>(٣)</sup>.

## التأويل

حظي معنى التأويل باهتمام المحققين والمفسرين منذ عهد بعيد، وقيل فيه كلام كثير. وجاءت لفظة التأويل سبع عشرة مرّة في القرآن، إحداها عند تقسيم آيات القرآن إلى مُحْكَمٍ ومُتَشَابِهٍ<sup>(٤)</sup>؛ أي في الآية السابعة من سورة آل عمران، يقول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ ففي هذه الآية يبيّن الله تعالى أنّ من في قلوبهم زيغ يتبعون الآيات المتشابهة طلباً للفتنة ورغبة في تأويل المتشابه.

وهناك موضوعات مهمّة في هذا البحث لا بدّ من التعرّض لها، وهي:

(١) سورة المائدة، الآية: ١٠٢، والبحيرة هي النافقة إذا ولدت عشرة أبطن، شقّوا أذنّها وتركوها، فلا تركب ولا يُحمل عليها، والسائبة: إذا ولدت خمسة أبطن، تسبّب في المرعى، فلا تردّ عن حوض ولا كلاء، والوصيلة: إذا ولدت الشاة توأمين ذكرًا وأنثى، فلا يُذبح الذكر، ويقال وصلت أخاها فيتكونها لأجلها.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٢٧.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٨٩.

(٤) المحكم هو ما لا يحتمل إلا معنى واحد، والمتشابه ما يحتمل وجوهاً متعدّدة، وعرف الشيخ الطوسي المحكم بأنه: ما أنبأ لفظه عن معناه من غير اعتبار أمر ينضم إليه... والمتشابه: ما كان المراد به لا يعرف بظاهره بل يحتاج إلى دليل، وذلك ما كان محتملاً لأمر كثيرة أو أمرين، ولا يجوز أن يكون الجميع مراداً فإنّه من باب المتشابه، وإنما سمّي متشابهاً لاشتباه المراد منه بما ليس بمراد. التبيان، الشيخ الطوسي، ج ١، ص ٩.



## أ- معنى التأويل:

في اللغة التأويل: من الأول، وهو الرجوع إلى حيث المبدأ؛ فتأويل الشيء إرجاعه إلى أصله وحقيقته، فكان تأويل المتشابه توجيه ظاهره إلى حيث مستقر واقعه الأصيل.

والتشابه قد يكون في كلام إذا أوجب ظاهر تعبيره شبهة في نفس السامع، أو كان مثاراً للشبهة.

وقد يكون التشابه في عمل كان ظاهره مريباً، كما في أعمال قام بها صاحب النبي موسى عليه السلام، بحيث لم يستطع النبي موسى عليه السلام الصبر عليها دون استجوابه، والسؤال عن تصرفاته تلك المريبة!

## ب- استعمالات التأويل في القرآن الكريم

جاء استعمال لفظ «التأويل» في القرآن على ثلاثة وجوه:

١. **تأويل المتشابه:** بمعنى توجيهه حيث يصح ويقبله العقل والنقل، إما في متشابه القول، كما في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾<sup>(١)</sup> أو في متشابه الفعل، كما في قوله: ﴿سَأْنِيْتُكَ بِنَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾<sup>(٢)</sup>، ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾<sup>(٣)</sup>.

٢. **تعبير الرؤيا:** وقد جاء متكرراً في سورة يوسف في سبعة مواضع<sup>(٤)</sup>.

قال تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾<sup>(٥)</sup>.

٣. **مال الأمر وعاقبته:** وما ينتهي إليه الأمر في نهاية المطاف، قال تعالى:

(١) سورة آل عمران، الآية: ٧.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٧٨.

(٣) سورة الكهف، الآية: ٨٢.

(٤) الآيات: ٦، ٢١، ٣٦، ٤٤، ٤٥، ١٠٠، ١٠١.

(٥) سورة يوسف، الآية: ٦١.



﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطِ أَسْمَقِمْ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾<sup>(١)</sup>، أي أعود نفعاً وأحسن عاقبة.

#### ٤. المراد الحقيقي والواقعي من الآية: وهو ما يعبر عنه ببطن القرآن، ولا

يعتمد التأويل على ظاهر اللفظ ولا على القرائن اللفظية، ومن هنا كان خطاب النبي يوسف عليه السلام: ﴿هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾<sup>(٢)</sup> فإن تفسير الرؤيا أنه رأى أحد عشر كوكباً ورأى الشمس والقمر كل ذلك رآه ساجداً له، ولكن بعد مرور الزمن والابتلاءات تم تأويل هذه الرؤيا بما لا يظهر من الألفاظ المستعملة في آية الرؤيا، وقد ورد عن رسول الله ﷺ: «ما في القرآن آية إلا ولها ظهر وبطن»، سئل الإمام الباقر عليه السلام عن هذا الحديث فقال: «ظهره تنزيله وبطنه تأويله، منه ما قد مضى ومنه ما لم يكن يجري كما تجري الشمس والقمر»<sup>(٣)</sup>.

### الفرق بين التفسير والتأويل

كان التأويل في استعمال السلف مترادفاً مع التفسير، وقد دأب عليه أبو جعفر الطبري في «جامع البيان». لكنّه في مصطلح المتأخرين جاء متغايراً مع التفسير، فالتفسير هو: رفع الإبهام عن اللفظ المشكل، فمورده: إبهام المعنى بسبب تعقيد حاصل في اللفظ.

وأما التأويل: فهو دفع الشبهة عن المتشابه من الأقوال والأفعال، فمورده حصول شبهة في قول أو عمل، أوجبت خفاء الحقيقة (الهدف الأقصى أو المعنى المراد) فالتأويل إزاحة هذا الخفاء.

17

فالتأويل هو: بيان المراد الحقيقي للآية التي لا تفهم من خلال الألفاظ، والتي تكون بعيدة عن القرائن اللفظية الظاهرة، والتفسير يكون برفع الخفاء

(١) سورة الإسراء، الآية: ٣٥.

(٢) سورة يوسف، الآية: ١٠٠.

(٣) بصائر الدرجات، محمد بن الحسن بن فروخ الصفار، ص ١٩٥، منشورات مكتبة المرعشي النجفي، قم، ١٣٨١هـ.

بالاعتماد على الظاهر من اللفظ والقرائن، بينما التأويل يكون بيان المعنى الحقيقي والواقعي من دون ذلك الاعتماد.

## التأويل عند الطباطبائي

قال العلامة الطباطبائي: «فسر قوم من المفسرين التأويل بالتفسير وهو المراد من الكلام... وقالت طائفة أخرى أن المراد بالتأويل هو المعنى المخالف لظاهر اللفظ... وهذا المعنى هو الشائع عند المتأخرين كما أن المعنى الأول هو الذي كان شائعاً بين قدماء المفسرين...»<sup>(١)</sup> واستنتج العلامة بعد ذكره وتفنيده لكل الآراء، ما يلي:

«إن الحق في تفسير التأويل أنه الحقيقة الواقعية التي تستند إليها البيانات القرآنية من حكم أو موعظة أو حكمة، وأنه موجود لجميع الآيات القرآنية محكمها ومتشابهها، وأنه ليس من قبيل المفاهيم المدلول عليها بالألفاظ، بل هي من الأمور العينية المتعالية من أن يحيط بها شبكات الألفاظ، وإنما قيدها الله تعالى بقيد الألفاظ لتقريبها من أذهاننا بعض التقريب فهي كالأمثال تضرب ليقرب بها المقاصد وتوضح بحسب ما يناسب فهم السامع...، ولم يستعمل القرآن لفظ التأويل... إلا في المعنى الذي ذكرناه»<sup>(٢)</sup>.

ومن الشواهد على هذا الاستخدام لكلمة التأويل ما ورد في قصتي «موسى والخضر» و«يوسف» وما شابه ذلك.

ففي قصة النبي يوسف: ﴿إِذ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي، ج ٣، ص ٤٤ و٤٩، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط ٢، ١٣٩١هـ.

(٢) من، ج ٣، ص ٤٩.

(٣) سورة يوسف، الآية: ٤.



وبعد مضي سنوات طويلة وحوادث كثيرة، جاء تأويل هذه الرؤيا في السورة بالشكل التالي:

﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبْتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلْتُ رَبِّي حَقًّا ﴾ (١).

فما رآه النبي يوسف في الرؤيا يعود إلى سجد أبيه وأمه وإخوته، وهذا التأويل والرجوع من قبيل رجوع المثال إلى الممثل والواقع الخارجي.

### هل يعلم التأويل غير الله؟

يثار السؤال المذكور في ضوء ما ورد في الآية السابعة من سورة آل عمران: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَبِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكُرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (٢).

فقد وقع خلاف مهم حتى في قراءة الآية وتلاوتها، وهو حسب قول البعض أهم اختلاف في القراءات وأعمقه معنى في القرآن كله. ويدور الاختلاف حول الوقف أو عدمه بعد كلمة «الله» في الآية الشريفة: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾.

فالقول بالوقف يعني أن علم التأويل عند الله وحده، وأما القول بالعطف فمعناه أن علم التأويل ليس لله وحده، وإنما الراسخون في العلم لديهم علم بالتأويل أيضاً.

يعتقد العلامة الطباطبائي أن العلم بالتأويل لا يختص بالله تعالى وذلك استناداً إلى أدلة من الآيات والروايات.



(١) سورة يوسف، الآية: ١٠٠.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٧.

## فمن الآيات القرآنية :

﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾<sup>(١)</sup> ولا شبهة في ظهور الآية في أن المطهرين من عباد الله يمسون القرآن الكريم، وهم آل البيت عليهم السلام :  
 ﴿وَمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴿٢﴾﴾<sup>(٢)</sup>.

## ومن الروايات :

عن بريد بن معاوية قال: «قلت للباقر عليه السلام : قول الله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ قال: يعني تأويل القرآن كله إلا الله والراسخون في العلم، فرسول الله صلى الله عليه وآله قد علمه الله جميع ما أنزل عليه من التنزيل والتأويل، وما كان الله منزلاً عليه شيئاً لم يعلمه تأويله، وأوصياؤه من بعده يعلمونه كله، فقال الذين لا يعلمون: ما نقول إذا لم نعلم تأويله؟ فأجابهم الله: ﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾<sup>(٣)</sup>.

وعن الفضيل بن يسار عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ نحن نعلمه»<sup>(٤)</sup>.

وعن أبي بصير عن عبد الله الصادق عليه السلام قال: «نحن الراسخون في العلم، فنحن نعلم تأويله»<sup>(٥)</sup>.

(١) سورة الواقعة، الآيات: ٧٧-٧٩.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣. انظر: تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي، ج ٢، ص ٥٥.

(٣) تفسير العياشي، مصدر سابق، ج ١، ص ٢٩٣، الحديث رقم: ٦٤٦.

(٤) م.ن، الحديث: ٦٤٧.

(٥) م.ن، الحديث ٦٤٨.



## ● خلاص الحرس

.التأويل في اللغة: الأول، وهو الرجوع إلى حيث المبدأ. والتشابه قد يكون في الكلام وقد يكون في العمل.

.التأويل في القرآن الكريم على ثلاثة وجوه: تأويل المتشابه، تعبير الرؤيا، مآل الأمر وعاقبته، والمعنى الرابع المفهوم العام المأخوذ من الآية الواردة بشأن خاص.

.الفرق بين التفسير والتأويل: كان التأويل في استعمال السلف مترادفاً مع التفسير، ولكنه عند المتأخرين يعني المعنى المخالف لظاهر اللفظ.

. عند العلامة الطباطبائي التأويل ليس من قبيل المفاهيم المدلول عليها بالألفاظ بل هي من الأمور المتعالية من أن يحيط بها الألفاظ، فهي كالأمثال تُضرب ليقرب بها المقاصد.

. اختلف المفسرون في أنه هل يعلم التأويل غير الله تعالى، من حيث اختلافهم في علامة الوقف على كلمة الله في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾، ولكن العلامة الطباطبائي استدلل من غير هذه الآية. بغض النظر عن الخلاف في علامة الوقف. بآيات أخرى وروايات، على إمكانية أن يعلم غير الله التأويل، بالإضافة إلى أن هناك دليلاً عقلياً.







الدرس الثاني

## أصول التفسير



أهداف الدرس

- أن يتعرّف الطالب إلى أصول التفسير ومداركه
- أن يميّز بين أقسام أخبار الأحاد









## تمهيد

الظنّ على نحوين، ظنّ معتبر يمكن الاعتماد عليه، وظنّ غير معتبر منهيّ عنه لا يمكن الاعتماد عليه، لذلك لا يجوز أن يُعتمد في تفسير كلام الله تعالى إلا على ما ثبت اعتباره وحجّيته كالظواهر الظنية، فلا يجوز الاعتماد فيه على الظنّ غير الحجّة، ولا على الاستحسان، ولا على غيرهما ممّا لم تثبت حجّيته، كقول المفسّر. قديماً كان أم حديثاً، موافقاً كان أم مخالفاً. وذلك للنهي عن متابعة الظنّ.

فقد ورد الكثير من الآيات والروايات المانعة عن القول بغير علم واتباع الظنّ والافتراء على الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾<sup>(١)</sup> وقال سبحانه: ﴿قُلْ أَللّٰهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللّٰهِ تَفْتَرُونَ﴾<sup>(٢)</sup> ويقول سبحانه: ﴿وَمَا يَنْبَغُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾<sup>(٣)</sup> ومن الروايات: عن رسول الله ﷺ:

(١) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

(٢) سورة يونس، الآية: ٥٩.

(٣) سورة يونس، الآية: ٣٦.



«ما آمن بي من فسر برأيه كلامي»<sup>(١)</sup> وعنه ﷺ: «من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار»<sup>(٢)</sup>.

## ما يلاحظه المفسر في عملية التفسير

وبالجملة: لا محيص عن الاعتماد في ذلك على ما ثبت اعتباره، وعُلمت حجّيته من طريق الشرع، أو من حكم العقل، فإذا لا بدّ للمفسر لاستكشاف مراد الله تبارك وتعالى من ملاحظة الأمور التالية في عملية التفسير:

**أولاً:** اتّباع ظواهر الكتاب، التي يفهمها العارف بالعربية الفصيحة، فإنّ ظواهر الكتاب حجّة.

**ثانياً:** الاستناد إلى ما ثبت عن المعصوم من نبيّ أو إمام في بيان مراد الله تبارك وتعالى.

**ثالثاً:** اتّباع ما حكم به العقل الفطري الصحيح، الذي هو المرجع لإثبات أساس التوحيد، واتّصاف الكتاب بالإعجاز المثبت للرسالة، فإنّه لا ريب في حجّيته.

ولا بدّ من التكلّم في هذه الأمور الثلاثة التي هي أصول التفسير ومداركه.

### ١ - أدلة حجّية ظواهر الكتاب

أ. لا ينبغي الارتياح في أنّ القرآن الكريم إنّما أنزل، وأتى به النبيّ ﷺ ليفهم الناس معانيه، ويتدبّروا آياته، ويجعلوا أعمالهم مطابقة لأوامره ونواهيه.

ومن المعلوم أنّ الشارع المقدّس لم يخترع لنفسه طريقة خاصّة لإفهام

(١) الأمالي، الشيخ الصدوق، ص ٦.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٣٠، ص ٥١٢.



مقاصده، بل خاطب الناس بالطريقة المألوفة المتداولة في فهم المقاصد من طريق الألفاظ والعبارات، وحينئذ فلا محيص عن القول باعتبار ظواهر الكتاب كظواهر سائر الكتب الموضوعة للتفهيم وإرادة المقاصد، كيف وقد حثّ الكتاب بنفسه الناس على التدبّر في آياته، واعترض على عدم التدبّر؟!

ب- إن القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة على النبوة والرسالة، ولو لم تكن العرب عارفة بمعاني القرآن، ولم تكن تفهم مقاصده من ألفاظه وآياته، بل لو كان من قبيل الألفاظ وغير قابل للفهم، لم يكن وجه لاتصافه بالإعجاز.

ج- حديث الثقلين المعروف بين الفريقين، الدالّ على لزوم التمسك بهما، ولا يكفي في ذلك مجرد الاعتقاد بأنه قد نزل من عند الله تعالى، بل للعمل بما فيه، وهذا يقتضي حجية ظواهره.

د- الروايات المتواترة، الدالة على عرض الأخبار على الكتاب، وطرح ما خالف منها.

هـ- الروايات الكثيرة الدالة على استدلال الأئمة عليهم السلام بالكتاب في موارد كثيرة.

## ٢- قول المعصوم

لا إشكال في أنّ قول المعصوم - نبياً كان أو إماماً - حجّة في مقام كشف مراد الله تبارك وتعالى من ألفاظ كتابه العزيز، وآيات قرآنه المجيد، أمّا النبيّ فواضح، وأمّا الإمام فلأنّه أحد الثقلين اللذين أمرنا بالتمسك بهما، والاعتصام بحبلهما، فراراً عن الجهالة، واجتناباً عن الضلالة، فمع ثبوت قوله في مقام التفسير، ووضوح صدوره عنه عليه السلام لا شبهة في لزوم الأخذ به. وذلك مع ثبوت قوله إمّا بالتواتر، أو بالخبر الصحيح المعتبر أو المحضوف بالقرائن القطعية.

وهذه الأحاديث التي وصلتنا تنقسم إلى أقسام متنوعة، ولكن التقسيم الذي يفيدنا هو ما يلي:

**الأحاديث المتواترة:** وهي عبارة عن خبر جماعة (يفيد بنفسه القطع وليس بانضمام القرائن) يستحيل تواطؤهم على الكذب، وفي النتيجة يوجب العلم بمضمون الخبر.

وبعبارة أخرى: هو نقل الروايات لإحدى القضايا بصور متعددة وبطرق مختلفة بحيث يحصل الاطمئنان بعدم كذب مضمونها؛ لأنه من غير الممكن عادة أن يتفق جميع الرواة على الكذب. وتعتبر الأحاديث المتواترة حجة في التفسير؛ لأنها تفيد العلم، فلا بد من الأخذ بها في التفسير والعمل بمضمونها<sup>(١)</sup>.

**أخبار الآحاد:** وهي الروايات التي لم تصل إلى حد التواتر (أي الروايات المنقولة بطريق أو بطريقتين ونحو ذلك)، وتقسّم أخبار الآحاد إلى ثلاثة أقسام:

أ. الخبر الواحد المحض بالقرائن: أي الخبر غير المتواتر والذي يصل عن طريق معتبر ومحض بقرائن وشواهد تفيد الصدق واليقين بصدوره عن المعصوم (كما في بعض خطب نهج البلاغة) أو تكون موافقة لظاهر القرآن، وهذا القسم حجة في التفسير أيضاً.

ب. أخبار الآحاد الضعيفة: وهي الأخبار غير المتواترة وليس لها سند معتبر، ولذلك لا يوجد اطمئنان بصدورها عن المعصوم، وهذا النوع من الأحاديث يرد كثيراً في الروايات التفسيرية، وربما يكون موضوعاً أو من الإسرائيليات، وهذا القسم غير معتبر في التفسير ولا يعتبر حجة.

(١) تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي، ج ١٢، ص ٢٦١.



ملاحظة: حاول بعض المفسرين دراسة هذه الأحاديث من ناحية المتن، والاستفادة منها كشاهد في التفسير، إذا كان هناك ما يدل على صدقها كموافقتها لظواهر القرآن مثلاً لأنّ المبنى عنده هو حجّية الخبر الموثوق وقد يحصل الوثوق من نفس المتن، ومن هؤلاء العلامة الطباطبائي، أمّا السيّد الخوئي فقد ذهب إلى حجّية الأخبار القطعية في التفسير وعدم حجّية الأخبار الضعيفة<sup>(١)</sup> لأنّ المبنى عنده حجّية خبر الثقة.

ج. أخبار الآحاد المعتبرة: أي الأخبار غير المتواترة التي يكون لها طريق معتبر، والتي تفيد الظنّ بالصحة ولا تورث اليقين.

### مكانة خبر الواحد المعتبر في التفسير

ثمّة خلاف بين علماء الشيعة بشأن حجّية واعتبار خبر الواحد، فقد ادّعى الشيخ الطوسي الإجماع على حجّيته وكذلك كثير من المتأخرين، وفي مقابل هذا الرأي هناك من ادّعى الإجماع على عدم حجّية خبر الواحد كالسيّد المرتضى.

أمّا في الوقت الحاضر فإنّ مشهور علماء الإمامية ذهب إلى حجّية خبر الواحد والعمل به في الأحكام الشرعية، ودليلهم الرئيس هو سيرة العقلاء.

أمّا ما نريده هنا فهو: هل أنّ خبر الواحد يكون حجّة في التفسير كما هو الحال في الأحكام الشرعية؟

وهل يجوز التفسير على طبقه أو لا؟ توجد ثلاثة آراء رئيسية:

**الأوّل:** الموافقة على حجّية خبر الواحد في التفسير.



(١) البيان في تفسير القرآن، السيّد الخوئي، ص ٣٩٨. تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي، ج ٢، ص ١٨٤ - ١٨٥.

**الثاني:** عدم الموافقة على حجية خبر الواحد في التفسير.

**الثالث:** التفصيل بين الموافقة عليه في ما إذا كان مفاد الخبر حكماً شرعياً، وعدم الموافقة على حجتيه في غير باب الأحكام الشرعية (كلاعتقادات مثلاً).

ومجمل القول في بيان هذه الآراء وتوضيح المراد هو أن القائلين بحجية الخبر الواحد في التفسير قالوا: إن جميع الأحكام وسنن الشريعة التي تفصل مجملات القرآن، وتفسر هذه الآيات التي وصلتنا عن طريق الخبر الواحد الجامع للشرائط تكون معتبرة، إلا في الخبر المخدوش من حيث السند والمضمون فلا يعتبر حجة في هذه الحالة<sup>(١)</sup>.

### ٣- حكم العقل

لا إشكال في أن حكم العقل القطعي، وإدراكه الجزمي من الأمور التي تعدّ من أصول التفسير، فإذا حكم العقل بخلاف ظاهر الكتاب في مورد لا محيص عن الالتزام به، وعدم الأخذ بذلك الظاهر، ضرورة أن أساس حجية الكتاب، وكونه معجزة كاشفة عن صدق الآتي به، إنما هو العقل الحاكم بكونه معجزة خارقة للعادة البشرية، ولم يؤت، ولن يؤت بمثلها، فإنه الرسول الباطني الذي لا مجال لمخالفة حكمه ووحيه.

ففي الحقيقة يكون حكمه بخلاف الظاهر وإدراكه الجزمي لذلك بمنزلة قرينة متصلة، موجبة للصرف عن المعنى الحقيقي، وانعقاد الظهور في المعنى المجازي.

فمثلاً قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾<sup>(٢)</sup> وإن كان ظهوره الابتدائي

(١) التفسير والمفسرون، محمّد هادي معرفة، ج ٢، ص ٢٢-٢٣.

(٢) سورة الفجر، الآية: ٢٣.



في كون الجائي هو الربّ نفسه، وهو يستلزم الجسميّة الممتنعة في حقّه تعالى، إلا أنّ حكم العقل القطعي باستحالة ذلك - لاستلزام التجسّم للافتقار والاحتياج المنافي لوجوب الوجود، لأنّ المتّصف به غنيّ بالذات - يوجب عدم انعقاد ظهور في هذا المعنى، وهو اتّصاف الربّ بالمجيء.

وهكذا قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾<sup>(١)</sup>، ومثله الآيات الظاهرة على خلاف حكم العقل.



(١) سورة طه، الآية: ٥.



يجب الاعتماد في تفسير القرآن الكريم على ما ثبت اعتباره وحجّيته، ولا يجوز الاعتماد على الظنّ، ولا على الاستحسان.

لا بدّ للمفسّر في استكشافه لمراد الله تعالى في كتابه الكريم من ملاحظة الأمور العامّة في عملية التفسير، والتي تعتبر أصول التفسير للقرآن الكريم وهي:

**أولاً:** اتباع ظواهر الكتاب الكريم، والتي ثبتت حجّيتها من خلال الأمر بالتدبّر، بآيات الله تعالى، وبكون القرآن هو المعجزة الخالدة للنبوّة، وحديث الثقلين، وبالروايات المتواترة الدالّة على عرض الأخبار على الكتاب الكريم.

**ثانياً:** قول المعصوم (النبّي أو الإمام)، وهو حجّة في مقام كشف مراد الله تعالى من ألفاظ كتابه العزيز، وآيات قرآنه المجيد.

اختلف العلماء في حجّية الخبر الواحد والاستدلال به في تفسير القرآن الكريم.

**ثالثاً:** حكم العقل القطعي وهو من أصول التفسير نظراً لإدراكه الجزمي، فإذا حكم العقل بخلاف ظاهر الكتاب في مورد فلا محيص عن الالتزام به.



## الدرس الثالث

# شروط ومؤهلات ومهارات المفسر وآدابه (1)



## أهداف الدرس

- أن يتعرّف الطالب إلى بعض من العلوم والمعارف التي يحتاجها المفسر في اللغة العربية
- أن يتعرّف إلى بعض المعارف المختصة بعلوم القرآن





## من العلوم والمعارف التي يحتاجها المفسر

لا بد للمفسر من شروط ومؤهلات ومهارات ينطلق منها ويعتمد عليها تساعده على القيام بتلك المهمة الجليلة.

فما هي تلك الشروط والمؤهلات والمهارات؟

في هذه المسألة جانبان:

**الأول:** الجانب العلمي والمعرفي: ويتضمن أنواع العلوم الآلية والمعارف التي يجب أن تتوفر في المفسر حتى يكون أهلاً للتفسير.

**الثاني:** الجانب الشخصي النفسي<sup>(1)</sup>: ونقصد به المؤهلات والمهارات الشخصية والمواصفات النفسية التي يجب أن يتمتع بها المفسر.

## الأول: الجانب العلمي والمعرفي

يحتاج المفسر إلى أنواع من العلوم والمعارف الآلية التي تعينه على القيام بمهمة التفسير، وقد ذكرها العلماء في كتبهم تحت أبواب وعناوين متعددة

(1) الجانب الثاني يأتي تفصيله في الدرس اللاحق.

أوصلها بعضهم إلى خمسة عشر علماً<sup>(١)</sup>. وأجزها الراغب الأصفهاني بعشرة. ويمكن لنا إيجاز العلوم والمعارف التي يحتاجها المفسر كما يلي:

## ١- معرفة اللغة العربية وعلومها

ونقصد بها ما يتعلق بها من نحو، وصرف، واشتقاق، وبلاغة، ومعاني مفردات، وهذه من أولى العلوم التي يحتاجها المفسر؛ فإن معرفة اللغة العربية وما يتعلق بها أمر ضروري للمفسر فالقرآن نزل (بلسان عربي مبين). فلا سبيل لبيانه إلا من جهة لسان العرب، لذا لا يجوز لأحد أن يدعي فهماً لكلام الله تعالى فضلاً عن تفسيره ما لم يكن عالماً باللغة العربية وعلومها.

### أ- علم النحو

وهو ضروري للمفسر ومن أهم ما يحتاجه في مقام التفسير، لأن المعنى يتغير ويختلف باختلاف الإعراب؛ أي يتغير بتغير الحركات.

وبعبارة أخرى: فإن المعنى التركيبي للكلمات، وبالتالي معنى الجملة من الآية لا يتضح إلا من خلال معرفة موقع ودور كل كلمة فيها. فمن لا يعرف أن الكلمة في موقع الفاعل أو المفعول، أو الصفة، أو الموصوف، أو المبتدأ، أو الخبر، وما إلى ذلك فليس بمقدوره أن يبين ويحدد معنى ومراد الجملة والآية، فقله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾<sup>(٢)</sup> لا يتضح إلا من خلال معرفة موقع كل كلمة من الآية. فإن لم نعرف موقع (يخشى) و(الله) و(العلماء) ونحدد حركاتها لا يمكن لنا أن نبين معنى الآية ومراد الله منها.

وبناءً عليه فإن قراءة الآية وكلماتها بنصب هاء الجلالة، ورفع همزة

(١) الإتيان في علوم القرآن، السيوطي، ج ١، المقدمة.

(٢) سورة فاطر، الآية: ٢٨.



العلماء يُوَدِّي إلى المعنى والمراد الصحيح، لأنَّ معنى الآية: الذين يخشون الله من عباده هم العلماء دون غيرهم أي حصر خشية الله بعباده العلماء.

ولو عكس فُقرأت بضم هاء الجلالة، ونصب همزة العلماء لفسد المعنى.

### قصة لطيفة

في تحقيق السبب الذي دعا أمير المؤمنين عليه السلام إلى وضع أصول علم النحو وتحديد حدوده وتحقيق السبب الذي دعا أبا الأسود إلى ما رسمه من النحو لأنَّ الناس اختلفوا في المقامين وذكروا في المقام الأول وجوهاً، أحدها ما ذكره ابن الأنباري في خطبة شرح سيبويه قال: إنَّ رسول الله ﷺ سمع يوماً قارئاً يقرأ ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ بجر لام الرسول، فغضب ﷺ وأشار إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام: إنَّ النحو واجل له قاعدة، وامنع من مثل هذا اللحن، فطلب أمير المؤمنين عليه السلام أبا الأسود الدؤلي وعلمه العوامل والروابط وحصر كلام العرب وحصر الحركات الإعرابية والبنائية، وكان أبو الأسود كيساً فطناً ذهنياً، فألف ذلك وإذا أشكل عليه شيء راجع أمير المؤمنين عليه السلام ورتب وركب بعض التراكيب وأتى به إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فاستحسنه وقال نَعَمْ ما نحوت - أي قصدت - فللتفاؤل بلفظ علي عليه السلام سمي هذا العلم نحواً<sup>(١)</sup>.

### ب. علم الصرف والاشتقاق

أما الاشتقاق فهو الذي يبيِّن لنا مادَّة الكلمة وجذرها وأصلها حتَّى نرجع في تبين معناها إلى جذورها، وهذا أمر مهمٌّ جداً لمن أراد الخوض في مجال بيان كلام الله تعالى.

(١) الشيعة وفنون الإسلام، السيّد حسن الصدر، ص ١٥٥.

وأما الصرف «فيه تُعرف الأبنية والصيغ وبه يتضح المبهم من الكلمات»<sup>(١)</sup>.  
وبه يُعرف الماضي من المضارع وكلاهما من الأمر إلى غير ذلك.

### ج- معاني المفردات

وهي من أولى وأهمّ الأمور التي يجب أن يقف عندها المفسّر لآيات الله تعالى فإنّ الآيات تتركّب من عدّة مفردات، ولا يمكن له فهمها وبيانها ما لم يعرف معانيها.

د- علوم البلاغة : وهي، البيان والمعاني والبديع

## ٢ - معرفة بعض ما يختصّ بعلوم القرآن

ومن أهمّها:

### أ. القراءات

ومعرفتها ضرورية للمفسّر لأنّه بها يُرجّح بعض الوجوه المحتملة على بعض. وبسبب اختلاف القراءات يختلف المعنى المراد من الكلمات والآيات القرآنية.

ومثال ذلك اختلاف تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا سَكَّرَتْ أَبْصَرُنَا﴾<sup>(٢)</sup>، فمن قرأ (سُكَّرَتْ) مشدّدة، فإنّما يعني «سُدَّتْ» ومن قرأ (سُكِرَتْ) مخفّفة فإنّه يعني «سُحِرَتْ».

### ب- أسباب النزول

أسباب النزول: جمع سبب، ونقصد به: ما نزلت بسببه آية أو أكثر. وهو عبارة

(١) الإتيان في علوم القرآن، السيوطي، ج ٤، ص ٢١٢.

(٢) سورة الحجر، الآية: ١٥.



عن: واقعة أو أمر حدث في عصر الوحي اقتضى نزول الوحي لأجله وبشأنه، وهذه الأسباب قد تكون مدحاً أو ذمماً لموقف، أو حلاً لمشكلة، أو جواباً لسؤال، أو بياناً لحكم ونحو ذلك.

وفيما يلي مثالان على أهميّة معرفة أسباب النزول:

قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (١).

فمعرفة المراد من هذه الآية المباركة وفهمها فهماً صحيحاً يتوقف على معرفة سبب وظروف نزولها، ومن المتواتر أنها نزلت في غدِير خُم بعدما نزلت الآية المباركة: ﴿يَأْتِيهَا الرِّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (٢)، فجمع رسول الله ﷺ الناس في غدِير خُم عند مفترق طرق، وأعلن عن ولاية أمير المؤمنين ﷺ قائلاً: من كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه، إلى آخر الحديث المعروف... وأخذ المسلمون يُهنئون علياً ﷺ بقولهم: بخٍ بخٍ لك يا عليٌّ أصبحت مولانا ومولى كل مؤمن ومؤمنة.

وفي المقابل إن تجاهل الآخرين لهذا الحدث العظيم الذي كان داعياً وباعثاً لنزول الآيات أدّى إلى تجاخي الحق والخطأ في فهم كلام الله تعالى والعمل بخلاف مراده سبحانه وتعالى من هذه الآية المباركة.

39

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (٣).

فإن فهم الآية المباركة ومعرفة من هم أهل البيت ﷺ المقصودون فيها يتوقف

(١) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.



على معرفة الزمان والمكان والأشخاص والظروف التي نزلت فيها الآية المباركة، وبالوقوف على كل ذلك نفهم الآية فهماً صحيحاً ونقف على المراد الإلهي منها، فنعرف أنّ أهل البيت في الآية المباركة هم: محمد، وعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين عليهم الصلاة والسلام، وليس أي أحد سواهم، كما ادّعى الآخرون حيث وقعوا في سوء الفهم والخطأ الكبير لأنهم تجاهلوا أسباب وظروف نزول الآية المباركة.

### ج- تمييز المكي عن المدني

والمكي من الآيات هو: ما نزل قبل الهجرة من مكة إلى المدينة، أي فترة إقامة النبي محمد ﷺ في مكة المكرمة. سواء نزلت داخل مكة أم خارجها. والمدني من الآيات هو: ما نزل بعد هجرة النبي محمد ﷺ إلى المدينة المنورة، سواء نزلت داخل المدينة أم خارجها.

### وجه الحاجة إلى التمييز بين المكي والمدني

وأما الحاجة إلى التمييز بين المكي والمدني، فلأنه يساعد على جلاء الحقيقة في بيان معنى بعض الآيات، ويرفع الإبهام الذي قد يقع فيه البعض، أثناء تفسيره لبعض الآيات المباركة بسبب عدم تمييزه بين المكي والمدني ومثال ذلك:

تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ الواردة في سورة الشورى وهذه السورة مكية.

والآية المباركة حسب المتواتر نزلت في أهل البيت ﷺ وهم: الإمام عليّ ﷺ والسيدة فاطمة الزهراء ﷺ والإمامان الحسن والحسين ﷺ.

فربما يتوهم البعض ويستبعد نزولها في حق أهل البيت ﷺ، بحجة أنّ

السورة مكية، وأنَّ الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام لم يكونا في مكة.

ولكن هذا التوهم سرعان ما يرتفع إذا عرفنا أنَّ الآية ثلاث وعشرون من سورة الشورى مدنيّة، وليست مكيّة، وأنَّ كون السورة مكيّة لا يعني ضرورة كون جميع آياتها مكيّة، فكم من سورة مكيّة ضمّت بين آياتها مدنية وبالعكس. وسورة الشورى وإن كانت مكيّة إلا أنَّ بعض آياتها مدنية ومنه هذه الآية المباركة.

### د. دلالة السياق

من الأمور التي تُعين المفسّر على تحديد المراد دلالة السياق، فإنّها من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم، فمن أهمله فقدّ واحدة من أهمّ الدلالات ووقع في الخطأ في كثير من الموارد، ولا بدّ من الإشارة إلى أنَّ دلالة السياق إنّما تؤثر في الدلالة على المراد ما لم تقم قرينة أقوى منها على خلافها، كما هو الحال في آية التطهير.

أنظر: إلى قوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾<sup>(١)</sup>. كيف نجد أنَّ سياق الآيات يدلّ على أنَّ المراد من العزيز الكريم (الذليل الحقير). قال تعالى: ﴿خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ٤٧ ثُمَّ صَبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ٤٨﴾. ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾<sup>(٢)</sup>.

ولزوم مراعاة السياق لا يعني أنَّ القرآن الكريم يعتمد الأسلوب عينه الذي تعتمده المؤلفات والكتب البشرية بحيث يأخذ البحث في موضوع محدد فإذا فرغ منه يُبتدئ بموضوع جديد، وذلك بشكل متسلسل. بل نجد أنَّ القرآن الكريم ربما يتعرّض للموضوع الواحد في عدّة موارد وفي كلِّ مورد يأخذ طرفاً من الموضوع، وذلك بحسب الهدف والغاية التي اقتضت التعرّض لهذا الموضوع أو ذاك.

(١) سورة الدخان، الآية: ٤٩.

(٢) سورة الدخان، الآيات: ٤٧.٤٩.

## هـ- معرفة العام والخاص والمطلق والمقيّد

إنّ كثيراً من الآيات المتعرّضة لأحكام الأفعال والموضوعات مجمّلة وردت تفسيرها في السنّة القطعيّة وأحاديث أئمّة أهل البيت عليهم السلام، كالصلاة، والزكاة، والحجّ وغير ذلك ممّا لا محيص للمفسّر من الرجوع إليها في رفع الإجمال وتبيين المبهم، وهو أمر واضح.

وهناك سبب ثان للرجوع إليها، وهو أنّه ورد في القرآن الكريم مطلقات ولكن أريد منها المقيّد، كما ورد عموم أريد منه الخصوص؛ وذلك وفقاً لتشريع القوانين في المجالس التشريعيّة، فإنّهم يذكرون قيودها ومخصّصاتهما في فصل آخر باسم الملحق، وقد حذا القرآن في تشريعه هذا الحذوف جاء في المطلقات والعمومات في القرآن الكريم والمقيّدات والمخصّصات في أخبار النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام.

يقول سبحانه: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾<sup>(١)</sup>. وجاء في السنّة مخصّصها، وأنّه لا ربا بين الزوج والزوجة، والولد والوالد، فقد رخص الإسلام الربا هنا.

قال الإمام الصادق عليه السلام: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ليس بين الرجل وولده ربا، إنّما الربا فيما بينك وبين ما لا تملك»<sup>(٢)</sup>.

وروى زرارة عن أبي جعفر عليه السلام: «ليس بين الرجل وولده، وبينه وبين عبده، ولا بين أهله ربا، إنّما الربا فيما بينك وبين ما لا تملك»<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٧٥.

(٢) الوسائل، الحرّ العاملي، ج ١٢، ص ٤٣٦.

(٣) م.ن.



ولعلّ قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾<sup>(١)</sup>، يوحي إلى هذا المعنى.

### و- معرفة الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه

من الأمور التي لا بدّ للمفسّر من معرفتها الناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه.

فإنّه من لم يعرف من كتاب الله عزّ وجلّ الناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه فليس بعالم بالقرآن ولا هو من أهله، كما جاء في المروي عن الإمام الصادق عليه السلام.

فقد جاء في تفسير النعماني بإسناده إلى إسماعيل بن جابر قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام جعفر بن محمد الصادق يقول: «... اعلموا، رحمكم الله، أنّه من لم يعرف من كتاب الله عزّ وجلّ الناسخ من المنسوخ، والخاصّ من العامّ، والمحكم من المتشابه... فليس بعالم بالقرآن ولا هو من أهله»<sup>(٢)</sup>.

فمثلاً على الناسخ والمنسوخ: في بداية مبعث الرسول ﷺ أمر المسلمون بمداراة أهل الكتاب في قوله تعالى: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾<sup>(٣)</sup>.

وبعد مدّة أنهى هذا الحكم وأمروا بقتالهم في قوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾<sup>(٤)</sup>.



(١) سورة الحشر، الآية: ٧.

(٢) تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي، ج ٢، ص ٨٠.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٠٩.

(٤) سورة التوبة، الآية: ٢٩.

ومثلاً على الآيات المتشابهات : ظاهر قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾<sup>(١)</sup> وقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾<sup>(٢)</sup> يدل على الجسميّة. وأنّ الله تعالى مادّة، ولكن لو أرجعناها إلى قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾<sup>(٣)</sup> علمنا أن الاستواء والمجيء لا يراد منه المعنى المادّي.

## ● خلاصة الدرس

من العلوم والمعارف التي يحتاجها المفسّر :

١. معرفة اللغة العربية وعلومها: أ. علم النحو، ب. علم الصرف والاشتقاق، ج. معاني المفردات، د. علوم البلاغة: وهي: البيان والمعاني والبديع.
٢. معرفة بعض ما يختصّ بعلوم القرآن: أ. القراءات، ب. أسباب النزول، ج. تمييز المكي عن المدني، د. دلالة السياق، هـ. معرفة العامّ والخاصّ والمطلق والمقيّد، و- معرفة الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه.

(١) سورة طه، الآية: ٥.  
 (٢) سورة الفجر، الآية: ٢٢.  
 (٣) سورة الشورى، الآية: ١١.



## الدرس الرابع

# شروط ومؤهلات ومهارات المفسر وأدابه (2)



## أهداف الدرس

- أن يتعرّف الطالب إلى بعضٍ آخر من العلوم والمعارف التي يحتاجها المفسر
- أن يدرك المؤهلات والمهارات الشخصية والمواصفات النفسية التي يجب أن يتمتع بها المفسر.







## تمهيد

قلنا في الدرس السابق أنه لا بد للمفسر من شروط ومؤهلات ومهارات ينطلق منها ويعتمد عليها تساعده على القيام بتلك المهمة الجليلة. وقلنا إن في هذه المسألة جانبين:

**الأول:** الجانب العلمي والمعرفي: ويتضمن أنواع العلوم الآلية والمعارف التي يجب أن تتوفر في المفسر حتى يكون أهلاً للتفسير.

**الثاني:** الجانب الشخصي النفسي: ونقصد به المؤهلات والمهارات الشخصية والموصفات النفسية التي يجب أن يتمتع بها المفسر.

## الجانب الأول: الجانب العلمي والمعرفي

وقد ذكرنا في الدرس السابق بعضاً مما يتعلق بهذا الجانب:

1. معرفة اللغة العربية وعلومها.
2. معرفة بعض ما يختص بعلوم القرآن. وبقي الكلام عن:

## 3. العلوم التي لها صلة بعلم التفسير

ومن العلوم والمعارف التي يحتاجها المفسر -بالإضافة الى ما مرّ في الدرس السابق- عدد من العلوم التي لها صلة بعلم التفسير، منها:





## أ. علم الكلام

وهو يهتم بأصول العقيدة كالتوحيد والعدل، والنبوة، والمعاد، كما يهتم بالمسائل المرتبطة بها، كالجبر والتفويض، والحسن والقبح... وغيرها.

## ب. علم أصول الفقه

علم أصول الفقه ويفيد المفسر في مجال آيات الأحكام والبحوث الفقهية. وصلة علم أصول الفقه بالتفسير باعتبار أن قسماً مهماً من آيات القرآن المباركة تناولت الأحكام الشرعية والمسائل الفقهية، وهي التي جمعت تحت عنوان آيات الأحكام، وهي موضوع لعلم الأصول.

ولقد وضعت أسس هذا العلم اعتماداً على قواعد عقلية، ونقلية، وقد استمد العلماء الكثير من مباحث هذا العلم من علوم مختلفة منها علم التفسير نفسه. وهذا العلم يزود علم التفسير بضوابط وقواعد عامة من شأنها أن تفيد المفسر إذا استعان بها، لا سيما في مجال بيان آيات الأحكام.

## ج. معرفة تاريخ العرب قبل الإسلام وبعده

ومن الأمور التي لها صلة بعلم التفسير، ويستفيد منها المفسر دراسة تاريخ العرب، ونقص دراسة الواقع أو الحال الذي كان يعيشه الناس قبل الإسلام وفي زمن البعثة النبوية الشريفة.

فقد نزل القرآن الكريم في جو مجتمع الجزيرة العربية، ولهذا المجتمع خصوصياته التاريخية والاجتماعية والجغرافية، كما له مميزات وخصائصه التربوية والثقافية والدينية، حيث كان مجتمعاً متعدد الأديان والثقافات.

فقد كانت الجزيرة آنذاك موطن كل من الوثنيين والمشركين إضافة إلى أهل الكتاب من يهود ونصارى.



كما كانت تسود بين أهلها أعراف وقيم وعادات وتقاليد تحكم تصرفاتهم وحركتهم الاجتماعية. فقد بُعث النبي ﷺ في هذه الأمة ولهؤلاء الناس جميعاً.

والقرآن الكريم خاطب كل هؤلاء وجادلهم وأقرّ لهم أموراً واعترض على أخرى، وعنّفهم في أشياء وزجرهم عن أخرى، وعمل على تغيير الواقع القائم وإقامة واقع جديد.

وهو يشير في أكثر من مورد من آياته المباركة إلى تلك الأمة، ويتحدّث عن عاداتها وتقاليدها الجاهلية.

من هنا كانت الصلة الوثيقة بين علم التفسير ومعرفة التاريخ. فإنّ الاطلاع على تاريخ الجزيرة العربية قبل الإسلام وتاريخ عصر رسول الله ﷺ والبعثة المباركة، له الأثر الإيجابي الكبير في عملية بيان وتوضيح مداليل ومقاصد كثير من الآيات المباركة.

فلا يعقل أن يُفسّر أحد قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾<sup>(١)</sup> وهو لا يعرف كيف كانت أحوالهم قبل ذلك، وسبب العداوة بينهم، ونوعها وحدودها، ثمّ كيف رفع الله تعالى العداوة والبغضاء من قلوبهم، وكيف ألّف بينهم، وكيف كانت مظاهر الأخوة، إلى غير ذلك من الأمور التي لا بدّ من الاطلاع عليها حتّى يمكن له فهم واستيعاب ما ترمي إليه الآية المباركة.

49

وكذلك الحال بالنسبة إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُنِيتَ﴾<sup>(٢)</sup> فلا بدّ في تفسيرها من معرفة عاداتهم وتعاملاتهم مع نساءهم وبناتهم، لا سيّما المولودات حديثاً حتّى نقف عند مداليل هذه الآية المباركة.

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

(٢) سورة التكويد، الآيتان: ٩.٨.

وكذلك بالنسبة إلى قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْحَرَمُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ  
وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (١).

وقوله تعالى: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (١) إِذْ لَفِيهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (٢)  
فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِّنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ﴾ (٢).

فكيف يمكن فهم مداليل هذه الآيات، ما لم نطلع على أحوال قريش،  
وتجارتها إلى اليمن في الشتاء، وإلى الشام في الصيف، وكيف كان حالهم قبل  
ذلك وبعدها، وكيف أطعمهم الله من جوع، وآمنهم من خوف، إلى غير ذلك من  
الأمر التي ترتبط بتاريخهم وعاداتهم وأعمالهم.

### الجانب الثاني: الشخصي النفسي

ونقصد به المؤهلات والمهارات الشخصية والمواصفات النفسية التي يجب  
أن يتمتع بها المفسر، ومنها:

١- **صحة وصدق المعتقد:** لا بد للمفسر من أن يملك معتقداً سليماً صحيحاً،  
لا سيما الاعتقاد بولاية أهل البيت عليهم السلام ودورهم ومرجعيتهم الفكرية والدينية،  
لأنهم عليهم السلام الثقل الثاني. بعد القرآن الثقل الأول. الذي أمرنا رسول الله ﷺ  
أن نتمسك به وهم عليهم السلام القرآن الناطق الذي يبين ويفسر الحقائق القرآنية  
على أكمل وجه، «إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا، كتاب الله  
وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض» (٢). فالذي لا يملك  
اعتقاداً سليماً بهذه المسألة، لا يمكن له فهم القرآن فهماً صحيحاً.

(١) سورة المائدة، الآية: ٩٠.

(٢) سورة قريش، الآيات: ١ - ٤.

(٣) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٢، ص ٢٨٥.



## ٢. الإخلاص وصحة المقصد والغاية : ومن صفات المفسر وأدابه

الإخلاص وصحة المقصد فيما يقول، ليلقى التسديد والهداية إلى المراد، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(١)</sup>. وقال سبحانه: ﴿لَا يَمْسُهُ إِلَّا الْمَطْهَرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، فلا يدرك حقائق القرآن الكريم إلا أصحاب القلوب الطاهرة والنفوس الزكية.

قال الطبري: «وإنما يخلص له القصد إذا زهد في الدنيا، لأنه إذا رغب فيها لم يؤمن أن يتوسل به إلى غرض يصدّه عن صواب قصده ويُفسد عليه عمله»<sup>(٣)</sup>.  
فينبغي للمفسر أن يبتغي فضلاً من الله ورضواناً، فلا يتوخى من عملية التفسير متاع الحياة الدنيا، والوصول إلى مقامات دنيوية. ما يؤدي به إلى الانحراف عن القصد الإلهي من التفسير، كما حدث مع وعاظ السلاطين، وبعض المفسرين الذين اعتمدوا منهجاً سياسياً للتفسير، أي كانوا يفسرون القرآن تفسيراً سياسياً منحرفاً.

قال في البرهان: «اعلم أنه لا يحصل للناظر فهم معاني الوحي، ولا يظهر له أسراره وفي قلبه بدعة أو كبر أو هوى أو حبّ للدنيا، أو هو مصرّ على الذنب أو غير محقق بالإيمان أو ضعيف التحقيق»<sup>(٤)</sup>.

وفي هذا المعنى قوله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾<sup>(٥)</sup>.



(١) سورة العنكبوت، الآية: ٦٩.

(٢) سورة الواقعة، الآية: ٧٩.

(٣) أنظر: الإتيان في علوم القرآن، السيوطي، ج ٤، ص ٢٠١.

(٤) البرهان، الزركشي، ج ٢، ص ١٨٠.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ١٤٩.

٣. **الموضوعية**: بمعنى التجرد، أي أن يقرأ الآيات بتجرد فيسير إلى حيث تأخذه الآيات، ولا يأخذ الآيات إلى حيث أفكاره ومعتقداته المسبقة ويلزم القرآن بها، والموضوعية هنا مقابل التحيز.

٤. **قدرة المفسر على الجمع والربط بين الآيات**: أي أن يكون عنده شمولية في فهم القرآن الكريم؛ فالقرآن لا يمكن أخذه وتفسيره كآيات متناثرة، لأنه هناك وحدة موضوعية بين الآيات، وعلى المفسر أن يراعيها، ويربط بينها، وإلا فإنه لا يستطيع تفسير القرآن وفهمه فهماً صحيحاً.

٥. **أن يملك المفسر عقلاً متدبراً واعياً لا عقلاً غافلاً وقارئاً**: هناك نوعان من المفسرين: نوع يقرأ الآية ويقرأ ما يتعلق بها من روايات ويقرأ آراء المفسرين ويجمعها ثم يكتب على ضوء ما رآه، وهذا ما يُسمى «بالكاتب القارئ».

وهناك من يقرأ الآية والروايات وآراء المفسرين ويتدبر ويفكر ويستنتج فيأتي بمعنى جديد وهذه من أهم الصفات التي يجب أن يتمتع بها المفسر الذي يجب أن يملك عقلاً واعياً يمكنه من الاستنتاج والإتيان بالجديد كي لا يراوح مكانه.

يقول الشيخ محمد جواد مغنبة: «فإن أي مفسر لا يأتي بجديد لم يسبقه إليه أحد، ولو بفكرة واحدة في التفسير، هذا يعني أن هذا المفسر لا يملك عقلاً واعياً، وإنما يملك عقلاً قارئاً، يرسم فيه ما يقرأ لغيره، تماماً كما ترسم صورة الشيء في المرآة على ما هو من لون وحجم دون أي تأثير أو تأثير».

ذلك أن معاني القرآن عميقة إلى أبعد الحدود، لا يبلغ أحد نهايتها مهما بلغت مكانته من العلم والفهم وإنما يكشف منها ما تسعفه معارفه ومؤهلاته، فإذا وقف المفسر السابق عند حد من الحدود، ثم جاء اللاحق وترسم خطاه لا يتجاوزها، ولو بخطوة واحدة كان تماماً كالأعمى يتوكأ على عكاز، فإذا فقدها جمد في مكانه<sup>(١)</sup>.



٦. **النظر إلى القرآن باعتباره كتاب هداية وحياة**: من تتبّع آيات القرآن الكريم، وتدبّر بها جيّداً، يجد أنّ وراءها هدفاً جامعاً مشتركاً، وإطاراً عاماً يربط بين كل آياته وسوره، وهو أنّ هذا القرآن يهدف إلى هداية البشرية إلى التي هي أقوم، وأنّه يحمل دعوة إلى الحياة الطيبة يسودها الأمن والعدل والسلام، بحيث يعيش الناس فيها في كلّ سعادة وطمأنينة ورفاه.

قال تعالى: ﴿ **إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمٌ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا** ﴾ (١).

وقال سبحانه: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ** ﴾ (٢).

وعلى هذا الأساس ومن هذا المنطلق ينبغي للمفسّر أن ينطلق في محاولة تفسيره لآي الذكر الحكيم وبيان مصادرها وأهدافها، بحيث يجعل هذا الهدف العام والمشارك حاكماً على كل ما يمكن أن يتوصّل إليه أثناء تفسيره فلا يناقضه أو يهمله.

٧. **الحضور والإحساس والانسجام القلبي والعقلي مع القرآن**: يقول الشيخ محمّد جواد مغنّية: وهنا شيء آخر يحتاج إليه المفسّر، وهو أهمّ وأعظم من كلّ ما ذكره المفسّرون في مقدّمة تفاسيرهم لأنّه الأساس والركيزة الأولى لتفهّم كلامه جلّ وعلا. ولم أر من أشار إليه... وهو أنّ معاني القرآن لا يدركها، ولن يدركها على حقيقتها، ويعرف عظمتها إلا من يحسّها في أعماقه، ويسلمّ معها بقلبه وعقله، ويختلط إيمانه بها بدمه ولحمه، وهنا يكمن السرّ في قول أمير المؤمنين عليه السلام: «ذاك القرآن الصامت وأنا القرآن الناطق» (٣).



(١) سورة الإسراء، الآية: ٩.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٢٤.

(٣) التفسير الكاشف، الشيخ محمّد جواد مغنّية، ج ١، المقدّمة.

- من العلوم التي لها صلة بعلم التفسير علم الكلام فيمكن للمفسر الاستفادة مما توصل إليه هذا العلم الذي يعتمد على محكم القرآن وما جاء صريحاً على لسان أهل الذكر عليه السلام - أثناء تفسيره وبيانه لتلك الآيات، وذلك لكي يكون على بينة مما يجوز على الله تعالى وأنبيائه عليهم السلام وما يستحيل عليهم.

- وهناك علم أصول الفقه ويفيد المفسر في مجال آيات الأحكام والبحوث الفقهية وغير ذلك. وصلته بالتفسير باعتبار أن قسماً مهماً من آيات القرآن المباركة تناولت الأحكام الشرعية والمسائل الفقهية، وهي موضوع لعلم الأصول. وهذا العلم يزود المفسر بضوابط وقواعد عامة من شأنها أن تفيده إذا استعان بها، لا سيما في مجال تفسير آيات الأحكام.

- ومن الأمور التي لها صلة بعلم التفسير، ويستفيد منها المفسر معرفة تاريخ العرب قبل الإسلام وفي زمن البعثة النبوية الشريفة.

هناك صلة وثيقة بين علم التفسير ومعرفة التاريخ، فإن الاطلاع على تاريخ الجزيرة العربية قبل الإسلام وتاريخ عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم والبعثة المباركة، له الأثر الإيجابي الكبير في عملية بيان وتوضيح مدلول ومقاصد كثير من الآيات المباركة.

- من المؤهلات والمهارات الشخصية: صحة وصدق المعتقد، صحة المقصد، الموضوعية، قدرة المفسر على الجمع والربط بين الآيات، أن يملك المفسر عقلاً متدبراً واعياً لا عقلاً غافلاً وقارئاً، النظر إلى القرآن باعتباره كتاب هداية وحياة، الحضور والإحساس والانسجام القلبي والعقلي مع القرآن.



## الدرس الخامس

# المناهج والاتجاهات التفسيرية



## أهداف الدرس

- أن يتعرّف الطالب إلى نشوء وتطور مناهج التفسير
- أن يميّز بين المناهج والاتجاهات التفسيرية
- أن يعدّد تقسيمات المناهج والاتجاهات التفسيرية









## نشوء وتطور مناهج التفسير

بدأ علم التفسير منذ صدر الإسلام، وكان مصدره الوحي الإلهي الذي عرف الرسول ﷺ كمفسر للقرآن<sup>(١)</sup>، وكان الرسول ﷺ يعتمد على القرآن نفسه في التفسير، ومن هنا نشأت طريقة تفسير القرآن بالقرآن، وقد تصدى أهل البيت  وعدد من الصحابة لتفسير القرآن على ضوء المنهج السابق مع الاستفادة من المنهج الروائي، أي الاستناد إلى الروايات الصادرة عن الرسول ﷺ في تفسير آيات القرآن.

وقد تصدى النبي ﷺ لتفصيل ما أجمل في القرآن، وبيان ما أبهم منه إما بياناً في أحاديثه الشريفة وسيرته الكريمة، أو تفصيلاً جاء في جُلّ تشريعاته من فرائض وسنن وأحكام وآداب... وهكذا فكل ما جاء في الشريعة من فروع أحكام العبادات والسُنن والفرائض، وأحكام المعاملات، والأنظمة والسياسات، كل ذلك تفصيل لما أجمل في القرآن الكريم من تشريع وتكليف.

هذا وقد تورّطت مجموعة بتفسير وتأويل القرآن طبقاً لميولها وبدون رعاية

(١) قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ (سورة النحل، الآية: ٤٤).

الضوابط والقرائن، ومن هنا نشأ التفسير بالرأي. وقد تصدّت الأحاديث الصادرة عن الرسول ﷺ وأهل البيت  لهذا النوع من التفسير ومنعته بشدة، فعن رسول الله ﷺ عن الله تعالى: «ما آمن بي من فسر برأيه كلامي»<sup>(١)</sup>. ثم ظهرت في القرن الثاني الهجري وما بعده مناهج وأساليب أخرى بين المسلمين - بشكل تدريجي، نتيجة ترجمة آثار وكتب الحضارتين اليونانية والفارسية ونفوذ أفكارهم وعلومهم.

وقد تكوّنت الاتجاهات التفسيرية الكلامية بسبب ظهور المباحث الكلامية والفلسفية، فكانت كل فرقة من فرق المسلمين كالشاعرة والمعتزلة... تفسّر القرآن طبقاً لآرائها وعقائدها.

وفي القرن الثالث وما بعده، بدأت تظهر أساليب جديدة في التفسير على يد العرفاء والمتصوفة. ما أدى إلى تطوّر المنهج الإشاري في التفسير<sup>(٢)</sup>.

وأما محدثو السنة والشيعية فقد اكتفوا بنقل الروايات محدّثين بذلك المنهج والاتجاه الروائي في التفسير والذي ظهر في المرحلة الأولى (القرن الثالث والرابع الهجري) على شكل تفاسير مثل: تفسير العياشي، والقمي، والطبري، وفي المرحلة الثانية (من القرن العاشر حتى الحادي عشر) الدر المنثور، والبرهان، ونور الثقلين، وخلال هذه الفترة؛ أي بعد المرحلة الأولى من ظهور التفاسير الروائية بدأت تظهر التفاسير الفقهية بأسلوب موضوعي وعلى شكل تفسير آيات الأحكام. وبعد أن أخذت بعض التفاسير شكلها الطبيعي مثل أحكام القرآن للجصاص الحنفي (ت ٣٧٠هـ) وأحكام القرآن المنسوب إلى الشافعي (ت ٢٠٤م) استمرت كتابة هذا النوع من التفاسير فيما بعد مثل أحكام

(١) الأمالي، الشيخ الصدوق، ص ٦.

(٢) ستأتي الإشارة إلى المنهج الإشاري في الدرس الخامس عشر.



القرآن للراوندي (ت ٥٧٣هـ). ثم ظهرت في القرن الخامس والسادس الهجري التفاسير الجامعة الاجتهادية مثل: التبيان، ومجمع البيان؛ وذلك بالاستفادة من العقل والاجتهاد ومراعاة جوانب متعددة في التفسير، ولا تزال هذه الطريقة متداولة حتى الآن. وقد بادر بعض الفلاسفة إلى كتابة التفسير أيضاً. كما ظهرت وتطوّرت في القرن الأخير أساليب ومناهج جديدة في التفسير مثل طريقة التفسير العلمي والاتجاه الاجتماعي<sup>(١)</sup>.

### الفارق بين المناهج والاتجاهات التفسيرية

المنهج التفسيري لكل مفسّر هو تبين طريقة كل مفسّر في تفسير القرآن الكريم، والأداة والوسيلة التي يعتمد عليها لكشف الستر عن وجه الآية أو الآيات؟ فهل يأخذ العقل أداة للتفسير أو النقل؟ أو يعتمد في تفسير آيات القرآن على نفس القرآن الكريم، أو على السنة الشريفة، أو على كليهما، أو غيرهما؟ وفي الجملة ما يتخذ مفتاحاً لرفع إبهام الآيات، هو ما نسميه المنهج في تفسير القرآن.

وأما البحث عن الاتجاهات والاهتمامات التفسيرية، فالمراد منها المباحث التي يهتم بها المفسّر في تفسيره مهما كان منهجه وطريقته في تفسير الآيات، مثلاً تارة يتّجه إلى إيضاح المادة القرآنية من حيث اللغة، وأخرى إلى صورتها العارضة عليها من حيث الإعراب والبناء، وثالثة يتّجه إلى الجانب البلاغي، ورابعة يعنى بآيات الأحكام، وخامسة يصبّ اهتمامه على الجانب التاريخي والقصصي، وسادسة يهتمّ بالأبحاث الأخلاقية، وسابعة يهتمّ بالأبحاث الاجتماعية، وثامنة يهتمّ بالآيات الباحثة عن الكون وعالم

(١) سنعرض لكل هذه المناهج في بحوث هذا الكتاب بإذن الله تعالى.

الطبيعة، وتاسعة يهتم بمعارف القرآن وآياته الاعتقادية، وعاشرة بالجميع حسبما أوتي من المقدره.

ولا شك أن التفاسير مختلفة من حيث الاتجاه والاهتمام، إما لاختلاف أذواق المفسرين وكفاءاتهم ومؤهلاتهم، أو لاختلاف بيئاتهم وظروفهم، أو غير ذلك من العوامل.

وإن شئت أن تُفرّق بين الباحثين فنأتي بكلمة موجزة، وهي أن البحث في المناهج بحث عن الطريق والأسلوب، والبحث في الاهتمامات بحث عن الأغراض والأهداف التي يتوخاها المفسر، وتكون علة غائية لقيامه بالتأليف في مجال القرآن<sup>(١)</sup>.

وعرّف بعض الباحثين المنهج والاتجاه بما يلي:

**المنهج:** هو الاستفادة من الوسائل والمصادر الخاصة في تفسير القرآن والتي يمكن من خلالها تبين معنى ومقصود الآية والحصول على نتائج مشخصة.

وبعبارة أخرى: إن كيفية كشف واستخراج معاني ومقاصد آيات القرآن الكريم هو ما يطلق عليه «منهج التفسير».

**الاتجاه:** هو تأثير الاعتقادات الدينية، الكلامية، والاتجاهات العصرية وأساليب كتابة التفسير، والتي تتكوّن على أساس عقائد واحتياجات وذوق وتخصّص المفسر<sup>(٢)</sup>.

(١) المناهج التفسيرية في علوم القرآن، الشيخ جعفر السبحاني، ج ٤، ص ٢٠-٢١، دار الولاية، بيروت، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.  
(٢) دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية، محمد علي الرضائي، تعريب قاسم البيضاني، ص ١٩٠-١٨، المركز العالمي للدراسات الإسلامية، قم، ١٤٢٦هـ.



## تقسيم المناهج التفسيرية

قسّمت المناهج التفسيرية تقسيمات متعدّدة من جهات مختلفة، وسوف

نختار التقسيم المشهور وذلك من خلال ما يلي:

باطل وغير معتمد	صحيح ومعتبر
التفسير بالرأي	تفسير القرآن بالقرآن
بعض طرق التفسير الإشاري والعلمي	التفسير الروائي (على أساس السنّة)
	العلمي (العلوم التجريبية)
	العقلي (الاجتهادي)
	الإشاري (العرفان)
	الكامل (جميع الطرق المتقدّمة)

### المنهج الكامل في التفسير

المقصود بذلك هو المنهج الذي يستفيد من جميع هذه الطرق (المناهج المذكورة سابقاً غير التفسير بالرأي، وبعض طرق التفسير الإشاري والعلمي) لكي يتبيّن مقصود الآيات بصورة كاملة من جميع الجوانب.

إنّ التفسير الصحيح والمعتبر هو الذي يستفيد من جميع هذه المناهج (الخمس) في مكانها المناسب. وقد لا يكون هناك استخدام لبعض المناهج في بعض الآيات، فمثلاً قد لا توجد رواية في تفسير بعض الآيات أو لا توجد إشارة علمية (العلوم التجريبية) في بعض الآيات، فإذا المنهج الكامل المستخدم في مورد تلك المجموعة من الآيات هو الذي يمكن أن يستفيد قدر الإمكان، من المناهج المناسبة والمتعدّدة، ومن الطبيعي أنّ عدد المناهج المستخدمة يرتبط بالآية وإمكانية الاستفادة من المناهج الصحيحة في هذا المجال.



ملاحظة: إنَّ التفسير بالرأي لا يعتبر تفسيراً صحيحاً ومعتبراً؛ وفي الحقيقة لا يعتبر تفسيراً للقرآن (بيانه في بحث التفسير بالرأي). فذكره بين أنواع المناهج التفسيرية هو من أجل رَدِّه والتنبيه على خطره؛ أي إننا إذا تعرّضنا للمناهج التفسيرية بصورة عامّة (أعمّ من كونها صحيحة أو خاطئة)، فحينئذ سيدخل التفسير بالرأي في نطاقها، وسوف نقوم بدراسة وبحث كلِّ من هذه المناهج وأقسامها الفرعية وكيفية اعتبارها فيما بعد.

## تقسيم الاتجاهات التفسيرية

يمكن تقسيم الاتجاهات التفسيرية إلى أقسام فرعية على أساس الاعتقادات، والأفكار، والاتجاهات العصرية، وطريقة الترتيب، والذوق والتخصّص العلمي للمفسّرين، وإليك البيان:

### ١. المذاهب التفسيرية

فسَّر أصحاب المذاهب الإسلامية آيات القرآن على أساس العقائد التي يؤمنون بها فربما يختار المفسّر في تفسيره أحد المذاهب، أو يتخذ طريقة خاصّة. فمثلاً اعتنى مفسّرو الشيعة - طبقاً لإرشادات أئمّتهم - بظاهر وباطن القرآن والآيات المتعلقة بأهل البيت، فقد راعوا عصمة الأنبياء في تفسيرهم لآيات القرآن...

ومن هنا نشأ أسلوب خاص في التفسير. كما لجأت الفرقة الإسماعيلية إلى التفسير الباطني والرمزي، أمّا الخوارج فلهم أسلوبهم الخاص في التفسير. وعلى هذا فقد اتخذ كلٌّ منهم مذهباً خاصاً في التفسير، ويمكن أن نلحق تفاسير الصوفية بالمذاهب التفسيرية كذلك.



## ٢. المدارس التفسيرية (الاتجاهات الكلامية)

أقدم بعض أصحاب المدارس الكلامية كالمعتزلة والأشاعرة على تفسير القرآن على أساس ميولهم الفكرية، فمثلاً كتب الزمخشري تفسيره الكشاف بإسلوب كلامي.

## ٣. الألوان التفسيرية

ذهب المفسرون الذين لهم تخصص أو اهتمام بعلم من العلوم إلى كتابة تفاسيرهم على أساس ذلك التخصص أو الاهتمام؛ فأكثرنا من طرح المباحث التي تخصصوا بها. ومن هنا ظهرت اتجاهات وألوان تفسيرية متعددة منها: اللون الأدبي، الفقهي، الاجتماعي، العرفاني، الأخلاقي، التاريخي و...

## ٤. الاتجاهات العصرية في التفسير

قد يذهب بعض المفسرين إلى أحد الاتجاهات في التفسير نتيجة للظروف المحيطة به ونتيجة لعامل الاحتياج والضرورة، فربما تكون المسائل المعنوية والتربوية والأخلاقية من أهم المسائل في عصر المفسر؛ فيتوجه إلى الآيات الأخلاقية والمعنوية في تفسيره بصورة أكثر من غيرها (كما هو الحال في تفسير في ظلال القرآن و...).

وربما تكون عناية المفسر بالأمور الجهادية والسياسية ومناهضة الاستبداد فتحدو به هذه العناية إلى التركيز على الآيات المتعلقة بهذا الموضوع أكثر من غيرها.

وقد يكون هم المفسر هو الوحدة الإسلامية والتقريب بين المذاهب، فيأخذ تفسيره مثل هذا الطابع.





## ملاحظة حول طرق كتابة التفسير

يختلف أسلوب الكتابة عند المفسرين؛ فهي تتفاوت على أساس الذوق ومراعاة حال المخاطب. فقد يكون التفسير ترتيبياً؛ أي تفسير القرآن آية آية ومن أوله إلى آخره، كما هو الحال في تفسير (الميزان، والأمثل، ومجمع البيان). أو قد يكون موضوعياً فيختار المفسر أحد المواضيع ويجمع كل ما يتعلق به في جميع الآيات والسور ثم يخرج بنتيجة معينة مثل (تفسير نفحات القرآن، لآية الله مكارم الشيرازي؛ ومنشور جاويد لآية الله السبحاني و...).

وربما يكتب التفسير بصورة مختصرة أو متوسطة أو مفصلة؛ أي من حيث الحجم والكمية كما هو الحال في التفاسير: الأصفى، والمصفى، والصافي للمرحوم الفيض الكاشاني، وكذلك التفاسير: الوجيز، والجوهر الثمين، وصفوة التفاسير للمرحوم عبد الله شبر، وأيضاً التفاسير الثلاثة للمرحوم الطبرسي وهي: جوامع الجامع، ومجمع البيان، والكافي الشافي، فالأول مختصر والثاني متوسط والثالث مفصل. وربما يأتي التفسير على شكل متن وشرح فتكون الآية متناً والتفسير شرحاً للآية، وقد يختلط التفسير بالآيات بصورة مزجية مثل تفسير شبر ونفحات الرحمن للنهاوندي.

وفي بعض الأحيان يكون التفسير شاملاً لجميع آيات القرآن مثل مجمع البيان، وأخرى ناقصاً ومُشتملاً على سورة واحدة أو عدد من السور، أو حتى مجموعة من السور مثل تفسير أحكام القرآن للراوندي الذي يشتمل على الآيات الفقهية فقط وتفسير آلاء الرحمن للبلاغي وهو تفسير ناقص.

## آراء المتخصصين في تقسيم المناهج والاتجاهات

تعتبر هذه المباحث من العلوم الجديدة في مجال تفسير القرآن، وهي في



حالة نمو وتطور، وفي كل سنة تُحرر مقالات وتُدون كتب عديدة في هذا المجال، وتطرح آراء جديدة. فلا مانع من وجود بعض النواقص في تقسيم المتخصصين في هذا المجال، باعتبارهم أصحاب الخطوة الأولى في هذا المجال، ونحن نشير هنا إلى أهم وأشهر هذه التقسيمات:

### ١ - تقسيم جولدزيهر<sup>(١)</sup>

تناول هذا المستشرق التفسير أولاً، ثم التفسير بالرأي. وذكر الروايات الواردة في مذمته. وبعد ذلك قسّم التفسير على ضوء العقائد؛ فذكر طريقة المعتزلة في التفسير ونماذج من كلامهم، وفي فصل آخر تناول طريقة الصوفية في التفسير والمنهج الإشاري وتأثرهم بـ (فيلون)<sup>(٢)</sup>، ثم ذكر تفسير إخوان الصفا والإسماعيلية الباطنية. وفي فصل آخر قسّم التفسير على ضوء الفرق الدينية. فذكر تفسير الشيعة، الخوارج، الغلاة... وأخيراً ذكر التفاسير الجديدة في العالم الإسلامي: منهج سيد أمير علي في الهند بعنوان المعتزلة الجدد، ومنهج السيد جمال الدين الأفغاني والحركة الجديدة في مصر ومنهج محمد عبده صاحب المنار<sup>(٣)</sup>.

والمستشرق المذكور هو أحد المبدعين لهذا البحث وهو أول من خطأ الخطوات الأولى في هذا البحث ومع هذا فإن كتابه لا يخلو من إشكالات؛ فليس هناك نظام منطقي حاكم على هذه المباحث، ولم يتناول بحث المناهج (مثل منهج التفسير بالمأثور) والاتجاهات بصورة كاملة.



(١) Ignaz Goldzher (١٨٥٠-١٩٢١م) مستشرق يهودي مجري، دُرِسَ في بودابست، وبرلين، والأزهر في مصر.

(٢) فيلون: فيلسوف يهودي مولود ما بين عشرين وثلاثين سنة قبل الميلاد. أنظر: التفسير والمفسرون، الدكتور الذهبي، ج٤، ص ٢٥٩.

(٣) جولدزيهر، مذاهب التفسير الإسلامي، ترجمة: الدكتور عبد الحلیم النجار. تفسير المنار كان من أول القرآن إلى الآية ١٢٦ من سورة النساء بإنشاء الشيخ محمد عبده ثم سار تلميذه السيد رشيد رضا بإكمال هذا التفسير على نهج أستاذه حتى سورة يوسف. أنظر: التفسير والمفسرون، الشيخ محمد هادي معرفة، ج٢، ص ١٠١١.

## ٢ - تقسيم الدكتور الذهبي

بعد أن تناول التطور التاريخي للتفسير من عصر النبي ﷺ فما بعده، قام الذهبي بتقسيم التفسير إلى فرعين رئيسين، وهما:

- التفسير بالمأثور (الروائي).

- التفسير بالرأي.

ثمّ قسّم التفسير بالرأي إلى فرعين أيضاً: ممدوح (التفسير العقلي) ومذموم<sup>(١)</sup>. ثمّ اعتبر التفسير بالرأي المذموم هو تفسير الفرق والمذاهب وهي: المعتزلة - الشيعة (الإثنى عشرية) والشيعة الإسماعيلية، والشيعة الزيدية، والبهائية والخوارج، والصوفية، والتفسير العلمي.

ويبدو أنّ تقسيم الدكتور الذهبي لا يتمتع بنظام منطقي؛ لأنّه يستخدم التفسير النقلي (المأثور) في مقابل التفسير العقلي والاجتهادي، بالإضافة إلى أنّ تقسيم التفسير بالرأي إلى ممدوح ومذموم غير صحيح، وسيأتي بيان ذلك في بحث منهج التفسير بالرأي والمنهج العقلي في التفسير، كما أنّه خلط في تقسيمه المذكور بين المذاهب التفسيرية والمدارس؛ لأنّ فرق الشيعة تقع في قبيل فرق أهل السنة وليس في مقابل الفرق الكلامية (مثل المعتزلة)، إلا إذا كان المقصود بالشيعة هم متكلمو الشيعة.

## ٣ - تقسيم آية الله معرفة

قسّم سماحة الشيخ معرفة التفسير إلى فرعين:

أ - التفسير بالمأثور، ويشمل:

١ - تفسير القرآن بالقرآن.

(١) التفسير والمفسرون، الدكتور الذهبي، ج ١، ص ٢٥٥ - ٢٨٤.



٢. تفسير القرآن بالسنة.

٣. تفسير القرآن بأقوال الصحابة.

٤. تفسير القرآن بأقوال التابعين.

ب. التفسير الاجتهادي (أي على أساس النظر والاستدلال العقلي).

ثم ذكر أن هذه الطريقة تقسم على أساس القدرة العلمية وأنواع العلوم التي يمتلكها المفسرون إلى ألوان مختلفة مثل: اللون المذهبي / الكلامي / الفلسفي / الفقهي / العلمي... ويعتبر هذا التقسيم أفضل من تقسيم الدكتور الذهبي بكثير، ولكنه اعتبر طرق التفسير العلمي والعرفاني من الألوان التفسيرية في حين يمكن أن نعدّها من المناهج ومن الألوان أيضاً.

## ● خلاصة الدرس

- تتعلّق مناهج التفسير بالمصادر والأدوات وكيفية استخراج معاني ومقاصد الآيات، أمّا الاتجاهات التفسيرية فتتعلّق بذوق وعقائد وعلوم المفسّر وأسلوب الكتابة.

- بدأت بعض المناهج بالظهور في عهد الرسول ﷺ كمنهج تفسير القرآن بالقرآن، وقد ظهرت وتطوّرت أساليب ومناهج جديدة في القرن الثاني الهجري نتيجة عوامل مختلفة.

- العوامل المؤثّرة في نشوء وتنوّع المناهج والاتجاهات التفسيرية عبارة عن: طبيعة القرآن، الأمر القرآني باتباع النبي ﷺ باعتباره مفسّراً للقرآن، اعتقاد المفسّرين، الآراء الشخصية، نفوذ أفكار غير المسلمين في الأوساط



الإسلامية، اختلاف المصادر والوسائل، الاتجاهات العصرية، أسلوب الكتابة عند المفسرين.

تُقسَّم المناهج التفسيرية إلى قسمين: ناقصة وكاملة، والمناهج الناقصة ستة أقسام:

القرآن بالقرآن، الروائي، العلمي، الإشاري، العقلي، الاجتهادي، والتفسير بالرأي. والمنهج الكامل هو الذي يراعي كل المناهج السابقة عدا التفسير بالرأي.

قُسمت الاتجاهات التفسيرية على النحو التالي:

تفسير الإسماعيلية	١. المذاهب التفسيرية
تفسير الإثني عشرية	
تفسير المعتزلة	٢. المدارس التفسيرية
تفسير الأشاعرة	
التفسير الفقهي	٣. ألوان التفسير
التفسير الأدبي أو الفلسفي أو الأخلاقي	
التفسير الجهادي	٤. الاتجاهات العصرية
التفسير السياسي	
الترتيبي	٥. أساليب كتابة التفسير
الموضوعي	
المختصر، المتوسط، المفصل المزجي	



## منهج تفسير القرآن بالقرآن (1)



### أهداف الدرس

- أن يتعرّف الطالب إلى المراد من منهج تفسير القرآن بالقرآن
- أن يتعرّف إلى تاريخ هذا المنهج
- أن يدرك الأدلّة على جواز تفسير القرآن بالقرآن
- أن يتعرّف إلى رأي الأخباريين في تفسير القرآن بالقرآن







## تمهيد

تعتبر طريقة تفسير القرآن بالقرآن من أقدم الطرق في تفسير القرآن، وهي إحدى أقسام المنهج النقلي؛ لأنَّ الأخير ينقسم إلى قسمين: تفسير القرآن بالقرآن وتفسير القرآن بالرواية. وقد استحسن جميع المفسرين والمتخصصين إلا ما شذَّ. هذه الطريقة في التفسير، واستفادوا منها في الكثير من الموارد، بل إنَّ بعضهم اعتبرها من أفضل الطرق في التفسير.

## المراد من تفسير القرآن بالقرآن

يعتمد هذا المنهج على توضيح آيات القرآن بواسطة آيات أخرى وبيان مقصودها. وبعبارة أخرى: تكون آيات القرآن بمثابة المصدر لتفسير آيات أخرى.

71

وعرّفه بعضهم بأنّه: «مقابلة الآية بالآية وجعلها شاهداً لبعضها على الآخر ليستدلَّ على هذه بهذه لمعرفة مراد الله تعالى من القرآن الكريم»<sup>(١)</sup>.

(١) أنظر: دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية، محمّد عليّ الرضائي، ص ٤٢.



## تاريخ منهج تفسير القرآن بالقرآن

يعتبر - كما ذكرنا - تفسير القرآن بالقرآن من أقدم طرق التفسير، ويرجع استخدامه إلى زمن الرسول ﷺ وقد استخدمه الأئمة عليهم السلام وبعض الصحابة والتابعين.

وفيما يلي بعض الأمثلة على ذلك.

١. سئل الرسول ﷺ عن معنى «الظلم» في الآية الكريمة: ﴿وَلَمْ يَلْسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾<sup>(١)</sup> فأجاب ﷺ وبالاستناد إلى الآية ﴿إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup> بأن المقصود بالظلم في الآية الأولى هو الشرك المذكور في الآية الثانية<sup>(٣)</sup>. يتبين من خلال هذا الحديث والأحاديث المشابهة أن الرسول ﷺ استخدم هذا المنهج في التفسير، فإنه ﷺ قام بتعليم أتباعه عملياً على استخدامه.

٢. استنتج الإمام عليّ عليه السلام من خلال الآيتين ﴿وَفِصْلُهُ فِي عَامَيْنِ﴾<sup>(٤)</sup> ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾<sup>(٥)</sup> بأن أقل مدة للحمل هي ستة أشهر. باعتبار أن مدة الرضاع سنتين كما تشير الآية الأولى، ومدة الحمل والرضاع معاً ثلاثون شهراً<sup>(٦)</sup> كما تشير الآية الثانية، والجمع بينهما يقتضي كون أقل الحمل ستة أشهر. وهذا نوع من تفسير القرآن بالقرآن.

وقد استخدم مفسرو الشيعة هذا المنهج بعد ذلك مع ظهور تفاسير مثل

(١) سورة الأنعام، الآية: ٨٢.

(٢) سورة لقمان، الآية: ١٣.

(٣) مسند أحمد، ج ١، ص ٣٧٨.

(٤) سورة لقمان، الآية: ١٤.

(٥) سورة الأحقاف، الآية: ١٥.

(٦) أنظر: بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٤٠، ص ١٨٠، وبهذا الدليل دفع الإمام عليه السلام الرجوع عن تلك المرأة التي حكم عليها عمر بن الخطاب بالرجم وهي حامل وقد وضعت لستة أشهر.



التبيان للشيخ الطوسي ومجمع البيان للشيخ الطبرسي، وكذلك مفسرو أهل السنة.

وقد ذكر العلامة المجلسي في كتابه بحار الأنوار الآيات التي تتعلق بموضوع معين في بداية كل فصل. وهذا يعني أنه استفاد من الطريقة الموضوعية في تفسير القرآن بالقرآن. وقد حظي هذا المنهج باهتمام واسع خاصة عند المفسرين في القرن الأخير، كما يتضح ذلك في تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي، وآلاء الرحمن للشيخ البلاغي و...

## لماذا يجب تفسير القرآن بالقرآن؟

اعتمد أصحاب هذا المنهج على عدة أدلة للاستدلال على جواز ولزوم هذا التفسير، من القرآن والسنة والسيرة.

### ١- الدليل القرآني

أ. قال تعالى: ﴿وَزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيِّدًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهَدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

استدل العلامة الطباطبائي قدس سره بهذه الآية على تفسير القرآن بالقرآن فقال: «وحاشا أن يكون القرآن تبيانا لكل شيء ولا يكون تبيانا لنفسه»<sup>(٢)</sup>.

ب. قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾<sup>(٣)</sup>. قال العلامة الطباطبائي قدس سره

عند استدلاله بهذه الآية: «كيف يكون القرآن هدى وبينة وفرقانا ونورا مبينا للناس في جميع ما يحتاجون إليه ولا يكفيهم في احتياجهم إليه وهو أشد الاحتياج»<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة النحل، الآية: ٨٩.

(٢) تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي، ج ١، ص ١٥١٤.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٧٤.

(٤) تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي، ج ١، ص ١٤.

ج. قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾<sup>(١)</sup>. فقد قسّمت هذه الآية آيات القرآن إلى مجموعتين: محكمات ومتشابهات. وكلمة «المحكم» من «الإحكام» بمعنى «المنع»، ولهذا يقال للمواضيع الثابتة القويّة محكمة؛ لأنها تمنع عن نفسها عوامل الزوال. كما أنّ كلّ قول واضح وصريح لا يعتريه أيّ خلاف يقال له «قولٌ محكم»، وعليه فإنّ الآيات المحكمة هي الآيات ذات المفاهيم الواضحة والتي لا مجال للخلاف والجدل حولها.

أمّا الآيات المتشابهة فهي الآيات ذات المعنى المعقّد، أو التي تحتل معاني متعدّدة، والتي لا يتّضح معناها المقصود إلا في ضوء الآيات المحكمة. وقد أطلق على الآيات المحكمة «أمّ الكتاب» أي هي الأصل والمرجع للآيات الأخرى، وبعبارة أخرى: لا بدّ من إرجاع الآيات المتشابهات إلى المحكمات لكي يتّضح معناها. وهذه الطريقة هي إحدى أنواع تفسير القرآن بالقرآن.

د. إنّ تكرار الآيات يستلزم هذه الطريقة في التفسير: لأنّه لكي نفهم بعض الآيات لا بدّ من مراجعة الآيات المشابهة، فقد جاء ذكر قصة النبيّ موسى عليه السلام وفرعون في سور: الأعراف: ١٠٥-١٣٦، طه: ٩-٩٨، الشعراء: ١٠-٦٧، النمل، ولا يمكن تفسير هذه الآيات ورفع الإبهام عنها ما لم يتمّ مراجعة هذه السور بآياتها المتعلقة بموضوع النبيّ موسى عليه السلام وفرعون وإلا فإنه قد يؤدي إلى وقوع المفسّر في أخطاء.

## ٢- الدليل الروائي

يمكن الاستدلال بالسنة على مطلوبيّة تفسير القرآن بالقرآن من جهتين:

أ. السنة العمليّة لرسول الله ﷺ وأهل بيته عليهم السلام، حيث استخدموا هذه الطريقة عملياً.

(١) سورة آل عمران، الآية: ٧.



ب. الأحاديث الخاصة التي أشارت إلى هذا الأمر، ومنها:

ما ورد عنه عليه السلام: «إِنَّ الْقُرْآنَ لِيَصْدَقُ بَعْضُهُ بَعْضًا فَلَا تَكْذِبُوا بَعْضَهُ بِبَعْضٍ»<sup>(١)</sup>.

وقال الإمام علي عليه السلام: «وكتاب الله بين أظهركم ناطق لا يعي لسانه، وبيت لا تُهدم أركانه، وعز لا تهزم أعوانه.. كتاب الله تبصرون به، وتنطقون به، وتسمعون به، وينطق بعضه ببعض، ويشهد بعضه على بعض، ولا يختلف في الله ولا يخالف بصاحبه عن الله»<sup>(٢)</sup>.

### ٣- الدليل العقلي

من أجل فهم أيّ كلام لا بُدّ من مراعاة القرائن الموجودة فيه، فإذا جاء ذكر أحد المطالب بصورة مطلقة وعامة، وفي مكان آخر بصورة مقيّدة وخاصة، فلا بدّ من النظر إلى الكلام بصورة كلية باعتبار مجموعة كاملة، وهذه هي طريقة العقلاء في فهم أيّ كلام.

والقرآن الكريم غير مستثنى، من هذه القاعدة، وهذا هو نفس الشيء الذي يُعرف باسم تفسير القرآن بالقرآن، يعني الاستفادة من بعض الآيات كقرائن لفهم وتفسير آيات أخرى، والشارع المقدّس لم يمنع من هذه الطريقة العقلانية، بل قام بتأييدها طبقاً للأحاديث السابقة. وعندما نراجع طريقة الأئمة عليهم السلام والصحابة والتابعين ومفسّري القرآن على طول التاريخ نرى أنّهم استخدموا هذه الطريقة، أي الاستفادة من بعض الآيات في فهم آيات أخرى. ومن خلال استمرار طريقتهم هذه نستدلّ على جواز هذا المنهج بالإضافة إلى عدم وجود منع من الشارع.



(١) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي (ت ٩٧٥)، ج ١، ص ٦١٩، ح ٢٨٦١.

مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٣٩٩ هـ.

(٢) نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، ج ٢، ص ١٦.

## حجية ظواهر القرآن

يتوقف تفسير القرآن على بعض المسلّمات ومنها حجية ظواهر القرآن، حيث يمكن للمفسّر أن يستدلّ بظواهره.

والمراد من ظاهر القرآن الكريم هو المعنى الذي يفهمه العارف باللغة العربية - بموجب القوانين الثابتة عند أهل العرف وأبناء اللغة - من اللفظ.

ومذهب المشهور من علماء مدرسة أهل البيت عليهم السلام حجية ظواهر القرآن الكريم، واستدلّوا على ذلك بوجوه منها:

أ - أن القرآن نزل بلسانٍ عربيّ مبين.

ب - أن القرآن معجزة الإسلام الخالدة.

وقد تحدّى الباري عزّ وجلّ المشركين على الإتيان بسورة من مثله، ولا معنى للتحديّ إلا إذا فرض أنّ الذين تحدّاهم القرآن كانوا يفهمون معانيه من خلال ظواهره.

### ج - حديث الثقلين

والقاضي بضرورة التمسك بالقرآن والعترة، ومعنى التمسك بالقرآن ليس مجرد الاعتقاد بأنّه قد نزل من عند الله تعالى، بل الأخذ به والعمل بما فيه من أوامر ونواهي والاستناد إليه في كلّ اعتقاد أو قول أو فعل.

### د- روايات العرض على القرآن

فعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّ على كلّ حقّ حقيقة، وعلى كلّ صواب نوراً، فما وافق



كتاب الله فخذوه، وما خالف كتاب الله فدعوه»<sup>(١)</sup>، وعن الإمام الصادق عليه السلام:  
«كل شيء مردود إلى الكتاب والسنة، وكل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف»<sup>(٢)</sup>  
فإن أخبار العرض على القرآن خير شاهد على إمكان فهم معانيه.

أما الأخباريون فقد استدلوا على عدم حجية ظواهر القرآن بما يلي:

١- إن فهم القرآن مختص بأهله، وهم المخاطبون الحقيقيون به، وهم النبي ﷺ  
وأهل البيت عليهم السلام.

٢- إن القرآن يحتوي على مضامين عالية وعميقة لا يفهما إلا الراسخون في  
العلم، ولا تنالها الأفكار العادية للناس.

٣- إن القرآن الكريم يشتمل على آيات متشابهة وهو ما يؤدي إلى المنع عن اتباع  
ظواهر الكتاب.

٤- إننا نعلم علماً إجمالياً بوجود مخصصات ومقيّدات لكثير من ظواهر القرآن  
الكريم مما يعني عدم إمكانية التمسك بالظواهر القرآنية.  
وأجاب علماء الأصول عن هذه الإشكالات بإجابات، منها:

١- المقصود من اختصاص فهم القرآن بالنبي ﷺ وأهل البيت عليهم السلام، وأنهم  
المخاطبون الحقيقيون هو الفهم الكامل للقرآن أعم من المحكم والمتشابه،  
والمنع من الاستقلال بالفتوى دون مراجعة الروايات، وأما بعد مراجعة  
القرائن النقلية، أو بعد البحث وعدم العثور على روايات معتبرة، فلا يوجد  
مانع من الأخذ بظواهر القرآن الكريم، إضافة إلى ذلك فإن الروايات نفسها  
قد أرجعنا إلى القرآن والاستدلال به. كما في رواية عبد الأعلى مولى آل سام،



(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج ١، ص ٦٩.

(٢) م. ن.

قلت لأبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام : عشرت فانقطع ظفري، فجعلت على إصبعي مرارة، فكيف أصنع بالوضوء؟ قال عليه السلام : «يُعرف هذا وأشباهه من كتاب الله عز وجل، قال الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ (١) امسح عليه» (٢).

٢- لا يوجد تعارض بين وجود مضامين عالية وصعبة الفهم في القرآن، والرجوع إلى الظواهر الواضحة والاستدلال بها.

٣- إنَّ ظواهر القرآن ليست من المتشابهات، أي إنَّ المقصود من المتشابهات هنا هو الآيات المجملة، ولكن ظواهر القرآن ليست مجملة ولا متشابهة.

٤- إنَّ الأخذ بظواهر القرآن يكون بعد مراجعة المخصّصات والمقيّدات والروايات الأخرى، وعندها ينحلّ العلم الإجمالي ويرتفع حينئذ المانع من الأخذ بالظواهر.

## ● خلاصة الدرس

- بدأ منهج تفسير القرآن بالقرآن منذ عهد الرسول ﷺ، وهناك نماذج متعدّدة في روايات أهل البيت عليهم السلام تشير إلى استعمالهم هذا المنهج، وقد استفاد الصحابة والتابعون من هذا المنهج أيضاً.

- إنَّ أهمية هذا المنهج تكمن في الاستفادة من الآيات والاستعانة بها في تفسير آيات أخرى من القرآن، وهذا الأمر يعتبر ضرورياً في كلّ من التفسير الموضوعي والترتبيبي لكي يتبيّن مقصود الآيات بشكل واضح.

(١) سورة الحج، الآية: ٧٨.

(٢) وسائل الشيعة، الحرّ العاملي، ج ١، ص ٢٢٧.



كُتبت تفاسير متعدّدة على أساس تفسير القرآن بالقرآن على امتداد التاريخ منها في عصرنا الحاضر تفسير الميزان، بل بعضهم اعتبره من أفضل المناهج في التفسير.

استدلّ الموافقون على هذا المنهج بالآيات والروايات وبناء العقلاء وأثبتوا جواز ومطلوبية هذه الطريقة في التفسير.

استدلّ القائلون بتفسير القرآن بالقرآن بمضامين بعض الآيات مثل ما دلّ على أنّ القرآن تبيان، القرآن نور، ولزوم التدبّر في القرآن.

ظاهر القرآن حجّة فلا يوجد إشكال على تفسير القرآن بالقرآن من هذه الناحية، بالإضافة إلى عدم تامة أدلة الأخباريين على منع حجّة ظاهر القرآن، على فرض ثبوت هذه النسبة إليهم.









## تطبيقات عملية



### أهداف الدرس

- أن يتعرّف الطالب إلى الأنواع المتعدّدة من أنواع تفسير القرآن بالقرآن
- أن يتعرّف إلى بعض النماذج التطبيقية لهذه الأنواع







## تمهيد

يعتبر «تفسير القرآن بالقرآن» منهجاً كلياً يتضمّن تحته مصاديق وطرقاً فرعية متعدّدة يستفيد منها المفسّرون في التفسير، وإنّ معرفة هذه الطرق تساعد المفسّر على تقديم تفسير جامع لآيات القرآن الكريم.

ولكي تتوضّح صورة الاستدلال عند المفسّر للقرآن بالقرآن، سوف نشير إلى أهمّ هذه الأنواع وأكثرها شيوعاً، مع الأمثلة والنماذج التوضيحية لهذا المنهج.

## الطرق الفرعية لمنهج تفسير القرآن بالقرآن

### ١- إرجاع المتشابهات إلى المحكمات

تنقسم آيات القرآن إلى آيات محكمة ومتشابهة<sup>(١)</sup>، وتعتبر الآيات المُحكمة هي الأساس والمرجع للآيات القرآنية، ولا بُدّ من إرجاع الآيات المتشابهة إليها لكي يتّضح معناها، أو يتعيّن أحد احتمالاتها.



(١) أنظر: في بيان معنى المحكم والمتشابهة الدرس السابق (الأدلة على تفسير القرآن بالقرآن).

مثال: توجد بعض الآيات في القرآن يدلّ ظاهرها على التجسيم؛ مثل الآيات التي تصف الله سبحانه وتعالى بأنه: «سميع» و«بصير»<sup>(١)</sup>، والآية الشريفة ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾<sup>(٢)</sup>، ولا بد من إرجاع مثل هذه الآيات إلى الآيات المحكمة مثل الآية: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾<sup>(٣)</sup> حيث يتّضح معناها في ضوء هذه الآية وأمثالها، فعندما نقارن الآيات المذكورة مع الآيات المحكمة، فسوف يتبيّن أنّ المقصود باليد هنا ليست هي اليد الجسمانية بل هي كناية عن شيء آخر كالقدرة مثلاً. وعلى هذا يمكن تفسير الآية ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ بمعنى قدرة الله.

## ٢- الجمع بين الآيات المطلقة والمقيّدة

جاءت بعض الآيات بصورة مطلقة بدون قيد في حين ذكرت آيات أخرى مقيّدة ببعض القيود؛ فتفسير الآيات المطلقة بدون النظر في الآيات المقيّدة غير صحيح ولا يكشف عن المراد الجدّي للمتكلّم، وبعبارة أخرى إنّ الآيات المقيّدة مفسّرة للآيات المطلقة، فمثلاً جاء ذكر الصلاة في بعض الآيات بصورة مطلقة ﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾<sup>(٤)</sup>، في حين قيّد هذا الإطلاق بزمان خاص في آيات أخرى كما في الآية: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ﴾<sup>(٥)</sup>.

## ٣- الجمع بين العام والخاص

جاءت ألفاظ بعض الآيات على جهة العموم والشمول لأفراد كثيرين، وذلك باستعمال بعض ألفاظ العموم، مثل كلّ، في حين خصّصت آيات أخرى هذا

(١) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٢) سورة الفتح، الآية: ١٠.

(٣) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٤) سورة البقرة، الآيات: ٤٣، ٨٢، ١١٠ والنساء، ٧٧..

(٥) سورة الإسراء، الآية: ٧٨.



العموم. وبما أن تفسير القرآن هو تعيين المراد الإلهي وتوضيح الآية بصورة كاملة، فإن هذا لا يحصل إلا بوضع الخاص بجانب العام. وبعبارة أخرى إن الآيات الخاصة تُفسَّر وتبيَّن العموم في الآيات الأخرى، فمثلاً جاء ذكر الزواج بصورة مطلقة في الآية: ﴿فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾<sup>(١)</sup> واستثنت موارد خاصة في الآية الكريمة: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾<sup>(٢)</sup> حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ...<sup>(٣)</sup> ففي الآيات الأولى وردت الرخصة في الزواج من جميع النساء، أما في الآيات الأخرى فقد استثنت الأم والأخت وزوجة الأب...

#### ٤- توضيح الآيات المجملة بواسطة الآيات المبيّنة

وردت بعض الآيات في القرآن الكريم بصورة مختصرة ومجملة، فيما جاء بيان هذا الموضوع بصورة مفصلة في مكان آخر. فالمجموعة الثانية من الآيات تُفسَّر الآيات الأولى. وقد لا يُفهم المعنى والمراد من الآيات المجملة دون الرجوع إلى الآيات المبيّنة، وحينئذ لا يكون التفسير صحيحاً.

**المثال الأول:** أشار القرآن الكريم إلى مسألة أكل لحوم الحيوانات بقوله: ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾<sup>(٤)</sup> وقال في آية أخرى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمَيْتَةُ وَالِدَمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ﴾<sup>(٤)</sup>. ففي الآية الأولى جاء تحليل لحوم بعض الحيوانات بصورة مجملة، وأنه سوف يأتي تحريم بعض أنواع اللحوم في المستقبل؛ وقد بيّنت هذه الموارد في الآية الأخرى؛ فهنا تكون الآية الثانية مفسّرة للآية الأولى.



(١) سورة النساء، الآية: ٢.

(٢) سورة النساء، الآيات: ٢٢، ٢٣.

(٣) سورة المائدة، الآية: ١.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٣.

**المثال الثاني:** وردت ثلاثة تعابير في شأن ليلة القدر في القرآن الكريم

وهي:

١. ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبْرَكَةٍ ﴾<sup>(١)</sup>.
٢. ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾<sup>(٢)</sup>.
٣. ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾<sup>(٣)</sup>.

وعند وضع الآيات الثلاث معاً نستنتج أنّ القرآن نزل في ليلة القدر وهي ليلة مباركة من ليالي شهر رمضان. ومثل هذا التفسير الكامل لا يحصل بقراءة الآيات بصورة منفصلة، بل لا بُدّ من ضمّ الآيات بعضها إلى بعضها الآخر.

#### ٥- الاستفادة من سياق الآيات

السياق عبارة عن: نوع خاصّ للألفاظ أو العبارات أو الكلام يظهر على أثر اقترانه مع كلمات وجمل أخرى.

ويعدّ اتصال الكلام وارتباطه واعتماد قرينة السياق على فهم كلام الأفراد من الأصول العقلائية المعتمدة في جميع اللغات. فالمفسّرون يعتمدون على هذه القرينة أيضاً في فهم آيات القرآن ويعتبرونها قرينة ظنيّة.

والسياق له عدّة أقسام: فربما يكون السياق سياق كلمات، أو سياق جمل، أو سياق آيات، وسنوضح ذلك بأمثلة:

**المثال الأوّل:** كلمة «الدين» لها معانٍ متعدّدة يتحدّد أحدها من خلال السياق ففي الآية: ﴿ مَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ ﴾، جاء الدّين هنا بمعنى يوم الجزاء حيث يجزي

(١) سورة الدخان، الآية: ٣.

(٢) سورة القدر، الآية: ١.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.



الله العباد يوم القيامة، واستفدنا هذا المعنى من السياق، في حين جاء لفظ «الدين» في آيات أخرى بمعنى الشريعة<sup>(١)</sup>، لأن هذا المعنى هو مقتضى سياق تلك الآيات.

**المثال الثاني:** قال تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامٌ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلِي الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ حُدُوهُ فَاعْتَلَوْهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُوءًا فَوْقَ رَأْسِهِ، مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٢﴾ وقد جاء في نهاية هذه الآيات: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٣﴾.

فإذا أخذنا بظاهر هذه الآية دون الالتفات إلى سياق الآيات المتقدمة لفهم منه أن الله سبحانه وتعالى يخاطب شخصاً محترماً وعزيزاً، أما إذا أخذنا بنظر الاعتبار الآيات المتقدمة فسوف يتبين أن هذا الشخص (الذي اعتبر عزيزاً كريماً في ظاهر الآية) ما هو إلا ذليل حقير.

**المثال الثالث:** قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنِ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَوًا لَاتَّخَذْنَهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَعِلِينَ ﴿٤﴾. وللمفسرين رأيان في معنى اللهو:

اعتبر بعض المفسرين أن معنى اللهو في هذه الآية هو المرأة والولد وهي إشارة إلى نفي عقائد المسيحيين الذين يعتقدون أن لله زوجة وولداً. والمجموعة الأخرى ذهبت إلى أن معنى اللهو التسلي، أو الأهداف غير المعقولة. وعلى هذا يكون معنى الآية أن هدف الخالق ليس هو التسلي.

(١) ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ﴾ (التوبة، الآية: ٢٢)

(٢) سورة الدخان، الآيات: ٤٣-٤٨.

(٣) سورة الدخان، الآية: ٤٩.

(٤) سورة الأنبياء، الآيتان: ١٧، ١٦.



وقد تمسك أصحاب الرأي الثاني بالسياق لردّ الرأي الأوّل؛ لأنّ ارتباط الآية أعلاه بالآيات السابقة سينقطع على الرأي الأوّل، إضافةً إلى أنّ كلمة «اللهو» إذا جاءت بعد كلمة «اللعب» فتعني التسليّ وليس المرأة والولد.

## ٦- تحديد معاني الاصطلاحات القرآنية بالاستعانة بالآيات الأخرى

توجد في القرآن الكريم اصطلاحات خاصّة خارجة عن معناها اللغوي، فلا يمكن تفسيرها بمراجعة كتب اللغة، بل يجب مراجعة الآيات الأخرى ومعرفة لغة القرآن.

الأمثلة: مصطلح الجن: المعنى اللغوي هو «المستور، المخفي» وفي اصطلاح القرآن هي موجودات عاقلة لا تُرى بالعين.

«الكافر»: بمعنى الساتر، أما في اصطلاح القرآن فتطلق على الشخص الذي ينكر وجود الله، أو يوم القيامة أو.. وقد تأتي بمعنى عدم الشكر.

«الآية»: تعني العلامة، أمّا في القرآن فقد تأتي بمعنى الآية القرآنية أو المعجزة وهناك اصطلاحات أخرى مثل الصلاة، الزكاة، الجهاد.. ويفهم معناها الاصطلاحي بالتدبر في آيات القرآن.

## ٧- جمع الآيات الناسخة والمنسوخة

لقد جاءت بعض الآيات لتبيّن بعض الأحكام ثمّ أنزلت آيات أخرى (على أساس المصلحة والشرائط الجديدة) ونسخت الآيات السابقة وشرّعت أحكاماً جديدة. وثمة اختلاف بين المختصّين في علوم القرآن في عدد الآيات المنسوخة.

وعلى المفسّر حين يشرع في تفسير الآية أن يأخذ بنظر الاعتبار الآيات الناسخة والمنسوخة، وإلا فسوف يكون تفسيره تفسيراً ناقصاً.



مثال: ورد الأمر في سورة المجادلة بأنَّ على المؤمنين أن يتصدَّقوا في حالة وجود كلام خصوصي لهم مع النبي ﷺ، ولم يعمل بهذا الحكم إلا الإمام عليّ ﷺ، وقد نُسخ هذا الحكم في الآيات الأخرى (1)، وعلى هذا فبيان الحكم الأوَّل بدون ذكر الناسخ في الآية الأخرى يكون تفسيراً ناقصاً.

## ٨- الالتفات إلى الآيات المشابهة (من حيث اللفظ أو المحتوى)

القرآن الكريم كتاب هداية وتربية، فقد يطرح الموضوع الواحد في عدَّة سور وتتناول كلُّ سورة من السور جانباً من جوانب هذا الموضوع بصورة قد تتشابه في التفسير، فإذا أراد المفسِّر الشموليَّة في فهم الموضوع، عليه أن يضع الآيات بعضها مع بعضها الآخر حتَّى يتضح معناها.

فقد تأخذ هذه الطريقة في الواقع اسم التفسير الموضوعي كما فعل ذلك آية الله مكارم الشيرازي في كتابه التفسيري (نفحات القرآن) وآية الله السبحاني في كتاب (مفاهيم القرآن)، أو قد تأخذ طابع التفسير الترتيبي فيما إذا قام المفسِّر بجمع آيات الموضوع الواحد في موارد مختلفة من التفسير، كما استخدم العلامة الطباطبائي هذه الطريقة في تفسير الميزان.

**المثال الأوَّل:** قام العلامة الطباطبائي في الآية (٢٩) من سورة البقرة بدراسة المباحث المتعلقة بإعجاز القرآن والآيات التي جاءت حوله.

**المثال الثاني:** طريقة تفسير القرآن بالقرآن لها ثمرات عمليَّة كثيرة في تفسير القصص القرآني فقد ذكرت قصة النبيِّ آدم ﷺ وإبليس في الآيات (٢٨.٢٠) من سورة البقرة، والآيات (٢٥.١١) من سورة الأعراف، وكذلك وردت قصة النبيِّ موسى ﷺ وإبليس في الآيات (١٥٥.١٠٣) من سورة الأعراف،

(١) وذلك في قوله تعالى: ﴿تَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُنُودِكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ يَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ مَا نَسْفَعُكُمْ أَن تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُنُودِكُمْ صَدَقَةٌ فَإِذ لَّمْ تَفْعَلُوا وَآتَى اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴿﴾ (سورة المجادلة، الآيتان: ١٢.١٣).

والآيات (٩٠.٩٨) من سورة طه، والآية (١٠) من سورة الشعراء فما بعد، فقد تناولت كل من هذه السور أحد المواضيع بصورة مختلفة ومن أبعاد وزوايا متعدّدة، فنضطر حينئذٍ لمراجعة جميع هذه السور للحصول على تفسيرها بشكل شمولي.

## ● خلاصة الدرس

هناك أنواع متعدّدة من أنواع تفسير القرآن بالقرآن، ولكن أكثرها شيوعاً واستعمالاً هي:

- ١ - إرجاع المتشابهات إلى المحكمات.
- ٢ - حمل الآيات المطلقة على المقيّدة.
- ٣ - حمل الآيات العامّة على الخاصّة.
- ٤ - توضيح الآيات المجملّة بالمبيّنة والمفصّلة.
- ٥ - الاستفادة من السياق في التفسير.
- ٦ - تحديد معاني الاصطلاحات القرآنية بالاستعانة بالآيات الأخرى.
- ٧ - الجمع بين الآيات الناسخة والمنسوخة.
- ٨ - الالتفات إلى الآيات المتشابهة من حيث الموضوع.



## منهج التفسير الروائي للقرآن الكريم



### أهداف الدرس

- أن يتعرّف الطالب إلى منهج التفسير الروائي
- أن يطلّع على الأدوار التاريخية للمنهج الروائي
- أن يطلّع على الآراء الرئيسة بالنسبة إلى مكانة الأحاديث في تفسير القرآن







## تمهيد

يُعتبر منهج التفسير الروائي من أقدم المناهج التفسيرية وأكثرها شيوعاً. وهو أحد أقسام «التفسير بالمأثور» أو «التفسير النقلي». وللتفسير الروائي مكانة خاصة بين المناهج التفسيرية، وكان دائماً محط اهتمام المفسرين.

وقد اتخذ في بعض الأحيان اتجاهات متطرفة حيث إن بعض المفسرين لم يرتض إلا هذا المنهج في التفسير ورفض بقية المناهج. وفي الواقع إن هناك اتجاهات مخالفة لهذه الطريقة المتطرفة ومعتدلة في استخدام هذا المنهج.

وسوف نقوم هنا ببحث بعض الأمور المتعلقة بهذا المنهج وهي:

## معنى التفسير الروائي

الرواية في الأصل تعني «النقل والحمل»، ورواية الحديث بمعنى نقل وتحمل الحديث. وقد قسم العلماء التفسير بالمأثور (التفسير النقلي) إلى أربعة أقسام:



١- تفسير القرآن بالقرآن.

٢- تفسير القرآن بالسنة.

٣- تفسير القرآن بأقوال الصحابة.

٤- تفسير القرآن بأقوال التابعين<sup>(١)</sup>.

ولكن المقصود من التفسير الروائي هو تفسير القرآن بالسنة والتي تعني «قول وفعل وتقرير» المعصوم (النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام)، أي إنه قد يصدر عن المعصوم كلام في تفسير آية، وقد يقوم بعمل (كالصلاة) يكون تفسيراً للآيات المتعلقة بالصلاة، وقد يكون تقريراً من المعصوم وذلك فيما إذا صدر عن شخص كلام أو عمل عملاً طبقاً لبعض الآيات في حضور الإمام وأقره على ذلك، أي إن المعصوم يؤيد هذا الكلام أو الفعل بسكوته عن ذلك الفعل أو القول.

والحاصل: إن المقصود من منهج التفسير الروائي هنا هو استفادة المفسر من سنة النبي ﷺ وأهل البيت عليهم السلام، والتي تشمل قولهم وفعلهم وتقريرهم، لتوضيح معاني آيات القرآن ومقاصدها، وهذا المنهج يحقق نتائج وأثاراً خاصة أيضاً.

ملاحظة: رغم أنه يمكن الاستفادة من روايات الصحابة والتابعين في تفسير القرآن في موارد خاصة، وأن الكثير من أقوالهم في التفسير يُعتبر نافعا ومفيداً ولكن هناك اختلاف بين علماء المسلمين في حجية سننهم ومساحة اعتبار رواياتهم.

(١) أنظر: التفسير والمفسرون، الشيخ محمد هادي معرفة، ج ٢، ص ٢١.



## الأدوار التاريخية للمنهج الروائي

يمكن تقسيم الأدوار التاريخية للتفسير الروائي إلى أربعة أدوار:

### ١. عصر النبي ﷺ

نشأ التفسير الروائي مُقارناً للوحي: لأنَّ النبي ﷺ هو أوَّل مُفسِّر ومُبيِّن للقرآن، وقد جاء الأمر الإلهي بهذا الخصوص في قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾<sup>(١)</sup>. الحقُّ أنَّ سُنَّةَ النبي ﷺ وبيانهُ يرجع في جذوره إلى الوحي أيضاً، كما روي عن الرسول ﷺ: «ألا وإنِّي أُوتيت القرآن ومثله معه»<sup>(٢)</sup>. فقد كان الصحابة يرجعون إلى النبي ﷺ في تفسير القرآن ويأخذون منه معانيه. روي عن ابن مسعود أنه قال: «كان الرجل منّا إذا تعلّم عشر آيات لم يجاوزهنَّ حتّى يعرف معانيهنَّ والعمل بهنَّ»<sup>(٣)</sup>.

وقد يكون عمله ﷺ تفسيراً للقرآن، كما روي عنه ﷺ أنه قال بشأن الصلاة: «صلّوا كما رأيتموني أصلي»<sup>(٤)</sup>، وروي عنه أنه قال «خذوا عني مناسككم»<sup>(٥)</sup>. وفي هذه الصورة تكون أفعال النبي ﷺ تفسيراً لجزئيات الصلاة والحج.

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إنَّ الله أنزل على رسوله الصلاة، ولم يُسمِّ لهم ثلاثاً ولا أربعاً، حتّى كان رسول الله ﷺ هو الذي فسّر لهم ذلك»<sup>(٦)</sup>. نعم لقد بيّن الرسول ﷺ المسائل التي ذُكرت بصورة كلية في القرآن الكريم مثل (الصلاة، الصوم، الحج و...)، وكذلك وضّح موارد تخصيص العمومات

(١) سورة النحل، الآية: ٤٤.

(٢) الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، ج ٤، ص ١٧٤.

(٣) جامع البيان في تفسير القرآن، محمّد بن جرير الطبري، ج ١، ص ٢٧-٢٨، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٦هـ.

(٤) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٨٥، ص ٢٧٩.

(٥) الخلاف، الشيخ الطوسي، ج ٢، ص ٢٢٣.

(٦) الكافي، الشيخ الكليني، ج ١، ص ٢٨٦.



وتقييد المطلقات، وبيّن الاصطلاحات الجديدة في القرآن، والناسخ والمنسوخ. وجميع هذه الأمور كانت تفسيراً للقرآن وصلتنا بواسطة الروايات والسنة ولا تزال موجودة كمصادر للتفسير الروائي.

## ٢ - عصر أهل البيت عليهم السلام

استمرت طريقة التفسير الروائي إلى عصر الأئمة عليهم السلام. وكان الإمام علي عليه السلام - تلميذ الرسول صلى الله عليه وسلم في التفسير - يسمع ما يقوله النبي صلى الله عليه وسلم في تبين آيات القرآن ويقوم بنقله وروايته، وقد أتبع أهل البيت عليهم السلام هذا المنهج أيضاً، فكانوا ينقلون الأحاديث للناس عن النبي صلى الله عليه وسلم والإمام عليه السلام ويستدلون بها، وقد وصل عدد الروايات المروية عنهم عليهم السلام إلى بضعة آلاف وقد تصدى أهل البيت عليهم السلام لتفسير القرآن لاطلاعهم على العلوم الإلهية؛ ولذا اعتبرت سنتهم (قولهم وفعلهم وتقريرهم) من مصادر التفسير وجزءاً من التفسير الروائي؛ وفي هذا الإطار سأل رجل الإمام الرضا عليه السلام فقال: إنك لتفسر من كتاب الله ما لم يسمع. فقال: «علينا نزل قبل الناس ولنا فسر قبل أن يفسر في الناس، فنحن نعرف حاله وناسخه ومنسوخه و...»<sup>(١)</sup> وقال في حديث آخر: «فإنما على الناس أن يقرؤا القرآن كما أنزل، فإذا احتاجوا إلى تفسيره فالاهتداء بنا وإلينا»<sup>(٢)</sup>.

وعلى هذا، قام أهل البيت عليهم السلام بتبيين مسائل متنوعة في مجال الأمور الكلية التي وردت في القرآن وآيات الأحكام، المخصّصات، المقيّدات، الناسخ والمنسوخ، وكذلك تبين باطن الآيات وتأويلها ومصاديقها.

(١) تفسير نور الثقلين، عبد علي بن جمعة الحويزي، ج ٤، ص ٥٩٥، ح ١٩، المطبعة العلمية، قم، ط ١٢٨٢ هـ.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٢٧، ص ١٩٧.



### ٣- عصر الصحابة والتابعين

حظيت الروايات التفسيرية للنبي ﷺ وأهل البيت  باهتمام الصحابة والتابعين، حتى أن بعض الصحابة الكبار أمثال ابن عباس وابن مسعود كانوا لا يرون أنفسهم مستغنيين عن الإمام عليّ ، والاستفادة من علمه. وإن كثيراً من أحاديث التفسير لابن عباس تلقاها عن الإمام عليّ .

وفي الحقيقة إن الصحابة والتابعين قاموا بتفسير القرآن أيضاً، وقد وصلتنا روايات كثيرة عن ابن عباس وغيره.

يذكر أن الروايات التفسيرية في هذه الفترة جمعت بصورة تدرجية باسم «كتب التفسير الروائي».

### ٤- عصر جمع وتأليف الروايات التفسيرية

أول تدوين في هذه المجموعة عند الشيعة هو الكتاب المنسوب إلى الإمام عليّ ، والذي ورد على شكل رواية مفصلة في بداية تفسير النعماني<sup>(١)</sup>.

وهناك كتاب آخر، هو مصحف عليّ بن أبي طالب، الذي جاء فيه تأويل القرآن والتفسير وأسباب النزول والناسخ والمنسوخ وهو مرتب على حسب النزول، وإن كان هذا الكتاب ليس في متناول أيدينا الآن<sup>(٢)</sup>.

ثم التفسير المنسوب إلى الإمام الباقر  (٥٧-١١٤هـ) المعروف بتفسير عليّ بن إبراهيم القمي المنقول عن طريق أبي حمزة الثمالي وأبي الجارود، والتفسير المنسوب إلى الإمام الصادق  (٨٣-١٤٨هـ)، وتفسير فرات

(١) قد تُذكر هذه الرسالة بعنوان رسالة المحكم والمتشابه، وتُنسب إلى السيد المرتضى، وقد رويت في بحار الأنوار (المجلدات المختصة بالقرآن).

(٢) أنظر: بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٨٩، ص ٤٠.

الكوفي (كان حياً في سنة ٣٠٧هـ)، والتفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام (٢٣٢ - ٢٦٠هـ).

وقد جمعت الروايات الفقهية عن النبي ﷺ وأهل البيت عليهم السلام في مجاميع روائية مثل: الكافي، ومن لا يحضره الفقيه، والتهذيب، والاستبصار؛ كما دُون في هذا الوقت تفسير جامع البيان في تفسير القرآن لابن جرير الطبري (ت ٣٢٠هـ)، وكذلك الصحاح الستة لأهل السنة.

ثم واجهت حركة تدوين التفاسير ركوداً نسبياً من القرن الخامس إلى التاسع الهجري؛ فيما برزت التفاسير العقلية والاجتهادية.

وفي عصر كتابة التفاسير الجديدة، برز الاهتمام بالروايات التفسيرية والتي عادة ما تُبحث خلال التفسير أو بصورة منفصلة؛ كما فعل العلامة الطباطبائي حيث يذكر البحث الروائي بعد كل مجموعة من الآيات.

**ملاحظة:** لم تسلم الروايات التفسيرية في عصر التدوين والجمع من ظاهرة الوضع، ووجود الأسرائيليات وتسلل بعض الروايات الضعيفة؛ وهذا ما يستوجب الحذر والدقة عند الاستفادة من بعض الكتب الروائية.

## مكانة الروايات في التفسير

يمكن تقسيم آراء العلماء حول مكانة وحدود الاستفادة من الروايات في التفسير إلى ثلاثة آراء:

١- استقلال القرآن وعدم احتياجه إلى الأحاديث في التفسير:

ومنشأ هذا الرأي هو أن القرآن نزل بلسان عربي مبين، وأنّ العقل يكفي لفهم القرآن ولا يحتاج إلى الأحاديث لتفسيره.



وهذا الرأي يتعارض مع ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾<sup>(١)</sup>، وكذا حديث الثقلين، ويمكن أن يقال بأن الجذور التاريخية لهذا الرأي ترجع إلى شعار «حسبنا كتاب الله»، الذي رُفِعَ في عصر النبي ﷺ والذي أصرَّ على فصل القرآن عن أهل البيت ﷺ.

## ٢- عدم جواز تفسير القرآن إلا بالروايات:

وهو الرأي المتطرف المنسوب إلى الأخباريين، وقد ناقشناه في مبحث تفسير القرآن بالقرآن.

## ٣- اتخاذ الروايات وسيلة وقرينة لتفسير آيات القرآن:

وهو الرأي المعتدل والمختار، والذي يعتبر الروايات الشريفة قرائن لتفسير القرآن، وأدوات لتوضيح معاني ومقاصد الآيات، ولها استخدامات متنوعة في التفسير، كما هو الحال بالنسبة إلى القرائن العقلية وآيات القرآن. فأحاديث أهل البيت ﷺ لا يمكن أن تفرق عن القرآن لأنه الأصل والروايات هي الفرع لذلك الأصل.

وفي الختام يُمكن أن يُقال إنَّ سُنَّةَ النبي ﷺ وأهل البيت ﷺ تعتبر مصدراً لتفسير القرآن من جهة، ومن جهةٍ أخرى تكون قرينة ووسيلة للتفسير ولا يوجد تنافي بين الإثنين.



- المقصود من الرواية في «منهج التفسير الروائي» هو السُّنَّة نفسها - قول وفعل وتقرير المعصوم عليه السلام - وتشمل سنة النبي صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام .

- بدأ التفسير الروائي في عهد النبي صلى الله عليه وآله واستمرَّ إلى زمن أهل البيت عليهم السلام والصحابة، الذين نقلوا الروايات التفسيرية للنبي صلى الله عليه وآله في الكثير من أقوالهم، ثمَّ جمعت في مجاميع تفسيرية.

- هناك ثلاثة آراء رئيسة بالنسبة إلى مكانة الأحاديث في تفسير القرآن:

- ١- استقلال القرآن وعدم حاجته إلى الأحاديث.
  - ٢- عدم جواز تفسير القرآن إلا بالأحاديث.
  - ٣- استخدام الروايات كوسيلة وقرينة في التفسير.
- ولكلٍّ من هذه الآراء أدلة خاصة تعرّضنا لها بشكل إجمالي.



## ملاحظات على التفسير الروائي



### أهداف الدرس

- أن يتعرّف الطالب إلى آفات التفسير الروائي
- أن يطلع على بعض كتب التفسير الروائي
- أن يطلع على نموذج من أصحاب التفسير الروائي







## تمهيد

علمنا أنّ التفسير النقلّي يشمل ما كان تفسيراً للقرآن بالقرآن، وما كان تفسيراً للقرآن بالسنة، وما كان موقوفاً على الصحابة، أو المروي عن التابعين، أمّا تفسير القرآن بالقرآن بعد وضوح الدلالة فهو ممّا لا خلاف فيه، وكذلك بما ثبت من السنة الصحيحة.

وأما ما أضيف إلى النبي ﷺ أو إلى أحد الأئمة الأطهار عليهم السلام، وكان في سنده ضعف أو في متنه وهن، فذلك مردود غير مقبول، ما دام لم تصح نسبته إلى المعصوم عليه السلام.

وأما تفسير القرآن بالمروي عن الصحابة والتابعين، فقد تسرب إليه الخلل، وتطرّق إليه الضعف والوهن الكثير، إلى حدّ كاد يفقدنا الثقة بكل ما روي من ذلك.

## أسباب الوهن في التفسير الروائي

وعلى أيّ تقدير فأسباب الوهن في التفسير الروائي تعود إلى الأمور الثلاثة

التالية:





## ١ - ضعف الأسانيد

مما يوجب الوهن في التفسير الروائي، ضعف الأسانيد بكثرة المجاهيل أو ضعف الحال أو الإرسال أو حذف الإسناد رأساً، وما إلى ذلك مما يوجب ضعف الطريق في الحديث المأثور.

## ٢ - الوضع في التفسير

كان الوضع والدس من أهم أسباب الوهن في التفسير الروائي، وكانت الدواعي متوفرة للدس والاختلاق في المأثور من التفسير، إلى جنب الوضع في الحديث، فهناك أسباب سياسية وأخرى: مذهبية وكلامية، وربما عاطفية.

وقد تفعل ذلك على يد معاوية، حيث كان يجعل الجعائل على وضع الحديث أو قلبه تمشية لسياسته الغاشمة ذلك الحين، وراج ذلك طوال عهد الأمويين وبعدهم في عهد العباسيين.

وأما أهم أسباب الوضع بشكل عام:

وهذه الأسباب التي سنوردها لها تأثير بشكل ولو غير مباشر على الأحاديث التي تفسر القرآن الكريم أو ترتبط به بوجه، وهي:

١- ما وضعه الزنادقة اللابسون لباس الإسلام غشاً ونفاقاً، وقصدهم بذلك إفساد الدين وإيقاع الخلاف والافتراق بين المسلمين، قال حماد بن زيد: وضعت الزنادقة أربعة آلاف حديث<sup>(١)</sup>، وروى ابن الجوزي بإسناده إلى حماد بن زيد، يقول: وضعت الزنادقة على رسول الله ﷺ أربعة عشر ألف حديث<sup>(٢)</sup>. وهذا يعني أن هناك عدداً من الأحاديث لا يمكن الاستدلال بها في التفسير.

(١) أضواء على السنة المحمدية، ص ٢٢١.

(٢) الموضوعات لابن الجوزي: ج ١، ص ٣٧-٣٨.



٢. الوضع لنصرة المذاهب في أصول الدين وفروعه، فقد جعل العديد من أصحاب المذاهب يستفرض ما بوسعه لإثبات مذهبه ودعم عقيدته.

٣. وضع الحديث تزلفاً لدى الأمراء، فمثلاً كان الرشيد يعجبه الحمام واللهوبه، فأهدي إليه حمام، فروى له أبو البخترى عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: لا سبق إلا في خف أو حافر أو جناح. فزاد جناح<sup>(١)</sup>.

٤. الوضع نزولاً مع سياسة الطغاة، فقد حث معاوية قوماً من الصحابة والتابعين، على رواية أخبار قبيحة في الإمام عليّ ﷺ تقتضي الطعن فيه والبراءة منه، وجعل لهم أموالاً طائلة مقابل ذلك، ومن هؤلاء: أبو هريرة، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، ومن التابعين عروة بن الزبير.

٥. الوضع نزولاً مع رغبة العامة، ورغبة في ما بأيديهم من حطام الدنيا. وهذه مهنة القصاصين. وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «قد كثرت عليّ الكذابة وستكثر. فمن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار. فإذا أتاكم الحديث فاعرضوه على كتاب الله وسنتي، فما وافق كتاب الله وسنتي فخذوه، وما خالف كتاب الله وسنتي فلا تأخذوا به»<sup>(٢)</sup>.

### ٣- الإسرائيليات

كانت العرب منذ أول يومها تزعم أن أهل الكتاب، ولا سيما اليهود القاطنين بين أظهرهم، أهل دين وثقافة ومعرفة بشؤون الحياة، ومن ثم كانوا يراجعونهم فيما تتوق إليه نفوسهم في معرفة شؤون الخليقة وتواريخ الأمم السالفة والأنبياء وما إلى ذلك.



(١) تفسير القرطبي، ج ١، ص ٧٩-٨٠.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٢، ص ٢٢٥.

وبعد ظهور الإسلام حثَّ القرآن الكريم العرب على مسائلة أهل الذكر والكتاب بالنسبة إلى علامات نبوة النبي محمد ﷺ. قال تعالى: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

وقد حسب بعض المسلمين الأوائل، أن ذلك تجويز لهم أيضاً في مراجعة اليهود، وسؤالهم عن بعض شؤون الشريعة ومعارفها. من هنا جاء النهي عن مراجعة أهل الكتاب من القرآن والسنة<sup>(٢)</sup>.

### ومن أشهر من روى الإسرايليات:

١. **عبد الله بن سلام:** كان حبراً من أبحار اليهود، فأسلم عند مقدم النبي ﷺ إلى المدينة، وكان عبد الله بن سلام ممن يحوِّك الأحاديث ليستجلب أنظار العامة ليرفع منزلته لديهم، من ذلك ما حاكه حول صفة رسول الله ﷺ في التوراة، فكان يذكر من أوصاف الرسول الراهنة، ويقول: وجدتُها كذلك في التوراة<sup>(٣)</sup>، وكان يدعي أنه أعلم اليهود وأخبرهم بكتب السالفين.

٢. **تميم بن أوس الداري:** جاء مع عشرة نفر من بني عبد الدار على رسول الله ﷺ بعد منصرفه من تبوك سنة (٩هـ) فأسلم مع أخيه وكانا نصرانيين، وقيل عنه: كان تميم راهب عصره وعابد فلسطين وقد بالغ أصحاب التراجم بشأنه وذكروا له كرامات ومناقب من نسج الخيال، وهذا الكاهن المسيحي والذي بقيت معه نزعتة المسيحية إلى ما بعد إسلامه. هو أوّل من سنّ القصّ في المسجد، وذلك على عهد عمر بن الخطاب.

٣. **كعب الأبحار:** من كبار أبحار اليهود، كان أبوه كاهناً، ولد قبل الهجرة

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٧.

(٢) أنظر: التفسير والمفسرون، الشيخ محمد هادي معرفة، ج ٢، ص ٥٩٦-٥٩٧.

(٣) أنظر: الطبقات، ابن سعد، ج ١، ص ٨٧.



بأثنتين وسبعين سنة، وأسلم بعد وفاة النبي ﷺ في أوائل خلافة عمر، وهلك أيام عثمان سنة (٣٢هـ).

اصطفاه معاوية وجعله من مستشاريه، وأمره أن يقص في بلاد الشام، وبذلك أصبح أقدم الأخباريين في موضوع الأحاديث اليهودية والمتسرّبة إلى الإسلام والتي تحتوي على طائفة من أقاصيص التلمود - الإسرائيليات - وما لبثت هذه الروايات أن أصبحت جزءاً من الأخبار التفسيرية والتاريخية في حياة المسلمين.

**٤. عبد الله بن عمرو بن العاص:** أسلم قبل أبيه عمرو، وعمرو أسلم قبل الفتح سنة ثمان، ولد عبد الله قبل الهجرة بسبع سنين، ومات سنة (٦٥هـ).

هو أوّل من أشاع الإسرائيليات بعد وفاة النبي ﷺ، ويبرّر ذلك بما رواه عن رسول الله ﷺ من قوله: «حدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج»<sup>(١)</sup>.

**٥. أبو هريرة:** لم يُعرف أصله ولا نسبه ونشأته، ولا شيء من تاريخه قبل إسلامه، غير ما ذكر هو عن نفسه، من أنّه كان يلعب بهرة صغيرة وأنّه كان معدماً فقيراً، يخدم الناس على شبع بطنه.

أخذ العلماء على أبي هريرة كثرة حديثه عن النبي ﷺ، مع قلة صحبته وقلة بضاعته حينذاك، ومن ثمّ رموه بالتدليس والاختلاق. كان يسمع الحديث من أحد الصحابة ثمّ يدّلس، فيرفعه إلى النبي ﷺ.

وكان كثيراً ما يسمع الحديث من أهل الكتاب ولا سيّما كعب الأحبار، فيسندنه إلى النبي ﷺ أو أحد كبار صحابته تدليساً وتمويهاً على العامة.

**٦. وهب بن منبه:** ولد سنة (٣٤هـ) ومات سنة (١١٠هـ).

(١) صحيح البخاري، ج ٤، ص ٢٠٧.

٧. محمد بن كعب القرطبي: ولد سنة (٣٩هـ) ومات سنة (١١٧هـ).

٨. ابن جريج: من أصل رومي نصراني (٨٠، ١٥٠هـ)<sup>(١)</sup>.

## أهم كتب التفسير الروائي

أمّا عند الشيعة - غير ما تقدّم في ص ٩٩-١٠٠، تفسير فرات الكوفي (كان حياً سنة ٣٠٧هـ)، وتفسير العياشي (ت: حوالي ٣٢٠هـ)، تفسير النعماني (ت: ٣٤٢هـ)، وتفسير الصافي (لفيض الكاشاني، ت: ١٠٩١هـ)، والبرهان (السيد هاشم البحراني، ت: ١١٠٧هـ)، ونور الثقلين (لعلي بن جمعة الحويزي، ت: ١١١٢هـ).

أمّا عند السنة فهناك جامع البيان لابن جرير (ذهب البعض إلى كونه من الشيعة) (ت: ٣١٠هـ)، والدّر المنثور في التفسير بالمأثور (لجلال الدّين السيوطي، ت: ٩١١هـ)، وهذان التفسيران يحتويان على روايات ضعيفة وموضوعة فضلاً عن الإسرائيليات، وتفسير ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ).

## نموذج عن أصحاب التفسير بالمأثور

### الطبري صاحب جامع البيان

هو أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤-٣١٠هـ) نسبة إلى طبرستان، ولد بآمل من بلاد مازندران- إيران، رحل إلى بغداد واستقرّ بها ونشر علمه هناك حتّى توفّاه الله.

يعتبره بعضهم أباً للتفسير وكذلك للتاريخ لجامعيّة تفسيره واستقصائه لآراء السلف وأقوالهم وعلى الرغم من ذكره للإسرائيليات، واحتوائه على الروايات

(١) أنظر: التفسير والمفسّرون، الشيخ محمد هادي معرفة، ج ٢، ص ٦٢١-٦٢٧.



الضعاف، يُعدّ من أهمّ المراجع التفسيرية الجامعة لآراء السلف عند السنّة، ولولاه لربّما ضاعت أكثر تلكم الآراء.

### منهجه في التفسير ونقد الآراء

إنّه يذكر الآية أولاً ثمّ يعقبها بتفسير غريب اللغة فيها، أو إعراب مشكلها، وربّما يستشهد بأشعار العرب وأمثالهم، وبعد ذلك يتعرّض لتأويل الآية، أي تفسيرها على الوجه الراجح، فيأتي بحديث أو قول مأثور إن كان هناك رأي واحد، وأمّا إذا ازدحمت الآراء، فعند ذلك يذكر كلّ تأويل على حدة، وربّما رجّح لدى تضارب الآراء أحدهما وأتى بمرجّحاته.

### موقفه تجاه أهل الرأي في التفسير

إنّه يقف في وجه أهل الرأي في التفسير موقفاً عنيفاً، ويرى ذلك مخالفة بيّنة لظاهر دلائل الشرع، ويشدّد في ضرورة الرجوع إلى العلم المأثور عن الصحابة والتابعين، وأنّ ذلك وحده هو علامة التفسير الصحيح.

### موقفه تجاه أهل الظاهر

كان الطبري إذا رأى من ظاهر النقل ما يتنافى مع العقل، يعمد إلى التأويل بوجه مقبول، ويستنكر على أولئك الذين يقتنعون بظاهر التعبير من غير تعقل أو تحصيل.

نراه عند تفسير الاستواء من سورة البقرة<sup>(١)</sup> يواجه آراءً يستنكرها ويؤوّل

الآية بما لا يستدعي التحيّز في ذاته تعالى، الأمر الذي استنكره عليه مشايخ الحنابلة ببغداد.



## موضع ولائه لآل البيت عليهم السلام

لم نجد عالماً من أعلام الأمة إلا وهو خاضع لولاء آل بيت الرسول ﷺ، لذا يقول عنه الذهبي: الإمام الجليل المفسر، ثقة صادق، فيه تشييع وموالاتة لا تضر<sup>(١)</sup> أي تشييع من غير مغالاة. ومن ثم فآثار هذا التشييع والولاء بادية أثناء تفسيره الجامع وكذا تاريخه الكبير، ومن الشواهد على ذلك تفسيره لآية التطهير (الأحزاب: ٣٣) حيث يروي ستة عشر حديثاً مسنداً مؤكداً أنها نزلت في عليّ وفاطمة والحسن والحسين خاصة<sup>(٢)</sup>، وصنّف كتاباً في مجلدين بشأن حديث الغدير، وله تأليف آخر بشأن حديث «الطير المشوي» في فضل الإمام عليّ عليه السلام.

وذكر أنه دفن ليلاً خوفاً من العامة، لأنه كان يتهم بالتشييع، ومع ذلك اجتمع على جنازته من لا يحصى عددهم.

## خلاصة الدرس

- من الآفات الكبيرة للتفسير الروائي تسرب الخلل إليه، والضعف والوهن، حتى كاد يصل الأمر إلى فقدان الثقة بكل ما روي في ذلك.
- أهم أسباب الوهن في التفسير النقلي:
- ضعف الأسانيد.

ب- الوضع في التفسير وأسباب الوضع كثيرة، منها:

- ١- ما وضعه الزنادقة اللباسون لباس الإسلام نفاقاً.
- ٢- الوضع لنصرة المذاهب في أصول الدين وفروعه.

(١) ميزان الاعتدال، أبو عبد الله الذهبي، ج ٣، ص ٤٩٨-٤٩٩، رقم ٧٣٠٦.

(٢) جامع البيان في تفسير القرآن، أبو جعفر بن جرير الطبري، ج ٢٢، ص ٧٠٥، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٦هـ.



٣- وضع الحديث تزلفاً لدى الأمراء.

٤- الوضع نزولاً مع رغبة العامة.

ج - الإسرائيليات، ومن أقطاب مُحدّثي الروايات الإسرائيلية: عبد الله بن سلام، وتميم بن أوس الداري، وكعب الأحبار، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وأبو هريرة، ووهب بن منبّه، ومحمّد بن كعب القرطبي، وابن جريج.

- ذكرنا أهمّ كتب التفسير الروائية عند الشيعة والسنة.

- ذكرنا نموذجاً تطبيقياً لأشهر كتب التفسير الروائي وهو تفسير ابن جرير

الطبري.









## التفسير في عهد الصحابة (ابن عباس نموذجاً)



### أهداف الدرس

- أن يعدّد الطالب إلى أهمّ الصحابة المعروفين في التفسير
- أن يطلع على ابن عباس نموذجاً في التفسير







## تمهيد

لا شك أنّ الصحابة، ممّن ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾<sup>(١)</sup> كانوا هم مراجع الأمة بعد الرسول ﷺ إذ كانوا حاملِي لوائه ومصادر شريعته إلى الملام، نعم كانوا على درجات من العلم والفضيلة، ولا يشكُّ أحد بأنَّ الإمام عليّ ﷺ الذي ينحدر عنه السيل ولا يرقى إليه الطير<sup>(٢)</sup> كان في صدارة هؤلاء الصحابة والتلامذة النجباء لرسول الله ﷺ، وعرف من أسباب النزول ما لا يعرفه أحد لملازمته للنبي ﷺ.

## المفسِّرون من الصحابة

اشتهر بالتفسير من الصحابة أربعة، لا خامس لهم في مثل مقامهم في العلم بمعاني القرآن، وهم؛ عليّ بن أبي طالب ﷺ: وكان رأساً وأعلم الأربعة، وعبد الله بن مسعود، وأبيّ بن كعب، وعبد الله بن عباس، كان أصغرهم وأوسعهم باعاً في نشر التفسير.

ولهذا نرى أنه من الضروري الإطالة الإجمالية على دور هذه الشخصيات في علم التفسير، ونختم الكلام بنموذج شبه تفصيلي.

(١) أنظر سور: المائدة، الآية: ١١٩، المجادلة، الآية: ٢٢، البينة، الآية: ٨، التوبة، الآية: ١٠٠.  
(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ٢ (الشقشقية).



## من أعلم الصحابة بمعاني القرآن

### ١. الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

قال ابن عباس: جلّ ما تعلّمت من التفسير، من علي بن أبي طالب عليه السلام. وقال: عليّ علمٌ علماً علّمه رسول الله، ورسول الله علّمه الله فعلم النبي من علم الله، وعلم عليّ من علم النبي، وعلمي من علم عليّ عليه السلام. وما علمي وعلم أصحاب محمد ﷺ في علم عليّ إلا كقطرة في سبعة أبحر<sup>(١)</sup>.

وقال ابن مسعود: إنّ القرآن أنزل على سبعة أحرف، ما منها حرف إلا وله ظهر وبطن، وإنّ عليّ بن أبي طالب عنده من الظاهر والباطن<sup>(٢)</sup>.

ويصف الإمام عليه السلام نفسه وموضعه من رسول الله ﷺ فيقول: «سلوني عن كتاب الله، فإنه ليست آية إلا وقد عرفت بليل نزلت أم بنهار، في سهل أو جبل»<sup>(٣)</sup>. «والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيم نزلت، وأين نزلت إن ربّي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً سؤولاً»<sup>(٤)</sup>.

### ٢. عبد الله مسعود

هو من السابقين إلى الإيمان، وأوّل من جهر بالقرآن بمكّة، وأوذي في الله من أجل ذلك، وكان من أحفظ الناس لكتاب الله، وكان النبي ﷺ يحبُّ أن يسمع القرآن منه، وكانت له مكانة سامية في التفسير لذا كان يقول: «والذي لا إله غيره، ما نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيم نزلت وأين نزلت» وروي عنه الكثير لا سيّما من قبل كبار المفسّرين من التابعين، والمتّفق عليه أنه أخذ العلم من عليّ عليه السلام بعد رسول الله ﷺ وليس من غيره بتاتاً. وكان ابن مسعود ممّن

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٨٩، ص ١٠٥، ١٠٦.

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، ج ٢، ص ٥٠٩، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.

(٣) تفسير العياشي، محمّد بن مسعود العياشي، ج ٨، ص ٢٨٢، المكتبة العلمية الإسلامية، طهران.

(٤) أنظر: التفسير والمفسّرون، الشيخ محمّد هادي معرفة، ج ١، ص ١٩٠.



شدّ وثاقه بولاء آل بيت رسول الله ﷺ، لم يشذّ عن طريقتهم المثلّى منذ أول يومه إلى آخر أيام حياته<sup>(١)</sup>.

### ٣- أبيّ بن كعب

أبيّ بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجّار.

عدّه الشيخ الطوسي رَحِمَهُ اللهُ فِي رِجَالِهِ<sup>(٢)</sup> بهذا العنوان من أصحاب رسول الله ﷺ وقال يكنى أبا المنذر شهد العقبة مع السبعين وكان يكتب الوحي، آخى رسول الله ﷺ بينه وبين سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل. شهد بدرًا والعقبة وباع لرسول الله ﷺ. ومثله بحذف اسم آبائه إلى كنيته ما في الخلاصة في قسم المعتمدين<sup>(٣)</sup>، وقد نقل عنه في التفسير الكثير.

### ٤- عبد الله بن عباس

حبر الأمة وترجمان القرآن وأعلم الناس بالتفسير - تنزيله وتأويله - تلميذ الإمام عليّ عَليهِ السَّلَامُ، وقد بلغ من العلم مبلغاً قال في حقّه الإمام عليّ عَليهِ السَّلَامُ: «كأنما ينظر إلى الغيب من ستر رقيق»<sup>(٤)</sup>. ولا غرو في ذلك فإنّ الرسول ﷺ قد دعا له بقوله: «اللهم فقّهه في الدين وعلمه التأويل»<sup>(٥)</sup> وقال ﷺ: «ولكلّ شيء فارس، وفارس القرآن ابن عباس»<sup>(٦)</sup>.

ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، وتربّى في حجر النبيّ ﷺ ثمّ الإمام عليّ عَليهِ السَّلَامُ،



(١) التفسير والمفسرون، الشيخ محمّد هادي معرفة، ج ١، ص ١٩٣.

(٢) رجال الطوسي، ص ٢٢، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٥هـ.

(٣) خلاصة الأقوال، العلامة الحلي، ج ١، ص ٦٦، مؤسسة نشر الفقاهة، ط ١، ١٤١٧هـ.

(٤) م. ن، ج ٣، ص ١٩.

(٥) م. ن.

(٦) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٢٢، ص ٢٤٣.

ومن ثمّ كان من المتفانين في ولاء الإمام عليّ عليه السلام.

وكان يراجع سائر الاصحاب ممّن يحتمل عنده شيء من أحاديث الرسول وسُنّنه، فكان يأتي أبواب الأنصار ممّن عنده علم من الرسول، ويستطرق الأبواب لكبار الصحابة ليسأل عما يريد. قيل لطاووس<sup>(١)</sup>: لزمّت هذا الغلام - يعني ابن عباس لكونه أصغر الصحابة يومذاك - وتركت الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ؟ قال: «إني رأيت سبعين رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ، إذا تدارؤوا في أمر صاروا إلى قول ابن عباس»<sup>(٢)</sup>.

وله في فضائل أهل البيت ولا سيّما الإمام عليّ عليه السلام أقوال وآثار باقية، إلى جنب مواقفه الحاسمة، وكيفيك أنّه من رواة حديث الغدير، مفسراً له بالخلافة والوصاية بعد النبيّ ﷺ وكان الإمام الباقر عليه السلام يحبه حباً شديداً، وقد كفّ بصره بعد واقعة الطفّ، لكثرة بكائه على مصائب أهل البيت عليه السلام، وكانت وفاته سنة (٦٨هـ)<sup>(٣)</sup>.

### أ- توسّعه في التفسير

لم تمض العشرة الأولى من وفاة الرسول ﷺ إلا ونرى ابن عباس قد تفرّغ للتفسير واستنباط معاني القرآن. بينما سائر الصحابة كانت قد أشغلتهم شؤون شتى، نراه صارفاً همّته في فهم القرآن وتعليمه واستنباط معانيه وبيانه، فكان يستطرق أبواب العلماء من الصحابة الكبار ولا سيّما من الإمام عليّ عليه السلام باب علم النبيّ ﷺ، وكان يعقد الحلقات القرآنية في مسجد النبيّ ﷺ بأمر من الإمام عليّ عليه السلام.

لكن بموازاة انتشار العلم منه في الآفاق، راج الوضع على لسانه ونسبت إليه

(١) هو طاووس بن كيسان اليماني، وروي أنّه أدرك خمسين من الصحابة. عدّة الشيخ الطوسي في رجاله من أصحاب السجّاد عليه السلام، مات رحمه الله تعالى سنة ١٠٦هـ. أنظر: رجال الطوسي، ج ٣، ص ٩٤.

(٢) أنظر: الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، ج ٢، ص ٣٣٠-٣٣٤ رقم: ٤٧٨١.

(٣) أنظر: التفسير والمفسرون، الشيخ محمّد هادي معرفة، ج ١، ص ٢٠٣-١٩٨.



الكثير من الروايات، لمكان شهرته ومعرفته في التفسير. ومن ثمَّ فإنَّ التشكيك في أكثر المآثور عنه أمر محتمل.

### ب- منهجه في التفسير

أخذ ابن عباس العلم عن الإمام عليٍّ عليه السلام وتلمذ على يديه وتلقَى التفسير عنه سواء في أصول مبانيه أم في فروع معانيه. وسار على منهج مستقيم في استنباط معاني القرآن، ولم يحد عن منهج السلف الصالح في تفسير القرآن وفهم معانيه. وحدد ابن عباس معالم منهجه في التفسير بقوله: «التفسير على أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يُعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله»<sup>(١)</sup>.

فالقرآن فيه مواضع وتكاليف يجب على المسلمين معرفتها والعمل بها، وفيه غريب اللغة ومشكلها، ممَّا يمكن فهمها وحلَّ مُعضلها، بمراجعة الفصيح من كلام العرب، وفيه مسائل عن المبدأ والمعاد وفلسفة الوجود لا بدَّ من الرجوع في تفسيرها إلى أهل العلم والمعرفة، وبقي المتشابه ما لا يعلمه إلا الله أو من أطلعهم الله عليها وهم النبيُّ ﷺ والصفوة من أهل بيته عليهم السلام.

وعلى ضوء هذا التقسيم الرباعي يمكننا الوقوف على مباني التفسير التي استند إليها ابن عباس في تفسيره للقرآن الكريم:

### ١- مراجعة ذات القرآن في فهم مراداته

إذ خير دليل على مراد أيِّ متكلم، هي القرائن اللفظية التي تحفَّ كلامه، والتي جعلها مسانيد نطقه وبيانه، وهكذا بالنسبة إلى القرائن المنفصلة (من دلائل العقل..)، والقرآن فيه من العموم ما كان تخصيصه في بيان آخر، أو

(١) تفسير الطبري، أبو جعفر بن جرير الطبري، ج ١، ص ٢٦.





تقييد لمطلقاته، وليس لأي مفسر أن يأخذ بظاهر آية ما لم يفحص عن صوارفها وسائر بيانات القرآن التي جاءت في غير آية.

ومن هذا القبيل ما رواه السيوطي عن ابن عباس، في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا **أثنين وأحييتنا اثنتين**﴾<sup>(١)</sup> قال: «كنتم أمواتاً قبل أن يخلقكم؛ فهذه ميتة، ثم أحياكم؛ فهذه حياة، ثم يميتكم فترجعون إلى القبور؛ فهذه ميتة أخرى، ثم يبعثكم يوم القيامة؛ فهذه حياة. فهما ميتتان وحياتان، فهو قوله تعالى: ﴿**كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾<sup>(٢)</sup>.

## ٢- رعايته لأسباب النزول

والتي لها دورها الخطير في فهم معاني القرآن؛ حيث الآيات والسور نزلت نجوماً، وفي فترات وشؤون يختلف بعضها عن بعض، ولولا الوقوف على تلك الأسباب الواردة في شأن النزول لما أمكن فهم مرامي الآيات. ولهذا اهتم ابن عباس واعتمد لفهم معاني القرآن على معرفة أسباب النزول، وكان يسأل ويستقصي عن الأسباب والأشخاص الذين نزل فيهم قرآن وسائر ما يمس شأن النزول.

عن ابن عباس قال: لم أزل حريصاً أن أسأل عمر عن المرأتين من أزواج النبي ﷺ اللتين قال الله تعالى بشأنهما: ﴿**إِنْ نُؤَابَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا**...﴾<sup>(٣)</sup> حتى حجَّ عمر وحجبت معه... فقال: واعجباً لك يا ابن عباس! هما: عائشة وحفصة<sup>(٤)</sup>.

وبلغ به الأمر في تقصيه لأسباب النزول أن يعرف الحضري من السفري، والنهاري من الليلي، وفيم أنزل، وفيم أنزل، ومتى أنزل، وأين أنزل، وأول ما نزل، وآخر ما نزل...<sup>(٥)</sup>

(١) سورة غافر، الآية: ١١.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨، وراجع الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي: ج ٥، ص ٣٤٧، دار الفكر، ط ١، ١٤٠٣هـ.

(٣) سورة التحريم، الآية: ٤.

(٤) الدر المنثور، جلال الدين السيوطي، ج ٦، ص ٢٤٢.

(٥) أنظر: الإتيان في علوم القرآن، السيوطي، ج ١، ص ٥٧، ٦٠، ٦٤، ٦٨، ٧٦، وغير ذلك.

### ٣- اعتماده المأثور من التفسير المروي

وهذا واضح من خلال تتبعه آثار الرسول وأحاديثه، واستطراقه لأبواب الصحابة العلماء، ليأخذ منهم ما حفظوه من سنة النبي وسيرته الكريمة، وقوله: «ما أخذت من تفسير القرآن فعن علي بن أبي طالب عليه السلام»، إنما يعني اعتماد المأثور من التفسير<sup>(١)</sup>.

### ٤- اضطلاعاه بالأدب الرفيع

فقد نزل القرآن بالفصحى من لغة العرب، فما أشكل من فهم معاني كلماته، لا بدّ لحلّها من مراجعة الفصيح من كلام العرب المعاصر لنزول القرآن. وكان ابن عباس صاحب ذوق أدبي رفيع وثقافة لغويّة عالية، فكان يقول: الشعر ديوان العرب، فإذا خفي علينا الحرف من القرآن، الذي أنزله الله بلغة العرب، رجعنا إلى ديوانها، فالتمسنا معرفة ذلك منه<sup>(٢)</sup>. فقد سئل ابن عباس عن قوله تعالى: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾<sup>(٣)</sup>. قال: العزون: الحلق الرقاق، وعن قوله تعالى: ﴿إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ﴾<sup>(٤)</sup> قال: نُضِجَهُ وبلاغه، وعن ﴿الْفَلَكَ الْمَشْحُونِ﴾<sup>(٥)</sup>، قال: السفينة الموقرة الممتلئة، وعن ﴿جَدُّ رَبِّنَا﴾<sup>(٦)</sup>، قال: عظمة ربنا، وفي كلّ ذلك استشهد بقول الشعراء<sup>(٧)</sup>.

### تفسير ابن عباس

هناك تفاسير منسوبة إلى ابن عباس، منها: ما رواه مجاهد بن جبر برواية

(١) أنظر: التفسير والمفسرون، الشيخ محمد هادي معرفة، ج ١، ص ٢١٠.

(٢) م. ن، ص ٢١٢.

(٣) سورة المعارج، الآية: ٢٧.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٩٩.

(٥) سورة الشعراء، الآية: ١١٩.

(٦) سورة الجن، الآية: ٢.

(٧) أنظر: الإتيان في علوم القرآن، السيوطي، ج ٢، ص ٨٨.٥٦.

حميد بن قيس، وأبي نجيع يسار الثقفي، وقد طُبِعَ أخيراً باهتمام مجمع البحوث الإسلامية بباكستان سنة (١٣٦٧هـ)، والثاني: تفسير ابن عباس عن الصحابة، لأبي أحمد عبد العزيز بن يحيى الجلودي المتوفى سنة (٣٢٢هـ)، والثالث: تفسير ابن عباس الموسوم بـ «تنوير المقباس» من تفسير عبد الله بن عباس، في أربعة أجزاء، من تأليف محمد بن يعقوب الفيروز آبادي صاحب القاموس (٧٢٩-٨١٧هـ)<sup>(١)</sup>.

## خلاصة الدرس

. كان الصحابة ممن رضي الله عنهم مراجع الأمة بعد النبي ﷺ، وعلى رأسهم الإمام عليّ عليه السلام في بيان معاني القرآن الكريم.

. اشتهر بالتفسير من الصحابة أربعة: الإمام عليّ عليه السلام وكان رأساً وأعلم الأربعة، وعبد الله بن مسعود، وأبي بن كعب، وعبد الله بن عباس.

. كل الشواهد التاريخية وما رواه ابن عباس تشير إلى أن ابن عباس أخذ علم التفسير عن النبي ﷺ والإمام عليّ عليه السلام، وهكذا عبد الله بن مسعود، وأبي.

. أعتبر ابن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن لسعة علومه واطلاعه على معاني القرآن وأسباب النزول.

. استند ابن عباس في تفسيره للقرآن إلى عدة أمور هي:

- ١- مراجعة ذات القرآن في فهم مراداته.
- ٢- رعايته لأسباب النزول.
- ٣- اعتماده المأثور من التفسير المروي.
- ٤- إضطراره بالأدب والشعر العربي الرفيع.

(١) أنظر: التفسير والمفسرون، الشيخ محمد هادي معرفة، ج ١، ص ٢٥٤، ٢٥٦.



## الدساتيس الإسرائيلية في تفسير القرآن (نموذج تطبيقي)



### أهداف الدرس

- أن يطلع الطالب على نموذج من الإسرائيليات
- أن يتعرف إلى التفسير الصحيح للنموذج المذكور







## الإسرائيليات في قصة داود عليه السلام

من الإسرائيليات التي تحطّ من مقام الأنبياء عليهم السلام، وتنافي عصمتهم، ما ذكره بعض المفسّرين في قصة نبيّ الله داود عليه السلام عند تفسير قوله تعالى:

﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبْوُ الْخَصَمِ إِذْ سَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ۗ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغِي بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ۗ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجْمَةً وَلِي نَجْمَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ۗ﴾ (٢٢)

﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَجْمِكَ إِلَى نَجْمِهِ ۗ وَإِنْ كَثِيرًا مِّنَ الْخَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ، وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۗ﴾ (٢٤) ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ۗ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّعَابٍ﴾ (١).

فقد ذكر ابن جرير، وابن أبي حاتم، والبغوي، والسيوطي في الدر المنثور (٢)

125

من الأخبار ما تقشعر منه الأبدان، ولا يوافق عقلاً، ولا نقلاً، عن ابن عباس، ومجاهد، ووهب بن منبه، وكعب الأحبار، والسدي، وغيرهم ما محصلها: أنّ

(١) سورة ص، الآيات: ٢١-٢٥.

(٢) الدر المنثور، جلال الدين السيوطي، ج ٥، ص ٣٠٠-٣٠٢.

داوود عليه السلام حدث نفسه؛ إن ابتلي أن يعتصم، فقليل له؛ إنك ستبتلى وستعلم اليوم الذي تبلى فيه، فخذ حذرك، فقليل له: هذا اليوم الذي تبلى فيه، فأخذ الزبور<sup>(١)</sup>، ودخل المحراب، وأغلق بابه، وأقعد خادمه على الباب، وقال: لا تأذن لأحد اليوم. فبينما هو يقرأ الزبور، إذ جاء طائر مذهب يدرج بين يديه، فدنا منه، فأمكن أن يأخذه، فطار فوق على كوة المحراب، فدنا منه ليأخذه، فطار، فأشرف عليه لينظر أين وقع، فإذا هو بامرأة عند بركتها تغتسل...<sup>(٢)</sup>، وكان زوجها غازياً في سبيل الله، فكتب داوود إلى رأس الغزاة: أن اجعله في حملة التابوت<sup>(٣)</sup>، وكان حملة التابوت إما أن يفتح عليهم، وإما أن يقتلوا، فقدمه في حملة التابوت، فقتل.

وفي بعض هذه الروايات الباطلة: أنه فعل ذلك ثلاث مرّات، حتى قتل في الثالثة، فلما انقضت عدتها، خطبها داوود عليه السلام، فتسوّر عليه الملكان، وكان ما كان، ممّا حكاه الله تعالى.

ولم يقف الأمر عند هذه الروايات الموقوفة على بعض الصحابة والتابعين، ومسلمة أهل الكتاب، بل جاء بعضها مرفوعاً إلى النبي ﷺ!!

### الكذب على النبي ﷺ

ومن ثمّ يتبيّن لنا كذب هذه الرواية المنكرة المرفوعة إلى رسول الله ﷺ، ولا نصدّق، بورود هذا عن المعصوم، وإنّما هي اختلاقات، وأكاذيب من إسرائيليّات أهل الكتاب، وهل يشكّ مؤمن عاقل يقرّ بعصمة الأنبياء عليهم السلام، في استحالة صدور هذا عن النبيّ داوود عليه السلام، ثمّ يكون على لسان من؟ على لسان من كان حريصاً

(١) كتاب داوود عليه السلام.

(٢) قمنا بحذف بعض العبارات مما لا يليق ذكره فضلاً عن نسبته إلى نبيّ ﷺ.

(٣) صندوق فيه بعض آثار أنبياء بني إسرائيل، فكانوا يقدّمونه بين يدي الجيش كي ينصروا.



على تنزيه إخوانه الأنبياء عليهم السلام عما لا يليق بعصمتهم، وهو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ومثل هذا التدبير السيئ، والاسترسال فيه على ما روي، لو صدر من رجل من سوقة الناس وعامتهم، لاعتبر أمراً مستهجناً مستقبحاً، فكيف يصدر من رسول جاء لهداية الناس، زكت نفسه، وطهرت سريره، وعصمه الله من الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وهو الأسوة الحسنة لمن أرسل إليهم؟!!

ولو أن القصة كانت صحيحة لذهبت بعصمة النبي داوود عليه السلام، ولنفرت منه الناس، ولكان لهم العذر في عدم الإيمان به، فلا يحصل المقصد الذي من أجله أرسل الرسل، وكيف يكون على هذه الحال من قال الله تعالى في شأنه: ﴿وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ﴾؟ قال ابن كثير في تفسيرها: «وإن له يوم القيامة لقربة يقربه الله عز وجل بها وحسن مرجع، وهو الدرجات العالية في الجنة نبتوته وعدله التام في ملكه»<sup>(١)</sup>.

ولكي يستقيم هذا الباطل قالوا: إن المراد بالنعجة هي المرأة، وأن القصة خرجت مخرج الرمز والإشارة، ورووا: أن الملكين لما سمعا حكم داوود، وقضاءه بظلم صاحب التسع والتسعين نعجة لصاحب النعجة، قالوا له: وما جزاء من فعل ذلك؟ قال: يقطع هذا، وأشار إلى عنقه. وفي رواية: «يضرب من ها هنا، وها هنا، وها هنا وأشار إلى جبهته، وأنفه، وما تحته، فضحكا، وقالوا: أنت أحق بذلك منه، ثم صعدا».

وذكر البغوي في تفسيره وغيره، عن وهب بن منبه: أن داوود لما تاب الله عليه بكى على خطيئته ثلاثين سنة، لا يرقأ دمه ليلاً ونهاراً، وكان أصاب الخطيئة، وهو ابن سبعين سنة، فقسّم الدهر بعد الخطيئة على أربعة أيام: يوم للقضاء بين بني إسرائيل، ويوم لنسائه، ويوم يسبح في الفيافي، والجبال، والسواحل،

(١) تفسير ابن كثير، ج ٤، ص ٢٥.





ويوم يخلو في دار له فيها أربعة آلاف محراب، فيجتمع إليه الرهبان فينوح معهم على نفسه، فيساعدونه على ذلك. فإذا كان يوم نياحته يخرج في الفيافي، فيرفع صوته بالمزامير، فيبكي، ويبكي معه الشجر، والرمال، والطير، والوحش، حتى يسيل من دموعهم مثل الأنهار، ثم يجيء إلى الجبال فيرفع صوته بالمزامير، فيبكي، وتبكي معه الجبال، والحجارة، والدواب، والطير، حتى تسيل من بكائهم الأودية، ثم يجيء إلى الساحل فيرفع صوته بالمزامير، فيبكي، ويبكي معه الحيتان، ودواب البحر وطير الماء والسباع<sup>(١)</sup>. والحق: إن الآيات ليس فيها شيء مما ذكروا، وليس هذا في شيء من كتب الحديث المعتمدة والتي عليها المعول، وليس هناك ما يصرف لفظ النعجة من حقيقته إلى مجازه، ولا ما يصرف القصة عن ظاهرها إلى الرمز والإشارة.

وما أحسن ما قال الإمام القاضي عياض: «لا تلتفت إلى ما سطره الأخباريون من أهل الكتاب، الذين بدلوا، وغيروا، ونقله بعض المفسرين، ولم ينص الله تعالى على شيء من ذلك في كتابه، ولا ورد في حديث صحيح، والذي نص عليه في قصة داوود: ﴿وَطَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّهُ﴾ وليس في قصة داوود، وأوريا خبر ثابت<sup>(٢)</sup>.

والمحققون ذهبوا إلى ما ذهب إليه القاضي، قال الداودي: ليس في قصة داوود وأوريا خبر يثبت، ولا يُظنُّ بنبيِّ محبة قتل مسلم، وقد روي عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «من حدّث بحديث داوود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين جلدة»، وذلك حدّ الفرية على الأنبياء<sup>(٣)</sup>، وهذا الكلام مروى عن الإمام الصادق عليه السلام أيضاً<sup>(٤)</sup>.

(١) تفسير البغوي، ج ٤، ص ٥٧-٥٨.

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض، ج ٢، ص ١٥٨، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.

(٣) لأنّ حدّ القذف لغير الأنبياء عليهم السلام ثمانين، فرأى عليه السلام تضعيفه بالنسبة إلى الأنبياء عليهم السلام وفي الكذب عليهم رمي لهم بما هم براء منه، ففيه معنى القذف لداود بالتعدّي على حرّات الأعراض والتحليل في سبيل ذلك.

(٤) أنظر: مجمع البيان، الشيخ الطبرسي، ج ٨، ص ٤٧٢؛ بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ١٤، ص ٢٩.



## التفسير الصحيح للآيات

وإذا كان ما روي في تفسير هذه الآيات من الإسرائيليات الباطلة، فما التفسير الصحيح لها؟

والجواب: إنَّ الذي أوضحه القرآن المجيد في هذا الشأن لا يتعدى أنَّ شخصين سوَّرا جدران محراب النبيِّ داوودَ ﷺ ليحتكما عنده، وأنَّه فزع عند رؤيتهما، ثم استمع إلى أقوال المشتكي الذي قال: إنَّ لأخيه تسع وتسعون نعجة وله نعجة واحدة، وإنَّ أخاه طلب منه ضمَّ هذه النعجة إلى بقيَّة نعاجه، فأعطى النبيِّ داوودَ ﷺ الحقَّ للمشتكي، واعتبر طلب الأخ ذلك من أخيه ظلماً وطغياناً، فالتقت النبيِّ داودَ ﷺ إلى المدَّعي قبل أن يستمع كلام الآخر، وقال: من البديهي أنه ظلمك بطلبه ضمَّ نعجتك إلى نعاجه.

على آية حال، فالظاهر أنَّ طرفي الخصام اقتنعا بكلام النبيِّ داوودَ ﷺ وغادرا المكان. ولكن النبيِّ داوودَ غرق في التفكير بعد مغادرتهم، رغم أنه كان يعتقد أنه قضى بالعدل بين المتخاصمين، فلو كان الطرف الثاني مخالفاً لإدعاءات الطرف الأوَّل - أي المدَّعي - لكان قد اعترض عليه، إذ أفسكوته هو خير دليل على أنَّ القضية هي كما طرحها المدَّعي. ولكن آداب مجلس القضاء تفرض على النبيِّ داوودَ ﷺ أن يترتَّب في إصدار الأحكام ولا يتعجَّل في إصدارها، وكان عليه أن يسأل الطرف الثاني أيضاً ثمَّ يحكم بينهما، فلذا ندم كثيراً على عمله هذا، وظنَّ أنما فتته الباري عزَّ وجلَّ بهذه الحادثة. وهنا أدركته طبيعته، وهي أنه أوَّاب، إذ طلب العفو والمغفرة من ربه وخرَّ راکعاً تائباً إلى الله العزيز الحكيم.

وهنا تبرز مسألتان دقيقتان أيضاً: الأولى مسألة الامتحان، والثانية مسألة الاستغفار. القرآن الكريم لم يفصل الحديث بشأن هاتين المسألتين، إلا أنَّ الدلائل الموجودة في هذه الآيات والروايات الإسلامية الواردة بشأن تفسيرها

الصنائس الإسرائيية في تفسير القرآن (نموذج تطبيقي)



تقول: إنَّ النبي داوود عَلَيْهِ السَّلَامُ كان ذا علم واسع وذا مهارة فائقة في أمر القضاء، وأراد الله سبحانه وتعالى أن يمتحنه، فلذا أوجد له مثل تلك الظروف غير الاعتيادية، كدخول الشخصين عليه من طريق غير اعتيادي وغير مألوف، إذ تسوّراً جدران محرابه، وابتلائه بالاستعجال في إصدار الحكم قبل الاستماع إلى أقوال الطرف الثاني، رغم أن حكمه كان عادلاً. ورغم أنه انتبه بسرعة إلى زلته، وأصلحها قبل مضي الوقت، ولكن مهما كان فإن العمل الذي قام به لا يليق بمقام النبوة الرفيع، ولهذا فإن استغفاره إنما جاء لتركه العمل بالأولى، وإنَّ الله شمله بعفوه ومغفرته. والشاهد على هذا التفسير هو الآية التي تأتي مباشرة بعد تلك الآيات، والتي تخاطب النبي داوود عَلَيْهِ السَّلَامُ: يا داوود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله. وهذه الآية تبين أن زلة النبي داوود كانت في كيفية قضائه وحكمه. وبهذا الشكل فإن الآيات المذكورة أعلاه لا تذكر شيئاً يقلل من شأن ومقام هذا النبي الكبير<sup>(١)</sup>.

## ● خلاصة الدرس

- من الإسرائيليات الداخلة إلى التراث الإسلامي في تفسير القرآن الكريم قصة النبي داوود عَلَيْهِ السَّلَامُ وحاشا لنبي أن يقع بمثل ما ورد.

- إنَّ التفسير الصحيح المتعلق بالنبي داوود هو: أن النبي داوود عَلَيْهِ السَّلَامُ كان ذا علم واسع في أمر القضاء، وأراد الله (تعالى) أن يمتحنه، فلذا أرسل إليه الشخصين من طريق غير اعتيادي، وابتلاه الله (تعالى) في إصدار الحكم قبل الاستماع إلى أقوال الطرف الثاني، رغم أن حكمه كان عادلاً. فاستغفاره عَلَيْهِ السَّلَامُ كان لعدم استماعه إلى الطرف الثاني.

(١) التفسير الأمثل، الشيخ مكارم الشيرازي، ج ١٤، ص ٤٨١ و٤٨٢.



## الدرس الثاني عشر

# منهج التفسير العقلي والاجتهادي للقرآن



## أهداف الدرس

- أن يتعرّف الطالب إلى المنهج العقلي في التفسير
- أن يتعرّف إلى الآراء في بيان معنى التفسير العقلي
- أن يطلع على أدلّة المجوّزين للمنهج العقلي







## تمهيد

يحظى منهج التفسير العقلي (الذي عُرِّف بتعاريف كثيرة) بمنزلة خاصة بين مناهج التفسير، وقد اتخذت المذاهب الكلامية (الشيعة، المعتزلة، الأشاعرة...) بأزاء هذا المنهج مواقف مختلفة، وقد يطلق عليه في بعض الأحيان منهج التفسير الاجتهادي، وقد يُذكر كأحد أقسام منهج التفسير بالرأي، وقد يُنظر إليه بنظرة مساوية للاتجاه الفلسفي في التفسير.

## المراد من التفسير العقلي الاجتهادي

لكي يتوضَّح المقصود من منهج التفسير العقلي الاجتهادي لا بدَّ من بيان معنى هاتين المفردتين وهما:

### أ- العقل؛

**في اللغة:** هو بمعنى الإمساك، والحفظ، ومنع الشيء.

**في الاصطلاح:** يطلق على معنيين:

١- القوَّة المستعدَّة لحصول العلم، وهي نفس ذلك الشيء الذي يفقدانه يرتفع التكليف عن الإنسان، وقد ورد مدح العقل في أحاديث كثيرة.



٢- العلم الذي يحصل عليه الإنسان بواسطة هذه القوة، وقد ورد هذا المعنى في القرآن عندما ذم الكافرين بسبب عدم التعقل، وقد استدل على هذا المعنى بأحاديث النبي ﷺ.

والنتيجة: يستفاد مما تقدم أن العقل قد يطلق على القوة المفكرة تارة، وأخرى على مدركات هذه القوة، أي العلوم المكتسبة.

ولهذا فإن العقل ينقسم إلى العقل الفطري والعقل الاكتسابي، وقد يُقسّم إلى عقل نظري وعقل عملي<sup>(١)</sup>.

### ب. الاجتهاد

المقصود بالاجتهاد هنا هو بذل الجهد الفكري واستخدام قوة العقل في فهم آيات القرآن ومقاصده، وعلى هذا فاستعمال الاجتهاد هنا أعم من الاجتهاد الاصطلاحي في علم الفقه؛ لأنه يشمل آيات الأحكام وغيرها، أي أن التفسير الاجتهادي يكون في قبال التفسير النقلی؛ ففي التفسير النقلی يتم التأكيد على النقل أكثر من غيره، أما في التفسير الاجتهادي فيتم التأكيد على العقل والنظر.

### تاريخ العمل بالمنهج العقلي للتفسير

يمتلك منهج التفسير الاجتهادي العقلي ماضياً قديماً، وقد حصل في وقت مبكر، في عهد النبي ﷺ الذي علم أصحابه كيفية الاجتهاد العقلي في فهم النصوص الشرعية (من الكتاب والسنة) ويمكن أن نجد نماذج من التفسير

(١) هناك تعاريف كثيرة للعقل النظري والعقل العملي، فقد يكون الاختلاف بينهما من حيث الإدراك، فإن كان الإدراك متعلقاً بالعمل، وبما يجب أن يُعمل ويطبّق على الحياة كتقولنا: العدل حسن والظلم قبيح فيكون العقل عملياً، وأما إذا لم يكن الإدراك متعلقاً بالعمل، أو بإدراك ما يجب أن يُعمل، كحاجة الممكن إلى العلة، يكون العقل نظرياً.



العقلي في الأحاديث التفسيرية لأهل البيت عليهم السلام، وكذا في عهد التابعين، حيث انفتح باب الاجتهاد وإعمال الرأي والنظر في التفسير، وشاع النقد والتمحيص في المنقول من الآثار والأخبار. ولم تزل تتوسع دائرة ذلك مع مرور الزمن. نعم، كانت آفة ذلك - لدى الخروج عن دائرة التوقيف، وولوج باب النظر وإعمال الرأي - أن ينخرط التفسير في سلك التفسير بالرأي الممقوت عقلاً، والممنوع شرعاً.

ووصل هذا المنهج إلى أوج تطوره فيما بعد على يد المعتزلة، وظهرت عند الشيعة تفاسير عقلية مثل تفسير التبيان للشيخ الطوسي (٣٨٥ - ٤٦٠ هـ)، ومجمع البيان للطبرسي (ت: ٥٤٨ هـ)، وكذلك التفسير الكبير للفخر الرازي عند أهل السنة، وقد بلغ هذا التطور مدى بعيداً في تفسير الميزان للطباطبائي عند الشيعة وروح المعاني للألوسي (ت: ١٢٧٠ هـ).

ومن الأمثلة على استخدام هذا المنهج في أحاديث أهل البيت عليهم السلام ما رواه عبد الله بن قيس، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: سمعته يقول: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾<sup>(١)</sup>، فقلت: له يدان هكذا - وأشارت بيدي إلى يديه - فقال: «لا، لو كان هكذا كان مخلوقاً»<sup>(٢)</sup>.

ففي هذا الحديث استفاد الإمام عليه السلام من العقل في تفسير الآية ونفي اليد المادية عن الله سبحانه وتعالى؛ لأن وجود مثل هذه اليد يستلزم الجسميّة والمخلوقيّة لله، وهو سبحانه منزّه عن هذه الصفات (فالمقصود من اليد هنا هو القدرة الإلهية). وهناك نماذج من التفاسير العقلية وصلتنا عن طريق أحاديث أهل البيت عليهم السلام بخصوص العرش والكرسي. وقد استفاد الإمام علي عليه السلام في بعض خطب نهج البلاغة من مقدمات عقلية لتفسير آيات القرآن الكريم<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة المائدة، الآية: ٦٤.

(٢) تفسير نور الثقلين، الشيخ الحويزي، ج ١، ص ٦٥٠، ح ٢٧٩.

(٣) أنظر: نهج البلاغة، الخطبة: ١٥٢، ١٨٤، ٢٢٨.



## الاختلاف في معنى التفسير العقلي

تضاربت آراء العلماء حول مفاد منهج التفسير العقلي، وتعددت الأقوال بشأن معناه، فكل شخص يحكم على هذا المنهج على أساس فهمه، وسوف نستعرض أهم الآراء في هذا الموضوع:

١. **الاستفادة من القرائن العقلية كأداة في التفسير:** وذلك لفهم معاني الألفاظ والجمل، ومن جملتها القرآن والحديث، فمثلاً عندما يقال: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾<sup>(١)</sup>، فالعقل يقول: بأنه ليس المقصود من اليد هنا هو هذه الجارحة التي تحتوي على خمسة أصابع، لأن الله تعالى ليس بجسم، وإن كل جسم فهو محدود وفان، والله ليس محدوداً ولا يفنى، وهو أزلي أبدي، بل المقصود من ذلك هو قدرة الله تعالى، فإطلاق اليد على القدرة إطلاق مجازي.

إذاً ليس المراد من التفسير العقلي الآراء والأذواق الشخصية أو الأفكار الخيالية التي لا أساس لها.

٢. **التفسير العقلي هو التفسير الاجتهادي نفسه:** فقد ذكر البعض أن التفسير الاجتهادي يعتمد العقل والنظر أكثر مما يعتمد النقل والأثر؛ ليكون المناط في النقد والتمحيص هو دلالة العقل الرشيد والرأي السديد، وأن أحد خصائص تفسير التابعين هو الاجتهاد في التفسير والاعتماد على الفهم العقلي «فأعملوا النظر في كثير من مسائل الدين، ومنها مسائل قرآنية كانت تعود إلى معاني الصفات، وأسرار الخليقة، وأحوال الأنبياء والرسل وما شاكل. فكانوا يعرضونها على شريعة العقل ويحاكمونها وفق حكمه الرشيد، وربما يؤوّلونها إلى ما يتوافق مع الفطرة الإنسانية»<sup>(٢)</sup>. وهذا الرأي كما هو واضح يجعل التفسير العقلي والاجتهادي بمعنى واحد.

(١) سورة الفتح، الآية: ١٠.

(٢) التفسير والمفسرون، الشيخ محمد هادي معرفة، ج ٢، ص ٢٤٩.



### ٣. التفسير العقلي نوع من أنواع التفسير بالرأي: فقد جعل بعضهم التفسير

العقلي في مقابل التفسير النقلى، وأنه يعتمد على الفهم العميق والمركّز لمعاني الألفاظ القرآنية التي تنتظم في سلكها تلك الألفاظ وفهم دلالتها، ثم سُمّي هذا البعض التفسير العقلي بالتفسير بالرأي<sup>(١)</sup>.

كما: أشار الدكتور الذهبي إلى نفس هذا الرأي فقال: «والمراد هنا الاجتهاد، وعليه فالنفسير بالرأي عبارة عن تفسير القرآن بالاجتهاد»<sup>(٢)</sup>.

ولكن سيّضح في مبحث التفسير بالرأي أنّ هذا التفسير هو غير التفسير العقلي أو الاجتهادي، وأنّ هناك اختلافات رئيسة بينهما. ففي التفسير بالرأي يُقدّم شخص المفسّر على التفسير؛ على أساس الذوق والنظر الشخصي بدون مراعاة القرائن النقلية والعقلية، أمّا بالنسبة إلى التفسير العقلي فإنّ المفسّر يأخذ بنظر الاعتبار القرائن النقلية والعقلية في التفسير. وكذلك بالنسبة إلى التفسير الاجتهادي فقد اتّضح أنّ الاجتهاد على نوعين:

١- هو الاستنباط دون مراجعة القرائن العقلية والنقلية وهو ما يعتبر نوعاً من التفسير بالرأي.

٢- هو الاجتهاد الصحيح والمعتبر وهو الذي يأخذ بنظر الاعتبار القرائن العقلية والنقلية، وهذا التفسير لا يعتبر من التفسير بالرأي.

والحاصل أنّه مع تعدّد هذه الآراء من القول بأنّ التفسير الاجتهادي وفقاً للرأي المشهور يُعتبر من أقسام التفسير العقلي، لأنّه يستفاد في هذا النوع من التفسير من قوّة الفكر والعقل في تجميع المسائل والمواضيع.

(١) أصول التفسير وقواعده، خالد عبد الرحمن العكّ، ص ١٦٧، دار النفاثس، بيروت، ط ٢، ١٤١٤هـ.

(٢) التفسير والمفسرون، محمّد حسين الذهبي، ج ١، ص ٢٥٥، دار الكتب الحديثة، ط ٢، ١٩٧٦م.

## أدلة جواز الاعتماد على المنهج العقلي في التفسير

اختلف العلماء حول جواز هذا المنهج في التفسير وعدمه، وقد استدلل القائلون بالجواز بأدلة متعددة منها:

### ١. القرآن الكريم

فقد اهتمَّ القرآن الكريم كثيراً بدعوة الناس إلى التعقل والتفكر في آياته<sup>(١)</sup>، بل إنَّه ذمَّ الذين لا يتدبَّرون القرآن<sup>(٢)</sup>. فإذا لم يكن للعقل اعتبار ومنزلة عند الله تعالى، فإنَّ هذا الخطاب سيُصبح حينئذٍ عديم الفائدة وبدون معنى، وما نتيجة التدبُّر والتفكر في آيات الله إلا التفسير العقلي والاجتهادي.

### ٢. الروايات

يحتلُّ العقل مكانة خاصَّة في الأحاديث وله موقع متميِّز فيها، فقد ورد عن الإمام الكاظم عليه السلام أنه قال: «يا هشام إنَّ لله حجتين، حجة ظاهرة وحجة باطنة، فأما الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمة، وأما الباطنة فالعقول»<sup>(٣)</sup>.

فإذا كان العقل حجة باطنة، وجب أن يكون الشيء الذي يدركه ويحكم به بصورة قطعية، حجة على الإنسان، وواجب الاتِّباع، وإلا فإنَّ الحجية تصبح لا معنى لها.

### ٣. السيرة

نسب بعض العلماء هذا المنهج إلى النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام، وهناك نماذج

(١) راجع السور التالية: الأنبياء، الآية: ١٠، ويوسف، الآية: ٢، والقمر، الآية: ١٧.

(٢) راجع سورة محمد، الآية: ٢٤.

(٣) الكافي، الشيخ الكليني، ج ١، ص ٦.



من هذا المنهج في أقوال الأئمة، وإن فعل وقول المعصوم يدل على جواز ذلك في أقل التقادير، إضافة إلى السيرة المستمرة لكبار المفسرين.

#### ٤- بناء العقلاء

إن طريقة بناء العقلاء في التفسير الاجتهادي، هي التمسك بظاهر كلام المتكلم، واستخراج مقاصده ومعاني كلامه عن طريق القواعد الأدبية، والدلالات اللفظية والقرائن الموجودة، والمشرع الإسلامي لم يمنع من هذه الطريقة العقلائية ولم يخترع طريقة جديدة في التعامل.

وفي مقابل ذلك ذهب بعض آخر إلى عدم جواز الاعتماد على هذا المنهج في التفسير متمسكاً بجملة أدلة منها: ما روي عن الإمام السجاد عليه السلام أنه قال: «إن دين الله لا يُصاب بالعقول»<sup>(١)</sup>، وبعض الروايات التي تشير إلى عدم جواز تفسير القرآن إلا بالأثر الصحيح والنص الصريح.

فإذاً منهج التفسير العقلي والاجتهادي طريق لا يوصل إلى نتيجة.

وفي الجواب عن هذا الدليل نقول: إن هذا النوع من الأحاديث صدر في وجه المخالفين لأهل البيت عليهم السلام، والذين لم يلتفتوا إلى القرائن النقلية وكلام المعصومين عليهم السلام، والذين يفتقدون شرائط الاجتهاد ويستخدمون التفسير بالرأي.

وهذا الرأي تبناه الأشاعرة أيضاً لكونهم يعتقدون بأن منشأ كل تكليف هو

حکم الشارع وليس العقل، ولا يعتمد على إدراكات العقل كالاعتماد على حكم الشارع.



(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٢، ص ٢٠٢.

ولكن فات هؤلاء أنّ عقل الإنسان كاشف عن الحكم الشرعي، أي أنّ عقل الإنسان لا يُصدر حكماً مخالفاً للحكم الشرعي، وقد اتّضح في أصول الفقه أنّه: «كلّ ما حكم به العقل حكم به الشرع».

## خلاصة الدرس

- للتفسير العقلي مكانة خاصّة بين المناهج التفسيرية وكان موضع مناقشة ونقض بين المذاهب الإسلامية ( الشيعة، المعتزلة، الأشاعرة ).
- أرجع بعض العلماء تاريخ هذا المنهج إلى عصر النبي ﷺ وجذوره موجودة في روايات أهل البيت عليهم السلام، وقد عُنِيَ بهذا المنهج كثيراً في عصر التابعين.
- تضاربت الآراء في بيان معنى التفسير العقلي، وقد عرضنا لهذه الآراء بشيءٍ من الإيجاز.
- اختلف العلماء حول جواز هذا المنهج في التفسير، واستدلّ المجوّزون بما يلي: ١- الدليل القرآني، ٢- الدليل الروائي، ٣- السيرة، ٤- بناء العقلاء.
- أمّا المانعون فقد استدلّوا بجملة روايات تشير إلى عدم جواز تفسير القرآن الكريم إلاّ بالأثر الصحيح والنص الصريح.
- ومن جملة المانعين لهذا المنهج الأشاعرة.



## الدرس الثالث عشر

# منهج التفسير بالرأي



## أهداف الدرس

- أن يتعرّف الطالب إلى التفسير بالرأي
- أن يطلع على تاريخ التفسير بالرأي
- أن يطلع على أدلة المانحين والموافقين للتفسير بالرأي
- أن يعدّد أقسام ومصاديق التفسير بالرأي







## تمهيد

من العوامل الأساس التي أدت إلى إعاقة حركة التفسير عند علماء المسلمين، بل تحولت في كثير من الحالات إلى مانع يصدّ عن التعاطي مع كتاب الله وعقبة تردع المفسّرين من ارتياد معانيه والغوص في أعماقه، الخطأ في فهم النصوص المستفيضة بل المتواترة الواردة عند الفريقين عن النبي ﷺ وأهل بيته ﷺ التي تحدّثت عن ظاهرة تفسير القرآن بالرأي، فعن النبي ﷺ أنه قال: «من فسّر القرآن برأيه فقد افترى على الله الكذب»<sup>(١)</sup>، وعنه ﷺ أيضاً: «من فسّر في القرآن برأية فليتبوأ مقعده في النار»<sup>(٢)</sup>.

ويعتبر منهج التفسير بالرأي من المناهج المذمومة والمرفوضة في التفسير، وقد جاء بحث ودراسة هذا المنهج - كما ذكرنا - بسبب ورود الأحاديث في ذمّه، والأخطار المترتبة على المفسّر في حالة استخدامه؛ والتي قد تؤدّي به إلى الانحراف عن التفسير، وبالتالي يكون مصيره جهنّم كما ورد في الروايات، ولهذا السبب فإنّ معرفة هذا المنهج التفسيري والاحتراز عنه تحظى بأهميّة خاصّة عند المفسّرين.

(١) وسائل الشيعة، الحرّ العاملي، ج ٢٧، ص ١٩٠.

(٢) تفسير الطبري، ج ١، ص ٨٥.





وإذا أخذنا التفسير بمعناه العام (الصحيح والخطأ)، فإن هذا المنهج (التفسير بالرأي) سوف يعدّ جزءاً من المناهج التفسيرية؛ أما إذا كان مقصودنا من التفسير هو الصحيح فقط، فحينئذ يكون إطلاق اسم التفسير على التفسير بالرأي من باب المسامحة في التعبير؛ لأنّ هذا المنهج لا يكشف ولا يبيّن المراد من آيات القرآن، بل يبيّن نظر ورأي المفسّر.

### المراد من التفسير بالرأي

الرأي: الأصل في معنى هذه الكلمة هو النظر بكلّ وسيلة، وتشمل النظر بالعين أو بالقلب أو عن طريق الشهود الروحاني أو بقوة الخيال.

وكلمة «الرأي» بمعنى: اعتقاد النفس أحد النقيضين عن غلبة الظن. ويرى بعض المفسّرين أنّ القرآن والسنة لم يستعملا «الرأي» بمعنى الإدراك العقلي. فإذا يمكن أن يقال إنّ معنى «الرأي» هو العقيدة أو الانطباع الشخصي الذي يتكوّن على أساس الظن<sup>(١)</sup> وخالصة القول في منهج التفسير بالرأي: إنّ الشيء المذموم أو الممنوع شرعاً، الذي استهدفه حديث «من فسّر القرآن برأيه...»، أمران:

١- أن يعمد شخص إلى آية قرآنية، فيحاول تطبيقها على ما قصده من رأي أو عقيدة أو مسلك، تبريراً لما اختاره في هذا السبيل، أو تمويهاً على العامة.

وهذا قد جعل القرآن وسيلة لإنجاح مقصوده بالذات، ولم يهدف إلى تفسير القرآن في شيء.

٢- الاستبداد بالرأي في تفسير القرآن، محايداً طريقة العقلاء في فهم معاني الكلام، ولا سيّما كلامه تعالى، فإنّ للوصول إلى مراده تعالى من كلامه

(١) أنظر: المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ)، مادة «رأي»، دار المعرفة، بيروت.



وسائل وطرقاً، منها: مراجعة كلام السلف، والوقوف على الآثار الواردة حول الآيات، وملاحظة أسباب النزول، وغير ذلك من شرائط يجب توفرها في مفسر القرآن الكريم، فأغفال ذلك كله، والاعتماد على الفهم الخاص، مخالف لطريقة السلف والخلف في هذا الباب. ومن استبدّ برأيه هلك، ومن قال على الله بغير علم فقد ضلّ سواء السبيل<sup>(١)</sup>.

### الجدور التاريخية للتفسير بالرأي

لا يوجد تشخيص دقيق لبداية هذا المنهج في التفسير؛ ولكن روي عن النبي ﷺ بعض الروايات في ذمّ هذه الطريقة في التفسير؛ ولعلّ ذلك يكشف عن أنّ هذا المنهج بدأ في زمن النبي ﷺ؛ ولهذا فإنه ﷺ ذكر هذا التفسير وذمّ القائمين به.

ثمّ طرحت هذه المسألة بعد وفاة النبي ﷺ في زمان الأئمة عليهم السلام، فصدرت عنهم روايات متعدّدة في ذمّ التفسير بالرأي، بل روي عن الإمام عليّ عليه السلام، أنّه خاطب بعض الأفراد ونهاهم عن هذا النوع من التفسير، ثمّ انتشر هذا المنهج في العصور التالية في بعض كتب التفاسير، فأخذ بعض المفسّرين والفرق باتّهام بعضهم بعضاً في استخدام هذا المنهج، كما اتّهم بعض الكتاب الفخر الرازي - صاحب التفسير الكبير - وإخوان الصفا، وبعض الصوفية، وأحياناً الأشاعرة - والمعتزلة باستخدام التفسير بالرأي، لتأويلهم آيات القرآن طبقاً لعقائدهم.

وقد بلغ هذا المنهج أقصى ما وصل إليه في العصر الحاضر، حيث سعى بعض المنافقين - مع ظهور المدارس الإلحادية والتفسير بالرأي - أن يجذبوا شباب المسلمين إلى صفوفهم، وإخفاء مقاصدهم الإلحادية تحت هذا الستار، وقد

أطلق الشهيد المطهري على هذا المنهج تسمية «المادية المغضلة»، أو «المادية المناقفة».

## أدلة المخالفين للتفسير بالرأي

### ١- آيات القرآن الكريم، مثل:

- أ. قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْمُونَ﴾<sup>(١)</sup>.
- ب. قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

### بيان الاستدلال:

- أ- إن التفسير بالرأي كلام غير علمي ينسب إلى الله تعالى؛ لأن المفسر بالرأي لا يملك اليقين بالوصول إلى الواقع، وغاية ما يتوصل إليه هو الظن.
- ب- إن نسبة الكلام غير العلمي إلى الله حرام؛ للنهي عن ذلك في القرآن كما في الآيتين المتقدمتين؛ فالنتيجة هي حرمة التفسير بالرأي<sup>(٣)</sup>.

### ٢- روايات المنع من التفسير بالرأي

ثمة روايات متعددة في مصادر الشيعة والسنة يمكن تقسيمها إلى عدة مجموعات:

أ. الروايات التي تدين وتذم التفسير بالرأي فقط وتذكر جزاءهم، منها:

(١) سورة الأعراف، الآية: ٣٣.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

(٣) الإقتان في علوم القرآن، السيوطي، ج ٤، ص ٢١٠.



- عن النبي ﷺ قال: «من فسّر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار»<sup>(١)</sup>.
- عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «من فسّر برأيه آية من كتاب الله فقد كفر»<sup>(٢)</sup>.
- عن النبي ﷺ قال: «قال الله جلّ جلاله: ما آمن بي من فسّر برأيه كلامي»<sup>(٣)</sup>.
- ب- الروايات التي تعتبر التفسير بالرأي نوعاً من أنواع الكذب والقول بغير علم، منها:
- عن النبي ﷺ قال: «من فسّر القرآن برأيه فقد افتري على الله الكذب»<sup>(٤)</sup>.
- وعنه ﷺ قال: «من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار»<sup>(٥)</sup>.
- ج- الروايات التي تدين التفسير بالرأي من جهة كونه ضلالاً، منها:
- عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «ويحك يا قتادة إن كنت إنما فسّرت القرآن من تلقاء نفسك فقد هلكت وأهلك»<sup>(٦)</sup>.
- د- الأحاديث التي تدين التفسير بالرأي وإن كانت النتيجة صحيحة، منها:
- عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «من فسّر القرآن برأيه إن أصاب لم يؤجر، وإن أخطأ فهو أبعد من السماء»<sup>(٧)</sup>.

## أدلة القائلين بجواز التفسير بالرأي

١- الآيات القرآنية التي تحثّ على التفكير والتدبّر، منها:

(١) تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي، ج ٢، ص ٧٥.

(٢) تفسير البرهان، هاشم الحسيني البحراني، ج ١، ص ١٩، المطبعة العلمية، إيران، ١٣٩٣هـ.

(٣) عيون أخبار الرضا، الشيخ الصدوق، ج ١، ص ١١٦.

(٤) تفسير البرهان، هاشم الحسيني البحراني، ج ١٦، ص ٧.

(٥) تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي، ج ٣، ص ٧٥.

(٦) تفسير البرهان، هاشم الحسيني البحراني، ج ١٦، ص ٧.

(٧) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٨٩، ص ١١٠.



قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾<sup>(١)</sup>، ومنها الآية التي تشير إلى مسألة الاستنباط من القرآن وهي: قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾<sup>(٢)</sup>.

فقد ورد الحث في هذه الآيات على التفكر والتدبر في آيات القرآن، وأشارت الآية الأولى إلى أن أصحاب العقول والفهم يمكنهم الاستنباط من القرآن والوصول إلى المطالب القرآنية عن طريق الاجتهاد والعقل.

ولا معنى لأن يحثنا الله سبحانه وتعالى على استخدام العقل والتدبر ثم يقف حائلاً دون استعمال الاجتهاد والنظر والرأي.

والجواب: لقد خلط هؤلاء بين مورد التفسير بالرأي مع التفسير العقلي والتدبر في فهم القرآن، فما ورد في هذه الآيات هو الترغيب والحث على التدبر في فهم القرآن، وأنه لا يجوز الاجتهاد والاستنباط من الآيات إلا بعد مراجعة القرائن العقلية والنقلية والتدبر فيها. أما بالنسبة إلى المفسر بالرأي فإنه يعلن رأيه الشخصي قبل الرجوع إلى هذه القرائن ويقوم بتحميل نظره الشخصي على الآيات، فالمنع من التفسير بالرأي لا يعني عدم جواز التدبر والتفكر في آيات القرآن.

٢- إن المنع من التفسير بالرأي لا يعني عدم جواز الاجتهاد في التفسير:

لأن المنع من الاجتهاد يؤدي إلى تعطيل الكثير من الأحكام، وهذا الأمر باطل بالضرورة؛ لأن النبي ﷺ لم يفسر جميع الآيات، فلا بد للمجتهد من استنباط الأحكام من القرآن وإذا ما أخطأ في ذلك فهو مأجور أيضاً.

(١) سورة النساء، الآية: ٨٢.

(٢) سورة النساء، الآية: ٨٢.



والجواب: إن الاجتهاد في الأحكام على قسمين: الاجتهاد قبل مراجعة القرائن العقلية والنقلية، والثاني: الاجتهاد بعد مراجعة القرائن العقلية والنقلية، والأول ممنوع؛ لأنه اجتهاد وفتوى بغير دليل والآخر جائز لأنه اجتهاد صحيح.

وكذلك الاجتهاد في التفسير فإنه ينقسم إلى هذين القسمين أيضاً، فيطلق على القسم الأول التفسير بالرأي، وعلى الثاني التفسير الاجتهادي الصحيح.

٣- لقد قرأ أصحاب النبي ﷺ القرآن واختلفوا في تفسيره:

ولأن جميع أقوالهم التي اختلفوا فيها لم يؤخذ جميعها من النبي ﷺ قطعاً بل اعتمدوا فيها على آرائهم الشخصية، واجتهدوا في مقابل بعضهم البعض، فإن كان التفسير بالرأي حراماً فهذا يعني أن الصحابة قد ارتكبوا الحرام.

والجواب: لا بد من الالتفات إلى عدة نقاط في مسألة اختلاف الصحابة في التفسير:

أ. يمكن أن يكون ذلك الاختلاف نتيجة لوصول أخبار مختلفة للصحابة عن النبي ﷺ أو يكون ناشئاً عن اختلاف فهمهم لكلام رسول الله ﷺ.

ب. يحتمل أن يكون تفسيرهم ناشئاً عن الاختلاف في فهم الآيات المتشابهة، أو الجمع بين الناسخ والمنسوخ أو العام والخاص وأمثال ذلك، وهذا أمر طبيعي ولا يعتبر من التفسير بالرأي.

ج. لم يثبت أن الصحابة قاموا بتفسير القرآن في كل الموارد دون مراجعة المعايير المعتبرة في التفسير، أو دون مراعاة القرائن العقلية والنقلية والالتفات إلى الآيات المحكمة.

د. على فرض أن بعض الصحابة قد تورط في التفسير بالرأي عن طريق الغفلة أو السهو أو الكذب على رسول الله ﷺ، فلا يوجد دليل على عصمتهم لكي





يكون عملهم دليلاً على جواز التفسير بالرأي.

وعلى هذا فمن مجموع أدلة المخالفين لهذا المنهج في التفسير القوية والمقبولة يتبين أنه منهج خاطئ، وأن أدلة القائلين بجوازه ضعيفة لا تنهض لأن تكون أساساً للعمل بهذا المنهج.

## ● خلاصة الدرس

- إنَّ منهج التفسير بالرأي منهج مذموم، ولا بدَّ من معرفته والاطلاع عليه للاجتنا ب عنه.

- إنَّ معنى «الرأي»، في منهج «التفسير بالرأي» هو العقيدة والرأي والذوق الشخصي الذي ينبع من الظنّ.

- من مجموع الأحاديث يتضح أنّ بداية هذا المنهج كانت في زمن الرسول ﷺ، واستمرَّ في زمن الأئمّة عليهم السلام، واتسع وتطوّر في العصر الحاضر.

- استدلّ المخالفون للتفسير بالرأي بالآيات التي تدلّ على منع نسبة غير العلم إلى الله، وهو استدلال مقبول، وكذلك بالروايات التي تدلّ على منع التفسير بالرأي والتي تنقسم إلى عدّة أقسام ذكرناها في البحث.

- استعرضنا عدّة أدلّة للموافقين لمنهج التفسير بالرأي، وبعد الجواب عنها

تبيّن لدينا أنّها غير تامّة، ولا تُثبت هذا المنهج في التفسير.



## الطبباطبائي وموقفه من منهج التفسير بالرأي



### أهداف الدرس

- أن يتعرّف الطالب إلى أهمّية تفسير الميزان
- أن يدرك معنى التفسير بالرأي عند العلّامة الطبباطبائي









## تمهيد

يعتبر كتاب الميزان في تفسير القرآن، للعلامة السيد محمد حسين الطباطبائي واحداً من أشهر وأهم كتب التفسير في واقعنا المعاصر، ونظراً لشهرته اخترنا هذا التفسير ليكون نموذجاً لبحثنا.

## حول تفسير الميزان

من تأليف العلامة الحكيم السيد محمد حسين الطباطبائي المولود بتبريز سنة (١٣٢١هـ). والمتوفى بقم المقدسة سنة (١٤٠٢هـ).

وهو تفسير جامع حافل بمباحث نظرية تحليلية ذات صبغة فلسفية في الأغلب، جمع فيه المؤلف إلى جانب الأنماط التفسيرية السائدة، أموراً مما أثارتها النهضة الحديثة في التفسير، فقد تصدى لما يثيره أعداء الإسلام من شبهات، وما يضللون به من تشويه للمفاهيم الإسلامية، بروح اجتماعية واعية، على أساس من القرآن الكريم.



## مزايا تفسير الميزان

١- جمع بين نمطي التفسير: الموضوعي والترتيبي، فقد فسّر القرآن آية فآية وسورة فسورة، لكنّه إلى جنب ذلك، نراه يجمع الآيات المتناسبة بعضها مع بعض، لِيبحث عن الموضوع الجامع بينها، كلّما مرّ بآية ذات هدف موضوعي، وكانت لها نظائر منبثّة في سائر القرآن.

٢- عنايته التامة بجانب الوحدة الموضوعية السائدة في القرآن، كلّ سورة هي ذات هدف أو أهداف معيّنة، هي تشكّل ببيان السورة بالذات، فلا تتمّ السورة إلاّ عند اكتمال الهدف الموضوعي الذي رامته السورة، ولذلك نجد السور تتفاوت في عدد آياتها.

٣- الاستعانة بمنهج «تفسير القرآن بالقرآن»، فقد حقّق القرآن هذا الأمر وأوجده بعيان؛ إذ نراه يعتمد في «تفسيره» على القرآن ذاته، فيرى أنّ غير القرآن غير صالح لتفسير القرآن، بعد أن كان تبياناً لكلّ شيء فبما ترى كيف يكون القرآن تبياناً لكلّ شيء ولا يكون تبياناً لنفسه؟!

يقول العلامة الطباطبائي: «الطريقة المرضية في التفسير هي أن تفسّر القرآن بالقرآن، ونشخص المصاديق ونعرّفها بالخواص التي تعطىها الآيات، كما قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾<sup>(١)</sup> وحاشا القرآن أن يكون تبياناً لكلّ شيء ولا يكون تبياناً لنفسه»<sup>(٢)</sup> ويمكن القول بحقّ إنّ «الميزان في تفسير القرآن» هو من التفاسير الجامعة لكلّ مناهج وألوان التفسير حيث تجد أنّ السيّد الطباطبائي جمع إلى جانب منهج تفسير القرآن بالقرآن منهج التفسير الروائي والفلسفي والتاريخي والاجتماعي...

(١) سورة النحل، الآية: ٨٩.

(٢) تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي، ج ١، ص ٩.



## بيان الطباطبائي لمنهج التفسير بالرأي

ذكر العلماء والمفسّرون آراء متباينة حول مفاد روايات التفسير بالرأي،  
وسنعرض لرأي العلامة الطباطبائي وموقفه من هذا المنهج.

اعتبر السيّد الطباطبائي أنّ التفسير بالرأي يحتمل وجوهاً متعدّدة، أهمّها:

- تفسير المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله.

- التفسير المقرّر للمذهب الفاسد بأن يجعل المذهب أصلاً والتفسير تبعاً،  
فيردّ إليه بأيّ طريق أمكن وإن كان ضعيفاً. وهذا يحصل فيما لو كان للمفسّر  
ميل إلى نزعة أو مذهب فيتأوّل القرآن على رأيه ويصرفه عن المراد، فيجرّ  
شهادة القرآن لتقرير رأيه.

- التفسير بأن مراد الله تعالى كذا على القطع من غير دليل.

- التفسير بالاستحسان والهوى ومن دون الاستناد إلى نظر في أدلة العربية ومقاصد  
الشريعة، وما لا بدّ منه من معرفة الناسخ والمنسوخ وسبب النزول.

- القول بالقرآن بما يعلم أن الحقّ غيره.

- القول في القرآن بغير علم وتنبُّت، سواء علم أنّ الحقّ خلافه أم لا. ثمّ علق  
عليها بقوله: «وربما أمكن إرجاع بعضها إلى بعض، وكيف كان فهي وجوه خالية  
عن الدليل، على أنّ بعضها ظاهر البطلان»<sup>(١)</sup>.

## معنى «الرأي» عند الطباطبائي

ثمّ بعد أن استعرض النصوص الدالّة على النهي عن تفسير القرآن بالرأي قال:  
«قوله ﷺ: «من فسّر القرآن برأيه...»، الرأي هو الاعتقاد عن اجتهاد، وربما أطلق



على القول عن الهوى والاستحسان، وكيف كان لما ورد قوله برأيه مع الإضافة إلى الضمير، عُلِمَ منه أن ليس المراد به النهي عن الاجتهاد المطلق في تفسير القرآن حتى يكون بالملزمة أمراً بالاتباع والاقتصار على ما ورد من الروايات في تفسير الآيات عن النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام على ما يراه أهل الحديث. بل الإضافة في قوله: «برأيه» تفيد معنى الاختصاص والانفراد والاستقلال بأن يستقل المفسر في تفسير القرآن بما عنده من الأسباب في فهم الكلام العربي، فيقيس كلامه تعالى بكلام الناس، فإن قطعة من الكلام من أي متكلم إذا ورد علينا لم نلبث دون أن نعمل فيه القواعد المعمولة في كشف المراد الكلامي ونحكم بذلك: إنه أراد كذا، كما نجري عليه في الأقارير والشهادات وغيرهما، كل ذلك لكون بياننا مبنياً على ما نعلمه من اللغة ونعده من مصاديق الكلمات حقيقة ومجازاً.

والبيان القرآني غير جار هذا المجرى، بل هو كلام موصول بعضه ببعض في عين أنه مفصول، ينطق بعضه ببعض ويشهد بعضه على بعض كما قاله الإمام عليّ عليه السلام، فلا يكفي ما يتحصّل من آية واحدة بإعمال القواعد المقررة في العلوم المربوطة في انكشاف المعنى المراد منها، دون أن يتعاهد جميع الآيات المناسبة لها ويجتهد في التدبر فيها كما يظهر من قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾<sup>(١)</sup>.

### التفسير المنهي عنه

فالتفسير بالرأي المنهي عنه أمر راجع إلى طريق الكشف دون المكشوف وبعبارة أخرى إنّما نهى ﷺ عن تفهّم كلامه تعالى على نحو ما يتفهّم به كلام غيره وإن كان هذا النحو من التفهّم ربما صادف الواقع، والدليل على ذلك قوله ﷺ في الرواية الأخرى: «من تكلم في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ»،

(١) سورة النساء، الآية: ٨٢.



فإنَّ الحكم بالخطأ مع فرض الإصابة ليس إلا لكون الخطأ في الطريق، وكذا قوله ﷺ: «إن أصاب لم يؤجر»<sup>(١)</sup>.

وليس اختلاف كلامه تعالى مع كلام غيره في نحو استعمال الألفاظ وسرد الجمل وإعمال الصناعات اللفظية، فإنما هو كلام عربي روعي فيه جميع ما يراعى في كلام عربي، وقد قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾<sup>(٢)</sup> وقال تعالى: ﴿ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾<sup>(٣)</sup> وقال تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾<sup>(٤)</sup> وإنما الاختلاف من جهة المراد والمصداق الذي ينطبق عليه مفهوم الكلام.

توضيح ذلك: إننا من جهة تعلق وجودنا بالطبيعة الجسمانية وقطوننا المعجّل في الدنيا الماديّة، ألفنا من كل معنى مصداقه المادي واعتدنا بالأجسام والجسمانيات، فإذا سمعنا كلام واحد من الناس حملناه على ما هو المعهود عندنا من المصداق والنظام الحاكم فيه، لعلمنا بأنه لا يعني إلا ذلك؛ لكونه مثلنا لا يشعر إلا بذلك، وعند ذلك يعود النظام الحاكم في المصداق يحكم في المفهوم، فربما خصص به العام أو عمّم به الخاص أو تصرف في المفهوم بأي تصرف آخر، وهو الذي نسميه بتصرف القرائن العقلية غير اللفظية.

مثال ذلك إننا إذا سمعنا عزيزاً من أعزتنا ذا سؤدد وثرورة يقول: وإن من شيء إلا عندنا خزائنه، وتعلّقنا مفهوم الكلام ومعاني مفرداته حكماً في مرحلة التطبيق على المصداق أن له أبنية محصورة حصينة تسع شيئاً كثيراً من المظروفات، فإنَّ الخزانة هكذا تتخذ إذا اتخذت، وأنَّ له فيها مقداراً وافراً من



(١) أنظر: تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي، ج ٣، ص ٧٧، ٧٦.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٤.

(٣) سورة النحل، الآية: ١٠٣.

(٤) سورة الزخرف، الآية: ٣.

الذهب والفضة والورق والأثاث والزينة والسلاح، فإن هذه الأمور هي التي يمكن أن تخزن عندنا وتحفظ حفظاً. وأمّا الأرض والسماء والبر والبحر والكوكب والإنسان فهي وإن كانت أشياء لكنها لا تخزن ولا تتراكم، ولذلك نحكم بأن المراد من الشيء بعض من أفراده غير المحصورة، وكذا من الخزائن قليل من كثير، فقد عاد النظام الموجود في المصداق وهو أن كثيراً من الأشياء لا يخزن، وأن ما يخزن منها إنما يخزن في بناء حصين مأمون عن الغيلة والغارة، أوجب تقييداً عجيباً في إطلاق مفهوم الشيء والخزائن.

ثم إذا سمعنا الله تعالى ينزل على رسوله قوله: ﴿وإن من شيء إلا عندنا خزائنه﴾<sup>(١)</sup> فإن لم ترق أذهاننا عن مستواها الساذج الأولي فسّرنا كلامه بعين ما فسّرنا به كلام الواحد من الناس، مع أنه لا دليل لنا على ذلك البتة فهو تفسير بما نراه من غير علم.

وإن رقت أذهاننا عن ذلك قليلاً، وأذعننا بأنه تعالى لا يخزن المال وخاصّة إذا سمعناه تعالى يقول في ذيل الآية: ﴿وما ننزله إلا بقدر معلوم﴾ أيضاً: ﴿وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها﴾<sup>(٢)</sup> حكمنا بأن المراد بالشيء الرزق من الخبز والماء، وأن المراد بنزوله نزل المطر لأننا لا نشعر بشيء ينزل من السماء غير المطر، فاختران كل شيء عند الله ثم نزوله بالقدر كناية عن اختزان المطر ونزوله لتهيئة المواد الغذائية. وهذا أيضاً تفسير بما نراه من غير علم؛ إذ لا مستند له إلا أننا لا نعلم شيئاً من السماء غير المطر، والذي بأيدينا ها هنا عدم العلم دون العلم بالعدم.

وإن تعالينا عن هذا المستوى أيضاً واجتنبنا ما فيه من القول في القرآن بغير علم وأبقينا الكلام على إطلاقه التام، وحكمنا أن قوله: ﴿وإن من شيء إلا عندنا

(١) سورة الحجر، الآية: ٢١.

(٢) سورة الجاثية، الآية: ٥.



**خَزَائِنُهُ** ﴿ يبيِّن أمر الخلقه، غير أَنَّا لَمَّا كُنَّا لَا نَشْكُ فِي أَن مَا نَجِدُهُ مِنَ الْأَشْيَاءِ الْمُتَجَدِّدَةِ بِالْخَلْقَةِ كَالْإِنْسَانَ وَالْحَيَوَانَ وَالنَّبَاتَ وَغَيْرَهَا لَا تَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ، وَإِنَّمَا تَحْدُثُ حُدُوثًا فِي الْأَرْضِ، حَكَمْنَا بِأَن قَوْلَهُ: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ ﴾ كِنَايَةٌ عَنِ مَطَاوِعَةِ الْأَشْيَاءِ فِي وَجُودِهَا لِإِرَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَنَّ الْإِرَادَةَ بِمَنْزِلَةِ مَخْزَنِ يَخْتَزِنُ فِيهِ جَمِيعَ الْأَشْيَاءِ الْمَخْلُوقَةِ، وَإِنَّمَا يَخْرُجُ مِنْهُ وَيَنْزِلُ مِنْ عِنْدِهِ تَعَالَى مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ مَشِيَّتُهُ تَعَالَى. وَهَذَا أَيْضًا كَمَا تَرَى تَفْسِيرًا لِلآيَةِ بِمَا نَرَاهُ مِنْ غَيْرِ عِلْمٍ؛ إِذ لَا مُسْتَنَدَ لَنَا فِيهِ سِوَى أَنَّا نَجِدُ الْأَشْيَاءَ غَيْرَ نَازِلَةٍ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ بِالْمَعْنَى الَّتِي نَعْنِدُهَا مِنَ النُّزُولِ وَلَا عِلْمَ لَنَا بِغَيْرِهِ.

وَإِذَا تَأَمَّلْتَ مَا وَصَفَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ مِنْ أَسْمَاءِ ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْقِيَامَةَ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهَا وَحُكْمَ أَحْكَامِهِ وَمَلَكَاتِهَا، وَتَأَمَّلْتَ مَا نَرُوهُ فِي تَفْسِيرِهَا مِنْ إِعْمَالِ الْقِرَائِنِ الْعَقْلِيَّةِ، وَجَدْتَ أَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ مِنْ قِبَلِ التَّفْسِيرِ بِالرَّأْيِ مِنْ غَيْرِ عِلْمٍ وَتَحْرِيفِ لِكَلِمِهِ عَنْ مَوَاضِعِهِ.

مِنْ هُنَا يَظْهَرُ أَنَّ التَّفْسِيرَ بِالرَّأْيِ كَمَا بَيَّنَّاهُ لَا يَخْلُو عَنِ الْقَوْلِ بِغَيْرِ عِلْمٍ كَمَا يَشِيرُ النَّبِيُّ: مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعِدَهُ مِنَ النَّارِ.

وَمِنْ هُنَا يَظْهَرُ أَيْضًا أَنَّ ذَلِكَ يُوَدِّي إِلَى ظُهُورِ التَّنَافِي بَيْنَ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ مِنْ حَيْثُ إِبْطَالُهُ التَّرْتِيبَ الْمَعْنَوِي الْمَوْجُودَ فِي مَضَامِينِهَا فَيُوَدِّي إِلَى وَقُوعِ الْآيَةِ فِي غَيْرِ مَوْقِعِهَا وَوَضْعِ الْكَلِمَةِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا. وَيَلْزِمُهَا تَأْوِيلُ بَعْضِ الْقُرْآنِ أَوْ أَكْثَرَ آيَاتِهَا بِصَرَفِهَا عَنِ ظَاهِرِهَا، كَمَا يَتَأَوَّلُ الْمَجْبِرَةُ آيَاتِ الْإِخْتِيَارِ، وَالْمَفُوضَةُ آيَاتِ الْقَدْرِ، وَغَالِبُ الْمَذَاهِبِ فِي الْإِسْلَامِ لَا يَخْلُو عَنِ التَّأْوِيلِ فِي الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ وَهِيَ الْآيَاتُ الَّتِي لَا يُوَافِقُ ظَاهِرُهَا مَذْهَبَهُمْ، فَيَتَشَبَّهُونَ فِي ذَلِكَ بِذَيْلِ التَّأْوِيلِ اسْتِنَادًا إِلَى الْقَرِينَةِ الْعَقْلِيَّةِ وَهُوَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الظَّاهِرَ الْفُلَانِي قَدْ ثَبَتَ خِلَافَهُ عِنْدَ الْعَقْلِ فَيَجِبُ صَرَفُ الْكَلَامِ عَنْهُ (١).

(١) أنظر: تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي، ج ٢، ص ٨١، ٧٨.



- يعتبر تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي من التفاسير المهمة لكونه يعتمد المنهج الجامع.

- يعتبر السيد الطباطبائي بأن التفسير بالرأي يحتمل وجوهاً متعددة، أهمها ما يلي:

تفسير المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله، التفسير المقرر للمذهب الفاسد بأن يجعل المذهب أصلاً والتفسير تبعاً، التفسير بأن مراد الله تعالى كذا على القطع من غير دليل، التفسير بالاستحسان والهوى ومن دون الاستناد إلى نظر في أدلة العربية ومقاصد الشريعة، وما لا بد منه من معرفة الناسخ والمنسوخ وسبب النزول، القول بالقرآن بما يعلم أن الحق غيره، القول في القرآن بغير علم وتثبت، سواء علم أن الحق خلافه أم لا.

- عند العلامة ليس المراد بالتفسير بالرأي النهي عن الاجتهاد المطلق في تفسير القرآن بل بأن يستقل المفسر في تفسير القرآن بما عنده من الأسباب في فهم الكلام العربي، فيقيس كلامه تعالى بكلام الناس، فالتفسير بالرأي لا يخلو عن القول بغير علم كما يشير النبوي: من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار.

ومن هنا يظهر أيضاً أن ذلك يؤدي إلى ظهور التنافي بين الآيات القرآنية من حيث إبطاله الترتيب المعنوي الموجود في مضامينها فيؤدي إلى وقوع الآية في غير موقعها ووضع الكلمة في غير موضعها. ويلزمها تأويل بعض القرآن أو أكثر آياتها بصرفها عن ظاهرها.



## منهج التفسير الإشاري (1) منهج العرفاء والمتصوفين



### أهداف الدرس

- أن يتعرّف الطالب إلى المنهج العرفاني الإشاري
- أن يعدّد على أهمّ التفاسير العرفانية والإشارية







## تمهيد

المنهج الإشاري هو أحد المناهج القديمة في التفسير. وقد عُرف بأسماء متنوعة، مثل التفسير الباطني، العرفاني، الشهودي، والرمزي، وكل من هذه الأسماء يشير إلى نوع خاص من هذا التفسير. وهناك اختلاف كبير في وجهات النظر بين المفسرين والمحققين بالنسبة إلى هذا المنهج وأنواعه. فهناك من ارتضى بعض أقسامه واستفاد منه، ومنهم من رفضه واعتبره من التأويل والباطن. ولتوضيح هذه المسألة وتمييز المنهج الصحيح من غير الصحيح في التفسير الإشاري لا بد من دراسته بصورة دقيقة، وسوف نقوم في هذا الدرس بمناقشة التفسير الإشاري وأنواعه ومعاييره مع ذكر بعض الأمثلة المتعددة.

## معنى المنهج الإشاري في التفسير

الإشارة لغةً بمعنى العلامة والإيماء والذي يعني اختيار أمر من الأمور (من القول أو العمل أو الرأي). وقد وردت هذه الكلمة في القرآن، كما في الآية ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾<sup>(1)</sup> أي اختيار شيء وإرجاع لهم إليه.

(1) سورة مريم، الآية: ٢٩.

أما في الاصطلاح فالإشارة تعني أن يستفاد شيء من الكلام دون أن يكون موضوعاً له. والإشارة قد تكون حسّية كما هو الحال في ألفاظ الإشارة مثل (هذا)، وقد تكون ذهنية كالإشارة للمعنى في الكلام، بحيث لو أراد التصريح به للزمه الكثير من الكلام. ثم إن الإشارة قد تكون ظاهرة وقد تكون خفية.

وعلى هذا يكون المراد من التفسير الإشاري هو ما يطلق على الإشارات الخفية الموجودة في آيات القرآن، والتي تعتمد على أساس العبور من ظواهر القرآن والأخذ بالباطن، أي استخراج وفهم وتوضيح نكته من الآية لا توجد في ظواهر الآية عن طريق دلالة الإشارة<sup>(١)</sup>.

وبسبب تعدد أنواع التفسير الإشاري، كالتفسير الرمزي، العرفاني، الصوفي، الباطني، والشهودي، فقد تنوّعت التعاريف تبعاً لذلك، وهذا ما سيبتين لنا من خلال ما سيأتي.

## الواقع التاريخي لهذا المنهج

يرجع تاريخ بعض أقسام التفسير الإشاري كالتفسير الباطني إلى صدر الإسلام، أي إن جذور هذا المنهج توجد في أقوال وكلام النبي ﷺ وأهل البيت عليهم السلام حيث روي عنهم: أن القرآن له ظاهر وباطن<sup>(٢)</sup>. وقد أشارت بعض الأحاديث إلى هذا النحو من التفسير فقد روي في الحديث: «أن كتاب الله عز وجل على أربعة أشياء: على العبارة والإشارة واللطائف والحقائق؛ فالعبارة للعوام، والإشارة للخواص، واللطائف للأولياء، والحقائق للأنبياء»<sup>(٣)</sup>.

(١) دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية، محمد علي الرضائي، ص ١٩٢، نقلاً عن أصول التفسير وقواعده، خالد عبد الرحمن العك، ص ٢٠٦-٢٠٥.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٩٢، ص ٩٥.

(٣) م. ن. ج ٩٢، ص ٢٠ و ٧٨، ص ٢٧٨.



وبسبب قبول جميع المسلمين بكون القرآن له باطن عميق، ومعان دقيقة ويحتوي على الإشارات والكنيات، فقد أصبح الطريق مفتوحاً لهذا النوع من التفاسير، حتى أن ابن عربي كتب: فكما أن تنزيل أصل القرآن على النبي ﷺ كان من قبل الله فإن تنزيل فهمه على قلوب المؤمنين من قبل الحق تعالى.

وقد اهتم بعض العرفاء والصوفية ببعض الأنواع من التفسير الإشاري مثل التفسير الرمزي والشهودي والصوفي والعرفاني فيما بعد، ودونوا كتباً متعددة في هذا المجال.

واعتبر العلامة الطباطبائي أن بداية هذا المنهج تعود إلى القرن الثاني والثالث الهجري، أي بعد ترجمة الكتب الفلسفية اليونانية إلى اللغة العربية<sup>(١)</sup>.

## أهم تفاسير الصوفية وأهل العرفان

### ١- تفسير التستري

بدأ التفسير الباطني اعتماداً على تأويل الآيات منذ القرن الثالث على يد أبي محمد سهل بن عبد الله التستري (٢٠٠-٢٨٣هـ). فإن له تفسيراً على طريقة الصوفية جمعه أبو بكر محمد بن أحمد البلدي، وطبع في مصر سنة ١٩٠٨.

وكان التستري من كبار العارفين، وقد ذكرت له كرامات، أقام في البصرة زمناً طويلاً، وتوفي فيها. لم يتعرض لتفسير جميع القرآن، بل تكلم عن آيات محدودة ومتفرقة من كل سورة، ونجده أحياناً لا يقتصر على التفسير الإشاري وحده، بل ربّما ذكر المعاني الظاهرة ثم يعقبها بالمعاني الإشارية. ومن ذلك تفسيره للآية ﴿وَالْجَارِذِي أَلْقَرَبِي وَالْجَارِ الْجُنْبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ

(١) تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي، ج ١، ص ٧٠٥.



السَّيْلِ ﴿١﴾ حيث يقول بعد ذكره للتفسير الظاهر: وأما باطنها، فالجار ذي القربى هو القلب، والجار الجنب هو الطبيعة، والصاحب بالجنب هو العقل المقتدي بالشرعية، وابن السبيل هو الجوارح المطيعة لله<sup>(٢)</sup>.

## ٢- حقائق التفسير السُّلَمِيِّ

ثاني تفاسير الصوفيّة التي ظهرت إلى الوجود، تفسير أبي الرحمن السُّلَمِيِّ، المسمّى بـ «حقائق التفسير». هو أبو عبد الرحمن محمّد بن الحسين بن موسى الأزدي السُّلَمِيُّ (٢٣٠-٤١٢ هـ). كان شيخ الصوفيّة ورائدهم بخراسان، وله اليد الأولى في تصوّف، وكان على جانب كبير من العلم بالحديث، أخذ منه الحاكم النيسابوري والقشيري صاحب التفسير.

وهذا التفسير من أهم تفاسير الصوفيّة، ويعدّ من أمّهات المراجع للتفسير الباطني لمن تأخّر عنه، وهو امتداد للتفسير الصوفيّ الذي ابتدعه التستري من ذي قبل.

غير أن الاقتصار على المعاني الإشاريّة، والإعراض عن المعاني الظاهرة في هذا التفسير، ترك للعلماء مجالاً للطعن عليه، ولقي معارضا شديدة من معاصريه وممن أتوا بعده، فاتّهم بالابتداع والتحريف، ووضع الأحاديث على الصوفيّة.

فقد حكم بعضهم بأنّ هذا التفسير إذا كان صاحبه يعتقد أنّه تفسير للقرآن فقد كفر، وقال آخر بأنّ فيه وضعا واختلاقا، وما روي فيه عن جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام عامته كذب على جعفر، وقال ثالث بأنّه جاء فيه بمصائب وتأويلات الباطنية<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة النساء، الآية: ٣٦.

(٢) تفسير التستري، ص ٤٥، نقلناه عن التفسير والمفسّرون، الشيخ محمّد هادي معرفة، ج ٢، ص ٩٢٦.

(٣) أنظر: م. ن. ج ٢، ص ٩٦٤-٩٦٥.



ومن تأويلات السُّلَمِيِّ قال في الآية ﴿وَلَوْ أَنَا كُنْبَنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ﴾<sup>(١)</sup>، اقتلوا أنفسكم بمخالفة هواها، أو اخرجوا من دياركم، أي اخرجوا حبّ الدنيا من قلوبكم، ما فعلوه إلا قليل منهم في العدد، كثير في المعاني وهم أهل التوفيق والولايات الصادقة<sup>(٢)</sup>.

وفي قوله تعالى: ﴿فِيهَا فَكْهَةٌ وَنَخْلٌ وَنَبْءٌ الْأَكْمَامِ﴾<sup>(٣)</sup> يقول: قال جعفر: جعل الحقّ تعالى في قلوب أوليائه رياض أسنه، فغرس فيها أشجار المعرفة، أصولها ثابتة في أسرارهم، وفروعها قائمة بالحضرة في المشهد، فهم يجنون ثمار الأنس في كلّ أوان..<sup>(٤)</sup>.

### ٣. لطائف الإشارات للقشيري

هو أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري النيسابوري، ولد في نيسابور (٣٧٦هـ)، طلب العلم فبرع فيه ولا سيّما في الفقه والحديث والأدب والأصول والتفسير، درس على يد عبد الرحمن السُّلَمِيِّ.

وتفسيره هذا امتداد للتفسير الصوفيّ الباطني، معتمداً في أكثر الأحيان على تأويلات قد ينبوعها ظاهر لفظ الآية الكريمة، وحاول في هذا التفسير أن يبرهن على أنّ كلّ صغيرة وكبيرة في علوم الصوفيّة، فإنّ لها أصلاً في القرآن الذي ورد فيه مصطلحات للصوفيّة مثل: الذكر والتوكّل والرضا، والوليّ والولاية والحقّ، والظاهر والباطن..



(١) سورة النساء، الآية: ٦٦.

(٢) تفسير السُّلَمِيِّ، ص ٤٩، نقلناه عن التفسير والمفسّرون، ج ٢، ص ٩٦٦.

(٣) سورة الرحمن، الآية: ١١.

(٤) تفسير السُّلَمِيِّ، ص ٢٤٤، نقلناه عن التفسير والمفسّرون، الشيخ محمّد هادي معرفة، ج ٢، ص ٩٧٦.



من تفسيراته: يقول عند قوله تعالى: ﴿وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾<sup>(١)</sup> يقول: الأمر في الظاهر بتطهير البيت، والإشارة من الآية إلى تطهير القلوب. وتطهير البيت بصَوْنِهِ عن الأدناس والأوضار، وتطهير القلب بحفظه عن ملاحظة الأجناس والأغيار. وطواف الحجّاج حول البيت معلوم بلسان الشرع، وطواف المعاني معلوم لأهل الحق، وقلوب العارفين المعاني فيها طائفة، وقلوب الموحّدين الحقائق فيها عاكفة..<sup>(٢)</sup>

#### ٤. كشف الأسرار وعدّة الأبرار (تفسير المييدي)

وهو المعروف بتفسير الخوaja عبد الله الأنصاري الذي وضع هذا التفسير، ثمّ بسطه ووضّح مبانيه المولى أبو الفضل رشيد الدين المييدي.

والخوaja هو أبو إسماعيل عبد الله بن محمّد بن عليّ بن محمّد الأنصاري الهروي، من ذريّة صاحب النبي ﷺ أبي أيوب الأنصاري، ولد بهراة (٣٩٦ - ٤٨١ هـ) وقبره مزار مشهود هناك. يُعتبر هذا التفسير من أكبر وأضخم التفاسير التي كتبت على الطريقة العرفانية الصوفيّة، في عشرة مجلّدات ضخام (باللغة الفارسية).

وكان منهجه السير في ثلاث نوبات: الأولى: في التفسير الظاهري على حدّ الترجمة الظاهريّة، والثانية: في بيان وجوه المعاني والقراءات وأسباب النزول، وبيان الأحكام وذكر الأخبار، والثالثة: في بيان الرموز والإشارات العرفانية<sup>(٣)</sup>.

#### ٥. تفسير ابن عربي (٥٦٠ - ٦٣٨ هـ).

#### ٦. عرائس البيان في حقائق القرآن لأبي محمّد الشيرازي (ت: ٦٦٦ هـ).

(١) سورة البقرة، الآية: ١٢٥.

(٢) لطائف الإشارات، ج ١، ص ١٣٦، نقلًا عن التفسير والمفسّرون، ج ٢، ص ٩٦٩.

(٣) أنظر: التفسير والمفسّرون، الشيخ محمّد هادي معرفة، ج ٢، ص ٩٧١ - ٩٧٢.



## ٧. التأويلات النجمية لنجم الدين داية (ت: ٦٥٤هـ) وأكملة علاء الدين

السماني (ت: ٧٣٦هـ)<sup>(١)</sup>

### المؤاخذات على التفاسير الصوفية والعرفانية

أهم ما يؤخذ على هذه التفاسير، هو ابتناؤها على الذوق والسليقة والأذواق والسلائق، بما أنّها أحاسيس شخصيّة، فإنّها تختلف حسب المذاقات ومعطيات الأشخاص ولا تتفق على معيار عام شامل.

وإن شئت قلت: إنّهم يرون مذاقاتهم في فهم النص، إلهامات وإشراقات لمعت بها خواطرهم أو سوانح وردت عليهم حسب استعداداتهم في تلقي الفيوضات من الملاء الأعلى.

والإلهام والإلماع، إدراك شخصي بحت. وهي تجربة روحية وشخصيّة لا مستند لاعتبارها سوى عند صاحب التجربة فحسب.

ومن ثمّ ترى تفاسير أهل الذوق العرفاني قلما تتفق. ولو في تفسير آية واحدة - على نهج سويّ وعلى تأويل متوازن لا تعريج فيه.. ولا مبرّر له سوى ما نبّهنا عليه أنّها ليست من التفسير ولا من التأويل، وإنّما هي واردات قلبية.

مثال على ذلك: نجد القشيري يفسّر البسملة في كلّ سورة غير تفسيرها في سائر السور.. بناءً منه على أنّها آية من كلّ سورة، وكلّ آية هي تجلّ لنعته من نعوته تعالى: ولا تكرار في التجليّ، فيجب أن تكون في كلّ سورة بمعنى غير معناها في سائر السور<sup>(٢)</sup>.



(١) أنظر: التفسير والمفسّرون، الشيخ محمّد هادي معرفة، ج ٢، ص ٩٨٤-٩٩٨.

(٢) أنظر: م. ن، ج ٢، ص ٩٥٣-٩٥٤.

## خلاصة الدرس

- المنهج الإشاري في التفسير هو أحد المناهج القديمة في التفسير.  
- المنهج الإشاري له أسماء متعددة مثل: التفسير الباطني، العرفاني،  
الشهودي...

- المراد من التفسير الإشاري هو ما يطلق على الإشارات الخفية الموجودة في  
آيات القرآن الكريم، والتي تعتمد على أساس العبور من ظواهر القرآن والأخذ  
بالباطن.

- المنهج الإشاري له امتداد في التاريخ حيث يرجع إلى صدر الإسلام، وله  
جذور في أقوال النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام.

- تعود بداية هذا المنهج إلى القرن الثاني والثالث الهجري.

- أهم تفاسير الصوفية:

- 1- تفسير التستري.
- 2- حقائق التفسير للسلمي.
- 3- لطائف الإشارات للقشيري.
- 4- كشف الأسرار وعدة الأبرار (الخوجا عبد الله الأنصاري).
- 5- تفسير ابن عربي.

- من أهمّ المؤاخذات على التفاسير الصوفيّة والعرفانيّة هو ابتناؤها على  
الذوق والسليقة والتي هي أحاسيس شخصية.



## أقسام منهج التفسير الإشاري (2) تفسير العرفاء والصوفيّين



### أهداف الدرس

- أن يتعرّف الطالب إلى أقسام التفسير الإشاري ونماذجه
- أن يطلع على نماذج من التفسير الباطني الصحيح
- أن يدرك معايير التفسير الباطني الصحيح







## العرفان والتصوّف

يمثل العرفان نظاماً معرفياً متكاملًا، ينطوي على جانبين أساسيين: عملي ونظري، وهكذا التصوّف الحقيقي فإنه ينطوي على هذين الاتجاهين، ففي الجانب العملي هو التجربة الحقيقية للعارف يمارسها عن طريق ترويض النفس، وتنقية القلب وصقله بواسطة المجاهدات الروحية، وبهذا يحصل على التقوى والزهد وغيرها من الدرجات التي يحصل عليها الصوفي.

وأما الجانب النظري فهو يشابه إلى جانب كبير منه العرفان النظري. وهذا التشابه جعل الكثيرين لا يميزون بين العرفان والتصوّف.

وهذا ما يفرض علينا البحث في تعريف العرفان والتصوّف.

**العرفان النظري:** هو فرع من فروع المعرفة الإنسانية التي تحاول أن تعطي تفسيراً كاملاً عن الوجود ونظامه وتجليّاته ومراتبه، أو فقل: هو بصدد إعطاء رؤية كونية عن المحاور الأساس في عالم الوجود وهي: «الله . الإنسان . العالم»، ولذا قيل بأنه المعرفة الحاصلة عن طريق المشاهدة القلبية لا بواسطة العقل، ولا بفضل التجربة الحسية<sup>(1)</sup>.

(1) محاضرات في الأيديولوجية المقارنة، محمّد تقي مصباح اليزدي، ترجمة محمّد عبد المنعم الخاقاني، ص ٢٠-٢١، دار الحق، قم، ط ١.

■ ■ ■ ■ ■

أما العملي: فهو عبارة عن طريقة للوصول إلى الحق تعالى عن طريق الاشتغال بالمجاهدات والرياضات حتى يتقوى الإنسان ويتمكن من معرفة نفسه لتحريرها من علائقها وقيودها لتتصل بالخالق تعالى. وهو يحتاج إلى العمل المخلص بأحكام الدين.

أما التصوّف فهو: منهج وطريقة زاهدة، مبتنية على أساس الشرع وتزكية النفس، والإعراض عن الدنيا من أجل الوصول إلى الحق تعالى (وهذا طبعاً بالنسبة إلى الصوفية المقبولة شرعاً).

فالفارق بينهما إذاً هو أنّ العرفان نظرية وسلوك، والتصوّف ظاهرة اجتماعية لا تستبطن التنظير أو الرؤية.

ويستعمل العرفان في كلمات جملة من العرفاء مرادفاً للتصوّف، ولكن يُراد به التصوف كطبقة اجتماعية فارغة من البعد النظري.

### أقسام التفسير الإشاري ونماجه

ذكرنا سابقاً أنّ التفسير الإشاري ينقسم إلى أقسام مختلفة، فأحياناً يقسم إلى تفسير إشاري نظري وفيضي، وأخرى إلى تفسير إشاري رمزي وشهودي. وهناك من قسم التفسير الإشاري إلى باطني غير صحيح وباطني صحيح. ونحن سنتبع هذا التقسيم.

#### ١- التفسير الإشاري الباطني غير الصحيح

وهنا يقوم المفسّر بتأويل آيات القرآن بالاستفادة من الشهود الباطني، أو من خلال النظريات العرفانية، المنافية لظواهر القرآن وقواعد الاستنباط من الظاهر، ودون مراعاة الضوابط المعروفة للوصول إلى الباطن أو الاستفادة من القرائن النقلية أو العقلية، ومن الواضح أنّ هذه الطريقة تنتهي إلى التفسير بالرأي.



وتنقسم هذه الطريقة إلى عدة أنواع هي:

### أ- منهج التفسير الإشاري الشهودي (الفيضي)

في هذه الطريقة يستفيد المفسّر من طريقة الكشف والشهود العرفاني، والتجليّات القلبية في تفسير القرآن، متجاوزاً حدود الظواهر.

مثال: ذكر التستري في تفسيره الباطني معنى «بسم الله» فقال: الباء: بهاء الله، والسين: سناء الله، الميم: مجد الله، اللّٰه: هو الاسم الأعظم الذي حوى الأسماء كلّها، وقال بعض الصوفيين في تفسير الآية: ﴿وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ﴾: الأمر الظاهر بتطهير البيت، والإرشاد من الآية إلى تطهير القلب.. وتطهير القلب بحفظه عن ملاحظة الأجناس والأغيار<sup>(١)</sup>.

### ب- منهج التفسير الإشاري (النظري)

وهنا يقوم المفسّر باستخدام المباني النظرية للعرفان النظري في تفسير آيات القرآن متجاوزاً حدود الظاهر دون وجود أية قرينة عقلية أو نقلية على هذا التأويل.

مثال: نقل عن الصوفية في تفسير الآية ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾ قال: نحن خلقناكم بإظهاركم بوجودنا وظهورنا في صوركم. وفي سورة المزمل ﴿وَأذْكُرِ أَسْمَ رَبِّكَ﴾ قال: واذكر اسم ربّك الذي هو أنت، أي اعرف نفسك واذكرها ولا تنسها فينساك الله<sup>(٢)</sup>.



(١) أنظر: هذه الأمثلة وغيرها بالتفصيل في: دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية، محمّد علي الرضائي، ص ٢٠٤-٢٠٥، والتفسير والمفسّرون، الشيخ محمّد هادي معرفة، ج ٢، ص ٩٣٩ وما بعدها.

(٢) أنظر هذه الأمثلة وغيرها بالتفصيل في: دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية، محمّد علي الرضائي، ص ٢٠٤-٢٠٥، والتفسير والمفسّرون، الشيخ محمّد هادي معرفة، ج ٢، ص ٩٣٩ وما بعدها.



### ج- منهج التفسير الإشاري (الباطني)

أنكر بعضهم ظواهر القرآن والشرع، وقالوا إن المقصود الحقيقي للقرآن هو الباطن فقط، بل ذهبوا إلى أكثر من ذلك فقالوا إن ظواهر العبادات والجنّة والنار إشارات إلى أسرار المذهب وأشخاص معيّنين (رؤسائهم).

مثال: قالوا إن المقصود من الصلاة والزكاة والصوم والحج والعمرة والمسجد الحرام أشخاص معيّنين (أئمة الباطنية) وإن معرفة الدين تكمن في معرفة ذلك الشخص.

### الملاحظات الأساس على هذه المناهج

١- إنها تقوم على أساس الشهود (حالة روحية للشخص نتيجة الأذكار والتأمل) الذي يمكن أن يشتمل على مصاديق إلهية وشيطانية، ومن الصعب تشخيص الحدود بين المكاشفات الشيطانية والإلهية، ثمّ إنها لو كانت صحيحة فهي حجّة على أصحابها فقط وبمعونة الإيمان بصاحبها تصبح حجّة على أتباعه.

٢- إن القرآن الكريم لم ينزل على الصوفيّة فقط ليفسّروه عن طريق مبانيهم، بل نزل لعموم الناس، ولهذا فإنّ ذلك يعتبر من منهج التفسير بالرأي ولا يمكن إقامة البرهان عليه.

٣- إن هذه الطريقة خارجة عن حدود الدلالة اللفظيّة للقرآن، فهي ليست من باب التفسير بل هي صياغة لآراء ومباني التصوّف والعرفان النظري بقوالب قرآنية.

### ٢- منهج التفسير الباطني الصحيح

أشارت بعض الأحاديث الصادرة عن الرسول ﷺ والأئمة عليهم السلام إلى أنّ للقرآن



ظاهراً وباطناً، بل بطوناً متعدّدة، وهذا ما دعا بعض المفسّرين إلى الاهتمام بباطن الآيات بالإضافة إلى التفسير الباطني المعتبر. وقد أيد هذا النوع من التفسير الإشاري الصحيح كلّ من الإمام الخميني والعلامة الطباطبائي، لأنّه لا يتمّ فيه التأكيد على الإشراقات والشهودات القلبية والتأويلات التي لا تستند إلى أيّ دليل، ولا يقوم على أساس تحميل المباني النظرية على القرآن، ولا يسلك منهج الباطنية في التأويل.

### نماذج من التفسير الباطني الصحيح

١. قال تعالى: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾<sup>(١)</sup>. فقد جاء عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «من حرق أو غرق - ثم سكت - ثم قال: «تأويلها الأعظم أن دعاها فاستجابت له»<sup>(٢)</sup>.

وفي الحديث عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «من حرق أو غرق، قيل فمن أخرجها من ضلال إلى هدى، قال: تأويلها الأعظم»<sup>(٣)</sup>.

إنّ ظاهر الآية المتقدّمة يتحدّث عن قتل وإحياء الإنسان، فقتل وإحياء أحدهم يعني قتل وإحياء جميع البشر، أمّا تأويلها (الباطني) فهو أهمّ وأعظم، ويأتي ذلك عن طريق إلغاء الخصوصيّة (قتل وإحياء الجسم المادّي) والحصول على قاعدة كليّة تشمل كلّ أنواع الإحياء؛ فإذا ما نجا الإنسان من الضلال وهُدي إلى صراط مستقيم فإنّ روحه سوف تحيا بروح الإيمان والاستجابة لدعوة الحقّ؛ ومثل هذا العمل يعتبر إحياءً لجميع البشر.

(١) سورة المائدة، الآية: ٣٢.

(٢) تفسير الصافي، لطف الله الكلبيكاني، ج ٢، ص ٢١، قم، منشورات إسلامي، ١٣٧٠ هـ.

(٣) م. ن.

وفي الحديث، عن عبد الله بن سنان، عن ذريح المحاربي قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن الله أمرني في كتابه بأمر فأحب أن أعمله، قال: «وما ذاك؟» قلت: قول الله عز وجل: ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نَدْوَرَهُمْ﴾<sup>(١)</sup> قال عليه السلام: «ليقضوا تفثهم لقاء الإمام وليوفوا ندورهم تلك المناسك، قال: عبد الله بن سنان فأتيت أبا عبد الله عليه السلام فقلت: جعلت فداك قول الله عز وجل: ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نَدْوَرَهُمْ﴾ قال: أخذ الشارب وقص الأظفار وما أشبه ذلك، قال: قلت: جعلت فداك إن ذريح المحاربي حدثني عنك بأنك قلت له: ﴿لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾ لقاء الإمام وليوفوا ندورهم تلك المناسك، فقال: «صدق ذريح وصدقت إن للقرآن ظاهراً وباطناً، ومن يحتمل ما يحتمل ذريح؟»<sup>(٢)</sup>.

٢. كتب الإمام الخميني قدس سره في مورد الاستفادة العرفانية والأخلاقية من آيات القرآن فقال: فلو أن شخصاً قرأ وتأمل في المحاوراة التي جرت بين موسى والخضر، وطبيعة التعامل فيما بينهما وقيام موسى بشد رحاله - مع سمو مقام نبوته - طلباً لعلم لم يكن عنده، وكيفية عرضه حاجته على الخضر بالنحو الوارد في الآية الكريمة: ﴿هَلْ أَتَيْكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَ مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾<sup>(٣)</sup>، وجواب الخضر واعتذارات موسى المتكررة، ثم استفاد من كل ذلك عظمة مقام العلم وبعض آداب تعامل المتعلم مع المعلم التي قد يصل ما ورد منها في تلك الآيات إلى ما يقرب من العشرين أدباً...، ثم قال: إن الكثير من استفادات القرآن هي من هذا القبيل<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة الحج: الآية: ٢٩.

(٢) الكافي، ج ٤، ص ٥٤٩.

(٣) سورة الكهف، الآية: ٦٦.

(٤) پرواز در ملکوت مشتمل بر آداب الصلاة (رحلة إلى الملكوت ضمن كتاب آداب الصلاة بالفارسية) الإمام الخميني، ج ٢،



٣. ورد في قصة النبي يوسف عليه السلام أن إخوته - وفي سبيل إحكام خطتهم لإبعاد يوسف عن أبيه - قالوا لأبيهم: ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَع وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾<sup>(١)</sup>. ظاهر الآية يحكي عن حياة يوسف ومكر إخوته لإبعاده عن أبيه، في حين أن هناك عبرة يمكن استخلاصها من هذه القصة وهي أن المخالفين لطريقة الهداية يحاولون أن يسرقوا أولادكم بحجة اللعب والقضايا المادية، فلا بد أن تحذروا من ذلك. وهذه المسألة يمكن تطبيقها في كل وقت بعد إلغاء الخصوصيات الزمانية والمكانية والأفراد المذكورين في القصة، واستخراج قاعدة كلية وعبرة تصلح للجميع، ويمكن أن نجد لهذه القصة مصاديق كثيرة في الوقت الحاضر، فالمستعمرون وعن طريق استخدام طرق متعددة من اللعب يسعون إلى فصل جيل الشباب عن أمتهم وإقائهم في التيه والضياع. فالقرآن لم يقص علينا قصص لتتسلّى بها، بل للعبرة.

عن الإمام الرضا عليه السلام قال: «إِنَّ رَجُلًا سَأَلَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: مَا بَالُ الْقُرْآنِ لَا يَزِدَادُ عِنْدَ النَّشْرِ وَالدراسة إِلَّا غُضاضَةً؟ فَقَالَ: لِأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمْ يَجْعَلْهُ لَزْمَانَ دُونَ زَمَانٍ، وَلَا لِنَاسٍ دُونَ نَاسٍ، فَهُوَ فِي كُلِّ زَمَانٍ جَدِيدٌ، وَعِنْدَ كُلِّ قَوْمٍ غُضٌّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»<sup>(٢)</sup>.

## معايير التفسير الإشاري الصحيح

١. الالتفات إلى ظاهر الآية وباطنها في آن واحد، أي يجب عدم إغفال ظاهر الآية في التفسير، فعلى المفسّر أن لا يدّعي بأن تفسيره (المعنى الإشاري) هو المراد الوحيد للآية، وهذه الضابطة تستفاد من كلام العلامة الطباطبائي وغيره.

(١) سورة يوسف، الآية: ١٢.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٦٢، ص ١٥.

٢. رعاية المناسبة القريبة بين ظاهر الكلام وباطنه؛ أي ينبغي أن لا تكون الدلالة الباطنية أجنبية عن الظواهر، لا مناسبة بينها وبين اللفظ، فإذا كان معنى التأويل هو المفهوم المنتزع من الكلام، فلا بدّ أن تكون هناك مناسبة لفظية تستدعي هذا الانتزاع.

٣. عدم منافاة التفسير الإشاري للأدلة القطعية والآيات المحكمة في القرآن.

٤. الاستفادة من القرائن المعتبرة العقلية والنقلية (الآيات والروايات).

## ● خلاصة الدرس

- هناك تقسيمات متنوعة للتفسير الإشاري، وأفضلها تقسيمه إلى قسمين: التفسير الإشاري الباطني الصحيح وغير الصحيح.

- يعتمد التفسير الإشاري الباطني غير الصحيح على النظريات العرفانية أو الشهود العرفاني والأمر الذوقي والذي لا يتمتع بأي ضابطة؛ ممّا ينتهي بالمفسّر إلى الوقوع في التفسير بالرأي.

- يُقسّم التفسير الإشاري غير صحيح إلى ثلاثة أقسام: تفسير إشاري شهودي (فيضي)، وتفسير إشاري نظري، وتفسير إشاري باطني.

- معايير التفسير الإشاري الصحيح عبارة عن: الالتفات إلى الظاهر والباطن معاً، رعاية المناسبة القريبة بين الظاهر والباطن، الدقّة في إلغاء الخصوصية من الكلام، عدم مخالفة التفسير الإشاري لمحكمات القرآن والأدلة العقلية.



الدرس السابع عشر

## الاتجاه الكلامي في تفسير القرآن



### أهداف الدرس

• أن يتعرّف الطالب إلى أكثر ما يهتمّ به المفسّر في الاتجاه الكلامي

• أن يعدّد أشهر المدارس الكلامية

• أن يدرك أهمّ الموضوعات التي كانت مورد بحث في التفاسير الكلامية







## نبذة تاريخية

«الكلام» في اللغة بمعنى الحديث، أمّا في الاصطلاح فيطلق على علم العقائد. ولم يكن هناك اختلاف ملحوظ في المسائل العقائدية في زمن النبي ﷺ وإنما حدث ذلك بعد وفاته ﷺ وخصوصاً في مسألة الإمامة. واتّسعت دائرة هذه الخلافات تدريجياً إلى مسائل صفات الله والنبي ﷺ ثمّ تكوّن علم الكلام في أواخر القرن الأوّل الهجري وبداية القرن الثاني، وظهرت المدرسة الاعتزالية في الكلام بواسطة واصل بن عطاء (٨٠-١٢١هـ). وتبلورت مدرسة الأشاعرة عن طريق أبي الحسن الأشعري (ت: ٣٣٠هـ تقريباً) عاش في أواخر القرن الثالث الهجري وأوائل القرن الرابع الهجري، ثمّ بعد ذلك ظهرت الفرقة الماتريدية. وقد تكوّنت المدرسة الكلامية للشيعة عن طريق أهل البيت ﷺ في بداية ظهور الإسلام والتي لها عقائد مستوحاة من القرآن الكريم وأحاديث النبي ﷺ في مسألة الإمامة والعصمة، ثمّ أصبحت أكثر ترتيباً وتنظيماً على يد بعض العلماء أمثال الشيخ المفيد (٣٣٦-٤١٣هـ). وقد مارست هذه المدارس الكلامية التفسير أيضاً، فكانت تأخذ من الآيات ما يوافق آراءها وتؤوّل الآيات المخالفة أو تقوم بتوجيهها بحقّ أو بغير حقّ؛ ومن هنا ظهرت الاتجاهات الكلامية في





التفسير بأنواع مختلفة، وسوف نذكر بصورة مختصرة أهم هذه الاتجاهات مع ذكر كتبهم التفسيرية.

## الاتجاه الكلامي

أكثر ما يهتم به المفسر في الاتجاه الكلامي هو:

١. الاهتمام بتفسير آيات العقائد ( التوحيد - العدل - النبوة - الإمامة - المعاد ).
٢. الاهتمام بالآيات المتشابهة في القرآن.
٣. إثبات عقائده ونفي عقائد الآخرين عن طريق تفسير الآيات.
٤. إن بواعث المفسر هو الدفاع عن عقائد المسلمين أو الدفاع عن المدرسة الكلامية التي يتبناها.
٥. الاستفادة من المنهج الاجتهادي والعقلي في التفسير، وأتباع الطريقة الاستدلالية، إضافة إلى استخدام الروايات والآيات أيضاً، ولهذا فقد تشتمل التفاسير الكلامية على مناهج واتجاهات متعددة.

## أشهر المدارس الكلامية في التفسير

### ١- الاتجاه الكلامي الاعتزالي في التفسير

المعتزلة هم أتباع واصل بن عطاء (٨٠-١٣١هـ)، ومن أهم الشخصيات البارزة في هذه المدرسة هم: عمرو بن عبيد (ت: ١٤٣هـ)، أبو الهذيل العلاف (ت: ٢٣٥هـ)، إبراهيم النظام (ت: ٢٣١هـ)، الجاحظ (ت: ٢٥٥هـ)، القاضي عبد الجبار المعتزلي (ت: ٤١٥هـ) والزمخشري (ت: ٥٣٨هـ).



يعتقد المعتزلة أنّ الإنسان حرٌّ ومختار، وأنّ القرآن يمكن تفسيره عن طريق العقل، وأنّه يمكن إدراك كثير من الحقائق بواسطة العقل (دون هداية الشرع)، وفي حالة تعارض الحديث مع العقل فإنّهم يقدّمون العقل، وكذلك يعتقدون أنّ الفاسق ليس بمؤمن ولا كافر (المنزلة بين المنزلتين)، وأنّه لا يمكن للإنسان الحصول على المغفرة دون توبة. وكذلك يعتقدون بالتوحيد الصفاتي، وينكرون التوحيد الأفعالي فهم من العدلية، حيث يعتقدون بعدالة الله وأنّ أفعاله لها غاية وهدف، وكلامه مخلوق، ويحصرّون القدم بالله سبحانه وتعالى.

وقد استمرّت عقائد المعتزلة في الازدهار إلى زمن المتوكّل، حيث نُكِّلَ بهم في زمانه بشدّة، ثمّ انتشر المذهب الأشعري من ذلك الزمان.

من أهمّ التفاسير الكلامية للمعتزلة هي:

١. متشابه القرآن، القاضي عبد الجبار الهمداني (ت: ٤١٥ هـ)، وهو شافعي في المذهب الفقهي، ومعتزلي في الكلام.

٢. تنزيه القرآن عن المطاعن، عبد الجبار المعتزلي.

٣. الكشّاف، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت: ٥٢٨ هـ) وقد تعرّض إلى المسائل الأدبية واللغوية أيضاً.

٤. أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي) القاضي ناصر الدّين أبو

الخير عبد الله بن عمر بن محمّد بن عليّ البيضاوي الشافعي (ت: ٦٨٥ هـ)، وقد كتب هذا التفسير بالاعتماد على تفسير الكشّاف للزمخشري، والمشهور أنّ البيضاوي أشعريّ المذهب، ولكن بعض المحقّقين يعتقدون أنّه معتزلي؛

لأنه أعطى أهمية كبيرة للعقل والعدل في تفسيره<sup>(١)</sup>.

٥. جامع التأويل لمحکم التنزيل، أبو مسلم الأصفهاني (ت: ٣٢٢هـ)، ولا يوجد أصل هذا التفسير ولكن الفخر الرازي نقل عنه في تفسيره، وكذلك الطبرسي في مجمع البيان، وقد طبعت آراء أبي مسلم الأصفهاني التفسيرية في مصر وإيران بصورة مستقلة، ويتميز أبو مسلم بمنهجه العقلي في التفسير.

٦. وهناك تفاسير أخرى للمعتزلة ليست في متناول اليد الآن، مثل: تفسير أبي بكر عبد الرحمن بن كيان الأصم (ت: ٢٤٠هـ)، محمد بن عبد الوهاب بن سلام (أبو علي الجبائي) (ت: ٣٠٣هـ). وهناك تفسير كبير لعبد السلام بن محمد بن يوسف (ت: ٤٨٣هـ) شيخ المعتزلة.

## ٢. الاتجاه الكلامي الأشعري في التفسير

الأشاعرة<sup>(٢)</sup> هم أتباع أبي الحسن الأشعري (ت: ٣٣٠هـ تقريباً)، ومن أهم الشخصيات البارزة عندهم: القاضي أبو بكر الباقلاني (ت: ٤٠٣هـ)، أبو إسحاق الأسفرايني، إمام الحرمين الجويني، الإمام محمد الغزالي (ت: ٥٠٥هـ)، والإمام الفخر الرازي.

من أهم التفاسير الكلامية المدونة للأشاعرة هي:

١. تأويلات القرآن، أبو منصور محمود الماتريدي (ت: ٣٣٣هـ)، وهو في الفقه

(١) التفسير والمفسرون، الشيخ محمد هادي معرفة، ج ٢، ص ٤٣٠.

(٢) الأشاعرة لا يعتقدون بحرية واختيار الإنسان، ويقولون بأن أعماله مخلوقة من قبل الله سبحانه وتعالى، ولا يذهبون إلى أن الإنسان خالق لأفعاله، بل يقولون بالكسب، ولا يعتقدون بالحسن والقبح الذاتي للأفعال، بل إن الحسن والقبح عندهم هو ما حسنه أو قبحه الشارع، وكذلك يعتقدون بأن العدل شرعي وليس عقلياً (ولهذا السبب اعتبروا من منكري العدل)، ويذهبون إلى أن الإنسان الفاسق يعتبر مؤمناً، وأنه يمكن أن تشمل المغفرة العصاة دون توبة، ويعتقدون بالشفاعة ويرفضون التوحيد الصفاتي، ويؤكدون على التوحيد الأفعالي، وأن القضاء والقدر الإلهي وإرادته عامة في جميع الحوادث، وأن الشر والخير من الله سبحانه وتعالى، وكلام الله قديم (الكلام النفسي وليس الكلام اللفظي)، وأن أفعال الله ليست معللة وليس لها غاية، وأن الله سوف يرى يوم القيامة بالمادية، وأن العالم حادث زمني، وأنه يجوز التكليف بما لا يطاق.



من أتباع مذهب أبي حنيفة، ويميل إلى المدرسة الكلامية الأشعرية.

٢. مدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفي)، عبد الله بن أحمد بن محمود بن محمد النسفي (القرن السابع). وقد دُون هذا الكتاب من أجل نقد آراء الزمخشري في الكشاف، والنسفي من أئمة المذهب الحنفي في زمانه.

٣. بيان المعاني، عبد القادر الملا حويش آل غاري، حنفي المذهب، ومن أتباع المذهب الأشعري في الكلام.

٤. مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) للفخر الرازي (ت: ٦٠٢ هـ) <sup>(١)</sup> ويطلق عليه إمام المشككين، وقد أسرف في ذكر المباحث الكلامية حتى قيل في تفسيره: فيه كل شيء إلا التفسير. ورغم كونه أشعرياً في الكلام، ولكنه قد يتكلم خلاف العقيدة الأشعرية في بعض الأحيان <sup>(٢)</sup>.

### ٣. الاتجاه الكلامي للشيعة في التفسير

الشيعة هم أتباع الأئمة الإثني عشر - من الإمام عليّ عليه السلام إلى الإمام المهدي عليه السلام -، وقد استفاد الشيعة من أئمة أهل البيت عليهم السلام في القرون الأولى، وأخذوا عنهم أهم المسائل الكلامية، وقد شاع المذهب الكلامي للشيعة بعد انتهاء الغيبة الصغرى لإمام العصر عليه السلام سنة (٣٢٩ هـ)، بواسطة علماء الشيعة الكبار أمثال: الشيخ المفيد، والسيد المرتضى، والشيخ الطوسي، والخواجة نصير الدين الطوسي، و...



(١) وهناك من قال أن سنة وفاته (٦٠٦ هـ)، أنظر: التفسير والمفسرون، الشيخ محمد هادي معرفة، ج ٢، ص ٤٠٦.

(٢) م. ن، ص ٤١٤-٤١٥.

تعتقد الشيعة بالتوحيد الصفاتي، والعدل الإلهي، وقد أعطوا أهمية لكل من العقل والنقل، وذهبوا إلى أنّ الإنسان مختار في أفعاله (ليس بصورة مطلقة ولكن أمر بين أمرين)، وينكرون التكليف بما لا يطاق، ويعتقدون بأنّ الله لا يرى بالعين الماديّة لا في الدنيا ولا في الآخرة. ومن أهمّ المسائل الكلامية للشيعة هو الاعتقاد بإمامة أمير المؤمنين عليه السلام، والأئمّة الإثني عشر عليهم السلام، وكذلك الاعتقاد بعصمة الأنبياء والأئمّة عليهم السلام. وأمّا الاتجاه التفسيري للشيعة فهو الالتفات إلى كل من الظاهر والباطن للقرآن.

من أهمّ التفاسير الكلامية للشيعة هي:

١- غرر الفوائد ودرر القلائد (أمالى السيّد المرتضى)، الشريف المرتضى (ت: ٤٣٦هـ)، والذي جمع بين الظاهر والباطن.

٢- تفسير التبيان، الشيخ أبو جعفر الطوسي (ت: ٤٦٠هـ).

٣- تفسير مجمع البيان، أبو علي الطبرسي (ت: ٥٤٨هـ). رغم كون التفسيرين المذكورين من التفاسير الجامعة ولكنهما كثيراً ما يهتمّان بالمباحث الكلامية.

٤- متشابه القرآن ومختلفه، ابن شهر آشوب المازندراني (ت: ٥٨٨هـ)، وقد دون هذا التفسير بصورة موضوعية.

٥- حدائق ذات بهجة، أبو يوسف عبد السلام القزويني (ت: ٤٨٨هـ)، ويشمل جميع آيات القرآن وهذا التفسير كان موجوداً حتى زمان الصفويين.

٦- بلابل القلائد، أبو مكارم محمّد بن محمّد الحسنّي (القرن السابع) باللغة الفارسية. وقد بدأ بالآيات التي تبدأ بلفظ «قل».



٧. دقائق التأويل وحقائق التنزيل، أبو المكارم محمد بن محمد الحسن، وقد فسّر الآيات التي تشتمل على العبارات التالية: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾.

٨. جلاء الأذهان وجلاء الأحزان، أبو المحاسن حسين بن الحسن الجرجاني (القرن الثامن) باللغة الفارسيّة، وهو مأخوذ من تفسير أبي الفتوح الرازي الشيعي إلى حدّ ما.

٩. لوامع التنزيل وسواطع التأويل، أبو القاسم الرضوي اللاهوري (ت: ١٣٢٤هـ)، باللغة الفارسية، والمؤلف من علماء الهند.

١٠. آلاء الرحمن، محمد جواد البلاغي النجفي (١٢٨٢ - ١٣٥٢هـ)، وآخر هذا التفسير هو الآية (٥٧) من سورة النساء، وكثيراً ما يتعرّض إلى المسائل الكلامية بين الأديان.

١١. الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي (١٣٢١ - ١٤٠٢هـ) باللغة العربية، وهو يتعرّض كثيراً إلى المباحث الاعتقادية (وخصوصاً في المجلّدات الأولى من تفسيره)، ورغم أنّ منهجه هو تفسير القرآن بالقرآن ولكنه يهتم كثيراً بالمباحث الكلامية والفلسفية.

١٢. مواهب الرحمن، السيّد عبد الأعلى السبزواري (١٣٢٨ - ١٤١٤هـ).

١٣. تفسير نمونه، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ومعاونوه (معاصر)، فارسي.

١٤. تفسير «كلامي قرآن مجيد»، بالفارسية، محمد حسين الروحاني. تعرّض فيه إلى المباحث الاعتقادية للشيعة والدفاع عنها، وإن كان تفسيره جامعاً ذا اتجاه اجتماعي.



## النماذج

من أهمّ الموضوعات والآيات التي كانت مورد بحث ونقاش في التفاسير الكلامية هي:

١. التوحيد الصفاتي

٢. التوحيد الأفعالي

٣. عصمة الأنبياء ﷺ

٤. العدل الإلهي

٥. الإمامة وخلافة الرسول ﷺ

٦. الهداية والضلال وعلاقتهما بحرية واختيار الإنسان

٧. رؤية الله بالعين وعلاقة ذلك بمسألة التجسيم والتشبيه.

مثال: قال إسحاق المروزي، وهو من الحنابلة - أشعري الكلام - في الآية الكريمة ﴿ وَمَنْ أَلِيلٍ فَتَهَجَّدَ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴾<sup>(١)</sup>. إنَّ الله سبحانه يُقعد النبي ﷺ معه على العرش وذلك جزاءً له على تهجده، في حين نفى المعتزلة هذا المعنى وقالوا: «إنَّ حديث الجلوس على العرش محال، ووقعت الفتنة فقتل بينهم عدد كبير!» واضطر الجند إلى التدخل لإيقافها»<sup>(٢)</sup>.

وكذلك بالنسبة إلى الآية الشريفة ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ۖ ﴾<sup>(٣)</sup> إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿﴾<sup>(٢)</sup> فقد ذهب بعض المفسرين إلى أن الله سوف يرى في الآخرة،

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧٩.

(٢) أنظر: تاريخ ابن أثير، ج ٥، ص ١٢١.

(٣) سورة القيامة، الآيتان: ٢٢-٢٣.



وهناك روايات في صحيح البخاري تؤيد هذا المعنى أيضاً<sup>(١)</sup>. وأما المعتزلة فقالت: إن ظاهر الآية يتعارض مع الآية الكريمة ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾<sup>(٢)</sup> وأن هذا المعنى - رؤية الله في الآخرة - هو من المعاني المجازية.

قال العلامة الطباطبائي قدس سره في تفسير الآية السابقة: «والمراد بالنظر إليه تعالى ليس هو النظر الحسي المتعلق بالعين الجسمانية المادية التي قامت البراهين القاطعة على استحالة في حقه تعالى، بل المراد النظر القلبي ورؤية القلب بحقيقة الإيمان على ما يسوق إليه البرهان ويدل عليه الأخبار المأثورة عن أهل العصمة<sup>(٣)</sup>.



(١) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿وَجْهَهُ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٠٢.

(٣) تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي، ج ٢٠، ص ١٩٨.



- أكثر ما يهتم به المفسر في الاتجاه الكلامي هو:

الاهتمام بتفسير آيات العقائد، الاهتمام بالآيات المتشابهة في القرآن، إثبات عقائده ونفي عقائد الآخرين عن طريق تفسير الآيات، إن بواعث المفسر هو الدفاع عن عقائد المسلمين أو الدفاع عن المدرسة الكلامية التي يتبناها، الاستفادة من المنهج الاجتهادي والعقلي في التفسير، وأتباع الطريقة الاستدلالية، إضافة إلى استخدام الروايات والآيات أيضاً، ولهذا فقد تشتمل التفاسير الكلامية على مناهج واتجاهات متعددة.

- أشهر المدارس الكلامية في التفسير عبارة عن:

الاتجاه الاعتزالي، الأشعري، الشيعي، وقد ذكرنا بعض كتب التفسير ذات الاتجاه الكلامي لكل من هذه المدارس.

- من أهم الموضوعات والآيات التي كانت مورد بحث ونقاش في التفاسير الكلامية هي: التوحيد الصفاتي، التوحيد الأفعالي، عصمة الأنبياء عليهم السلام، العدل الإلهي، الإمامة وخلافة الرسول ﷺ، الهداية والضلال وعلاقتهما بحرية واختيار الإنسان، رؤية الله بالعين المادية وعلاقة ذلك بمسألة التجسيم والتشبيه.



## الدرس الثامن عشر

# التفسير على ضوء منهج الأشعري



## أهداف الدرس

- أن يتعرّف الطالب إلى نموذج تطبيقي للتفسير على ضوء المنهج الأشعري







إن فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي (٥٤٣-٦٠٦هـ) ممن فسّر كثيراً من الآيات القرآنية على ضوء مذهبه ومنهجه الذي يتبعه وهو مذهب الإمام الأشعري، وهو أشعري في العقيدة، شافعي في الفقه، فلنذكر نماذج من تفاسيره.

## ١- جواز التكليف بما لا يطاق

إن جواز التكليف بما لا يطاق من مذاهب الأشاعرة ولقد احتج الرازي على مذهبهم بالآيات التالية:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ كَثِيرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَجِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ، مَا لَا مَمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَيْنَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدْتُ

(١) سورة البقرة، الآية: ٦.

(٢) سورة يس، الآية: ٧.

لَهُ تَهْمِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عِينِدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ﴿١﴾.

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ (٢).

ثم أخذ بتقرير دلالة هذه الآيات على جواز التكليف بما لا يطاق بوجوه:

١- أنه تعالى أخبر عن أشخاص معينين أنهم لا يؤمنون قط، فلو صدر منهم الإيمان، لزم انقلاب خبر الله تعالى الصادق كذاباً.

٢- أنه تعالى لما علم منهم الكفر، فكان صدور الإيمان منهم مستلزماً لانقلاب علمه تعالى جهلاً.

٣- أنه تعالى كلف هؤلاء. الذين أخبر عنهم بأنهم لا يؤمنون. بالإيمان البتة، والإيمان يعتبر فيه تصديق الله تعالى في كل ما أخبر عنه، ومما أخبر عنه أنهم لا يؤمنون قط، فقد صاروا مكلفين بأن يؤمنوا بأنهم لا يؤمنون قط، وهذا تكلف بالجمع بين النفي والإثبات (٣).

يلاحظ عليه: أن الوجدان السليم والعقل الفطري يحكم بامتناع تكليف ما لا يطاق، فلا تتدح الإرادة في لوح نفس الأمر وضمير روحه إذا علم أن المأمور غير قادر على العمل، ولذلك فإن مرجع التكليف بما لا يطاق إلى كون نفس التكليف محالاً، ولذلك يقول سبحانه: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (٤).

وأما الوجوه التي اعتمد عليها الرازي فموهونة جداً، وذلك لأن علمه تعالى الأزلي الذي اعتمد عليه الرازي في الوجهين الأولين لم يتعلّق بصدور كل فعل عن فاعله على وجه الإطلاق، بل تعلق علمه بصدور كل فعل عن فاعله حسب

(١) سورة المدثر، الآيات: ١٧، ١١.

(٢) سورة المسد، الآية: ١.

(٣) تفسير الرازي، محمّد بن إدريس، ج ٢، ص ٤٢، المكتبة العصرية، صيدا، د.ت.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.



الخصوصيات الموجودة فيه، وعلى ضوء ذلك تعلق علمه الأزلي بصدور الحرارة من النار على وجه الجبر، بلا شعور كما تعلق علمه الأزلي بصدور الرعشة من المرتعش، عالماً بلا اختيار، ولكن تعلق علمه سبحانه بصدور فعل الإنسان الاختياري منه بقيد الاختيار والحرية، فتعلق علمه بوجود الإنسان وكونه فاعلاً مختاراً وصدور فعله عنه اختياراً. فمثل هذا العلم - يؤكد الاختيار ويدفع الجبر عن ساحة الإنسان.

وإن شئت قلت: إنَّ العلة إذا كانت عالمة شاعرة، ومريدة ومختارة كالإنسان، فقد تعلق علمه بصدور أفعالها منها بتلك الخصوصيات وانصبغ فعلها بصبغة الاختيار والحرية، فلو صدر فعل الإنسان منه بهذه الكيفية كان علمه سبحانه مطابقاً للواقع غير متخلف عنه، وأما لو صدر فعله عنه في هذا المجال عن جبر واضطرار بلا علم وشعور، أو بلا اختيار وإرادة، فعند ذلك يتخلف علمه عن الواقع.

إذا عرفت ذلك فلنرجع إلى تحليل ما ذكره الرازي بلفظه، قال:

فلو صار منهم الإيمان لزم انقلاب خبر الله تعالى الصادق كذباً، فنقول:

إنَّ هؤلاء لا يصدر منهم الإيمان إلى يوم القيامة قطعاً لكن لا من جهة إخباره سبحانه عنه بل لأجل اختيارهم وانتخابهم عدم الإيمان إلى يوم القيامة، فالإخبار عن عدم تديّنهم شيء، وكون الإيمان خارجاً عن الاختيار شيء آخر، والآية تخبر عن الأوّل دون الثاني.

ومنه يظهر ضعف كلامه الثاني حيث قال: «فكان صدور الإيمان منهم مستلزماً لانقلاب علمه تعالى جهلاً»، وذلك لأنَّه سبحانه أخبر عن عدم صدور الإيمان وبما أنه مخبر صادق لا يصدر منهم الإيمان لكن لا لأجل أن الله أخبر عنه، بل

لأجل مبادئ كامنة في أنفسهم تجرّهم إلى عدم الإيمان، فالإخبار عن عدم الإيمان شيء وكون الإيمان خارجاً عن اختيارهم شيء آخر، والآية تخبر عن الأول دون الثاني.

وبما ذكرنا من التحليل تقدر على تحليل الوجه الثالث إذ نمنع أنهم كانوا مكلفين بعدم الإيمان بل كان أبو لهب مكلفاً بالتوحيد والرسالة فقط.

## ٢- إمكان رؤية الله

ذهبت الأشاعرة إلى جواز رؤيته سبحانه يوم القيامة، وهذا هو الأصل البارز في مدرستهم الكلامية، ثم إن هناك آيات تدل بصراحتها على امتناع رؤيته سبحانه فحاولوا إخضاع الآيات لنظريّتهم، وإليك نموذجاً واحداً، يقول سبحانه:

﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾<sup>(١)</sup>.

ومن المعلوم أنّ الإدراك مفهوم عام لا يتعيّن في البصري أو السمعي أو العقلي، فالإدراك بالبصر يراد منه الرؤية بالعين، والإدراك بالسمع يراد منه السماع، هذا هو ظاهر الآية، وهي تنفي إمكان الإدراك بالبصر على الإطلاق.

ولمّا وقف الرازي على أنّ ظاهر الآية أو صريحها لا يوافق أصله الكلامي، لأنّها ظاهرة في نفي الإدراك بالبصر، قال: إنّ أصحابنا (الأشاعرة) احتجّوا بهذه الآية على أنّه يجوز رؤيته والمؤمنون يرونه في الآخرة، وذلك لوجوه:

(١) سورة الأنعام، الآيتان: ١٠٢، ١٠٣.



أ. أنّ الآية في مقام المدح فلو لم يكن جائز الرؤية لما حصل التمدح بقوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ ألا ترى أنّ المعدوم لا تصح رؤيته، والعلوم والقدرة والإرادة والروائح والطعوم لا تصح رؤية شيء منها ولا يمدح شيء منها في كونها ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ فثبت أنّ قوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ لا يفيد المدح، إلا إذا صحّت الرؤية.

والعجب غفلة الرازي عن أنّ المدح ليس بالجزء الأوّل فقط، أعني: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾، بل المدح بمجموع الجزأين المذكورين في الآية كأنه سبحانه يقول: واللّه جلّت عظمته يدرك أبصاركم، ولكن لا تدركه أبصاركم، فالمدح بمجموع القضيتين لا بالقضية الأولى.

ب. أنّ لفظ «الأبصار» صيغة جمع دخل عليها الألف واللام فهي تفيد الاستغراق بمعنى أنّه لا يدركه جميع الأبصار، وهذا لا ينافي أن يدركه بعض الأبصار<sup>(١)</sup>.

يلاحظ عليه: أنّ الآية تفيد عموم السلب لا سلب العموم، بقريضة كونه في مقام بيان رفعة ذاته، وشموخ مقامه. كأنه سبحانه يقول:

«لَا يَدْرِكُهُ أَحَدٌ مِنْ جَمِيعِ ذَوِي الْأَبْصَارِ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ وَلَكِنَّهُ تَعَالَى يَدْرِكُهُمْ، وَهَذَا نَظِيرُ قَوْلِهِ سَبْحَانَهُ: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

إلى غير ذلك من الوجوه الواهية التي ما ساقه إلى ذكرها إلا ليخضع الآية، لمعتقده.



(١) تفسير الرازي، محمّد بن إدريس، ج ١٢، ص ١٢٥.

(٢) سورة غافر، الآية: ٣٥.





## ● خلاصة الدرس

- إنَّ فخر الدِّين الرازي ممَّن فسَّر كثيراً من الآيات القرآنية على ضوء مذهبه ومنهجه الذي يتبعه وهو مذهب الأشعري وقد ذكرنا نماذج من تفاسيره:

١. جواز التكليف بما لا يطاق

٢. إمكان رؤية الله

وقد ناقشناه ورددنا عليه قوله.





## تفسير الآيات على ضوء مدرسة الاعتزال (نموذج تطبيقي)



### أهداف الدرس

- أن يتعرّف الطالب إلى نموذج تطبيقي للتفسير على ضوء المنهج الاعتزالي







## ١- الشفاعة حطّ الذنوب أو رفع الدرجة

إنّ الشفاعة لم تكن فكرة جديدة ابتكرها الإسلام وانفرد بها، بل كانت فكرة رائجة بين جميع أمم العالم من قبل وخاصة بين الوثنيين واليهود. نعم إنّ الإسلام قد طرحها مهذبّة من الخرافات. ومن وقف على آراء اليهود والوثنيين في أمر الشفاعة يقف على أنّ الشفاعة حسب اعتقادهم كانت مبنية على رجائهم لشفاعة أنبيائهم أو أوثانهم في حطّ الذنوب وغفران آثامهم، ولأجل هذا الاعتقاد كانوا يقتربون المعاصي ويرتكبون الذنوب، تعويلاً على ذلك الرجاء، فالآيات النافية للشفاعة والمثبتة لها تحت شرائط خاصّة كلّها راجعة إلى الشفاعة بهذا المعنى فلو نُفِيت فالمنفي هو هذا المعنى، ولو قُبِلت فالمقبول هو هذا المعنى. إنّ الآيات الواردة في مجال الشفاعة على سبعة أنواع لا يصحّ تفسيرها إلا بتفسير بعضها ببعض، وتمييز القسم المراد منها عن المقبول.

203



ومع ذلك نرى أنّ المعتزلة يخصّون آيات الشفاعة بأهل الطاعة دون العصاة ويرتكبون التأويل في موردها، وما هذا إلا للموقف الذي اتّخذوه في حقّ العصاة ومقترفي الذنوب، في أبحاثهم الكلامية، فقالوا بخلود أهل العصيان في النار إذا ماتوا بلا توبة.

قال القاضي عبد الجبار: إن شفاعة الفسّاق الذين ماتوا على الفسوق ولم يتوبوا، (تتنزّل) منزلة الشفاعة لمن قتل ولد الغير، وترصد للآخر حتى يقتله، فكما أنّ ذلك يقبح، فكذلك هاهنا<sup>(١)</sup>.

والذي دفع القاضي إلى تصوير الشفاعة في حق المذنب بما جاء في المثال، هو اعتقاده الراسخ بالأصل الكلامي الذي يعدّ أصلاً من أصول منهج الاعتزال (خلود العاصي إذا مات بلا توبة في النار) وفي الوقت نفسه يعرب عن غفلته عن شروط الشفاعة، فإنّ بعض الذنوب الكبيرة تقطع العلائق الإيمانية بالله سبحانه كما تقطع الأواصر الروحية بالشفيع، فأمثال هؤلاء - العصاة - محرومون من الشفاعة، وقد وردت في الروايات الإسلامية شروط الشفاعة وحرمان طوائف منها.

ولو افترضنا صحّة ما ذكره من التمثيل فحكمه بحرمان العصاة من الشفاعة اجتهاد في مقابل نصوص الآيات وإخضاع لها لمدرسته الفكرية.

يقول الزمخشري في تفسير قوله سبحانه: ﴿أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفِيعَةٌ﴾<sup>(٢)</sup>: ﴿وَلَا خُلَّةٌ﴾ حتى يسامحكم أخلاقكم به، وإن أردتم أن يحطّ عنكم ما في ذمّتكم من الواجب لم تجدوا شفيعاً يشفع لكم في حطّ الواجبات، لأنّ الشفاعة ثمّة في زيادة الفضل لا غير<sup>(٣)</sup>.

يلاحظ عليه: أنّ الآية بصدد نفي الشفاعة بالمعنى المتعارف بين اليهود والوثنيين لأجل أنّهم من المشركين، وانقطاع صلتهم عن الله سبحانه، وبالتالي

إثباتها في حقّ غيرهم بإذنه سبحانه ويقول في الآية التالية: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾، وأمّا أنّ حقيقة الشفاعة زيادة الفضل لا حطّ الذنوب فهو

(١) شرح الأصول الخمسة، عبد الجبار المعتزلي، ص ٦٨٨.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٤.

(٣) الكشّاف، الزمخشري، ج ١، ص ٢٩١ في تفسير الآية رقم ٢٥٤ من سورة البقرة، دار الكتاب العربي، مصر، ١٣٨٥ هـ.



تحميل للعقيدة على الآية، فلو استدلل القائل بها على نفي الشفاعة بتاتا لكان أولى من استدلاله على نفي الشفاعة للكفار، وذلك لأن المفروض أن الشفاعة بمعنى زيادة الفضل لا حط الذنوب، وهو لا يتصور في حق الكفار لأنهم لا يستحقون الثواب فضلاً عن زيادته.

## ٢ - هل مرتكب الكبيرة يستحق المغفرة أم لا؟

اتفقت المعتزلة على أن مرتكب الكبيرة مخلد في النار إذا مات بلا توبة<sup>(١)</sup> وفي ضوء ذلك التجأوا إلى تأويل كثير من الآيات الظاهرة في خلافه نذكر منها آيتين: الأولى: يقول سبحانه: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾<sup>(٢)</sup>.

فالآية ظاهرة في أن مغفرة الرب تشمل الناس في حال كونهم ظالمين، ومن المعلوم أن الآية راجعة إلى غير صورة التوبة وإلا فلا يصح وصفهم بكونهم ظالمين، فلو أخذنا بظاهر الآية فهو يدل على عدم جواز الحكم القطعي بخلود مرتكب الكبيرة في النار إذا مات بلا توبة، لرجاء شمول مغفرة الرب له، ولما كان ظاهر الآية مخالفاً للأصل الكلامي عند صاحب الكشاف، حاول تأويل الآية بقوله: «فيه أوجه:

- ١- أن يريد بقوله ﴿عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾ السيئات المكفرة لمجتنب الكبائر.
- ٢- أو الكبائر بشرط التوبة.

٣- أو يريد بالمغفرة الستر والإمهال<sup>(٣)</sup>.

وأنت خبير بأن كل واحد من الاحتمالات مخالف لظاهر الآية أو صريحها.

(١) أنظر: أوائل المقالات، الشيخ المفيد، ص ١٤، وشرح الأصول الخمسة، عبد الجبار المعتزلي، ص ٦٥٩.

(٢) سورة الرعد، الآية: ٦.

(٣) الكشاف، الزمخشري، ج ٢، ص ١٥٨.

الثانية: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾<sup>(١)</sup>.

والآية واردة في حق غير التائب، لأنَّ الشرك مغفور بالتوبة أيضاً، فيعود نتيجة ذلك عدم جواز الحكم القطعي بخلود مرتكب الكبائر في النار، ولما كان مفاد الآية مخالفاً لما هو المحرَّر في المدرسة الكلامية للمعتزلة حاول صاحب الكشاف تأويل الآية فقال:

الوجه أن يكون الفعل المنفي والمثبت جميعاً موجهين بقوله تعالى: ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ كأنه قيل: «إنَّ الله لا يغفر لمن يشاء الشرك ويغفر لمن يشاء ما دون الشرك» على أن المراد بالأوَّل من لم يتب وبالتالي من تاب، نظير قولك: إنَّ الأمير لا يبذل الدينار ويبذل القنطار لمن يشاء، تريد لا يبذل الدينار لمن لا يستأهله ويبذل القنطار لمن يستأهله<sup>(٢)</sup>.

يلاحظ عليه: أنَّ ما ذكره خلاف ظاهر الآية وقد ساقته إليه مدرسته الكلامية فنزل الأوَّل في غير مورد التوبة، والثاني موردها، حتَّى تتفق الآية ومعتقده. كما أنه لا دلالة في الآية على تقييد الثاني بالتوبة، لأنَّه تفكيك بين الجملتين بلا دليل، بل هما ناظرتان إلى صورة واحدة وهي صورة عدم اقترانهما بالتوبة فلا يغفر الشرك لعظم الذنب ويغفر ما دونه.

ومن هذا القبيل أيضاً، تفسيره لقوله سبحانه: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾<sup>(٣)</sup>.

فقد فسره الزمخشري على ضوء مذهب الاعتزال من خلود أصحاب الكبائر

(١) سورة النساء، الآية: ٤٨.

(٢) الكشاف، الزمخشري، ج ١، ص ٤٠١ في تفسير الآية المذكورة.

(٣) سورة النساء، الآية: ٩٢.



- إذا ماتوا بلا توبة - في النار، وجعل هذه الآية من أدلة عقيدته، فقال: هذه الآية فيها من التهديد والإيعاد، والإبراق والإرعاد، أمر عظيم وخطب غليظ، - إلى أن قال - والعجب من قوم يقرأون هذه الآية ويرون ما فيها ويسمعون هذه الأحاديث العظيمة، ثم لا تدعهم أشعبيتهم وطمّاعيتهم الفارغة، واتباعهم هواهم، وما يخيل إليهم منهاهم، أن يطمعوا في العفو عن قاتل المؤمن بغير توبة ﴿ **أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْرًا عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالَهَا** ﴾<sup>(١)</sup>.

فإن قلت: هل فيها دليل على خلود من لم يتب من أهل الكبائر؟ قلت: ما أبين الدليل، وهو تناول قوله ﴿ **وَمَنْ يَقْتُلْ** ﴾ أي قاتل كان من مسلم أو كافر، تائب أو غير تائب، إلا أن التائب أخرج الدليل، فمن ادعى إخراج المسلم غير التائب فليأت بدليل مثله<sup>(٢)</sup>.

إن ما ذكره الزمخشري بطوله قد ذكره القاضي عبد الجبار على وجه الإيجاز، وقال: وجه الاستدلال أنه تعالى بيّن أن من قتل مؤمناً عمداً جازاه، وعاقبه، وغضب عليه، ولعنه وأخلده في جهنم<sup>(٣)</sup>.

**يلاحظ عليه أولاً:** أن دلالة الآية بالإطلاق، فكما خرج منه القاتل الكافر إذا أسلم، والمسلم القاتل إذا تاب، فليكن كذلك من مات بلا توبة ولكن اقتضت الحكمة الإلهية أن يتفضّل عليه بالعفو، فليس التخصيص أمراً مشكلاً.

**وثانياً:** أن المحتمل أن يكون المراد القاتل المستحلّ لقتل المؤمن، أو قتله لإيمانه وهذا غير بعيد لمن لاحظ سياق الآيات. ومثل هذا يكون كافراً خالداً في النار.

(١) سورة محمد، الآية: ٢٤.

(٢) الكشاف، الزمخشري، ج ١، ص ٤١٦.

(٣) شرح الأصول الخمسة، عبد الجبار المعتزلي، ص ٦٥٩.





- إنَّ المعتزلة كثيراً ما فسَّروا من الآيات القرآنية على ضوء مذهبهم ومنهجهم الذي يتَّبَعونه وقد ذكرنا نماذج من تفاسيرهم:

١. الشفاعة حطَّ الذنوب أو رفع الدرجة

إنَّ المعتزلة يَخْصُّون آيات الشفاعة بأهل الطاعة دون العصاة ويرتكبون التأويل في موردها، وما هذا إلا للموقف الذي اتَّخذه في حقِّ العصاة ومقترفي الذنوب، في أبحاثهم الكلامية، فقالوا بخلود أهل العصيان في النار إذا ماتوا بلا توبة.

٢. هل مرتكب الكبيرة يستحقُّ المغفرة أم لا؟

اتفقت المعتزلة على أنَّ مرتكب الكبيرة مخلد في النار إذا مات بلا توبة وفي ضوء ذلك التجأوا إلى تأويل كثير من الآيات الظاهرة في خلافه نذكر منها آيتين:

**الأولى:** يقول سبحانه: ﴿وَأَنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

**الثانية:** ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾.

**يلاحظ عليه:** أنَّ ما ذكره خلاف ظاهر الآية وقد ساقتهم إليه مدرستهم

الكلامية.



الدرس العشرون

## الاتجاه الفقهي في تفسير القرآن



أهداف الدرس

- أن يتعرّف الطالب إلى الاتجاه الفقهي في تفسير القرآن
- أن يتعرّف إلى خصائص المفسّر ذي الاتجاه الفقهي
- أن يدرك الاتجاهات الفقهية المذهبية وبعض ما أُلّف فيها







## تمهيد

ذكرنا سابقاً بعض المسائل المتعلقة بالمناهج والاتجاهات التفسيرية والفارق بينها، وفي هذه المباحث كان لا بدّ من التعرّض لبعض الاتجاهات التفسيرية والتي منها الاتجاه الفقهي ولتوضيح المراد منه لا بدّ من الإشارة إلى هذه النقاط المهمة:

## نبذة تاريخية

أشار القرآن الكريم في آيات متعددة إلى الأحكام التكليفية للإنسان والتي قيل إنها تقارب الخمسمائة آية. وكان العمل بهذه الآيات قائماً في زمن الرسول ﷺ، وكان الصحابة يسألون النبي ﷺ عن أيّ إبهام حولها.

ولمّا توفي النبي ﷺ أخذ الصحابة يستنبطون الأحكام من هذه الآيات ويعملون بها، وقد يختلفون حولها.

من ذلك أنه لمّا رفعت امرأة إلى عمر وكانت قد ولدت لستّة أشهر، فهمّ عمر أن يرحمها لولا أن تداركها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وقال: «إنّ لها عنراً»



في كتاب الله، يقول تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾<sup>(١)</sup>. وقال: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ فإذا كان الفصال - وهي مدة الرضاع - عامين، فالباقي للحمل ستة أشهر، فاقتنع عمر بذلك وخلق سبيلها. ثم قال: «اللهم لا تبقي لمعضلة ليس لها ابن أبي طالب»<sup>(٢)</sup>.

وبعد نشوء المذاهب الفقهية في القرن الثاني الهجري فما بعد، قام أتباع وعلماء المذاهب كالشيعة، والحنفية، والمالكية، والحنابلة... بتفسير آيات الأحكام وتأليف الكتب في هذا المجال. وقد أفرط بعضهم بتأويل الآيات المخالفة لآرائهم إلى حد أن عبد الله الكرخي (ت: ٣٤٠هـ) - أحد متعصبي المذهب الحنفي - قال: «كل آية أو حديث يخالف ما عليه أصحابنا فهو مؤول أو منسوخ»<sup>(٣)</sup>. ومن الطبيعي فإن الكثير من المفسرين الذين كتبوا في هذا الاتجاه لزموا طريق الإنصاف. واليوم نحن بأشد الحاجة إلى كتب في تفسير آيات الأحكام تضم أدلة جميع المذاهب بصورة مقارنة.

## خصائص الاتجاه الفقهي

إن المفسر ذا الاتجاه الفقهي غالباً ما يهتم بالعناصر التالية:

١- تفسير الآيات التي تتضمن أحكاماً فقهية تخص حياة الإنسان، وتبين تكليفه عن طريق الواجب، المستحب، الحرام، المكروه، والمباح، في أبواب العبادات والمعاملات والأحكام (قصاص وحدود وديات).

٢- اهتمام المفسر يكمن في استنباط الأحكام الشرعية الفرعية عن طريق آيات القرآن.

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٣٢.

(٢) أنظر: التفسير والمفسرون، الشيخ محمد هادي معرفة، ج ٢، ص ٨٠٨.

(٣) م. ن، ج ٢، ص ٨١٤، ٨١٥.

٣. عادة ما يكون المفسر لآيات الأحكام مجتهداً في الفقه، حيث يقوم ببيان رأيه في نهاية المطاف.

٤. عادة ما يستخدم المفسر في هذا الاتجاه المنهج الفقهي في التحليل ويستفيد من الكتاب والسنة والإجماع والعقل.

٥. يتنوع التفسير الفقهي تبعاً للمباني التي يختارها المفسر في الفقه والأصول، فإذا ما ذهب المفسر الفقيه إلى حجة الخبر الواحد، أو الإجماع، فإن نتائج التفسير سوف تختلف عن المفسر الذي لا يعتقد بحجيتها.

## الأنواع والمصادر

إن الاتجاه الفقهي للتفسير يختلف تبعاً لاختلاف المذاهب الفقهية، والآن نشير إلى أهم هذه الاتجاهات:

### ١. الاتجاه الفقهي الشيعي

يتحرك فقهاء الشيعة على أساس مذهب أهل البيت عليهم السلام، ويفسرون آيات الأحكام بالاستفادة من الروايات الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم وأهل البيت عليهم السلام، بالإضافة إلى القرائن العقلية والنقلية الأخرى، ويمكن ذكر بعض التفاسير الفقهية للشيعة:

١. أحكام القرآن (فقه القرآن)، الراوندي (ت: ٥٧٣هـ).

٢. زبدة البيان في أحكام القرآن، المقدس الأردبيلي (ت: ٩٩٣هـ).

٣. كنز العرفان في فقه القرآن، السيوري، المشهور بالفاضل المقداد (ت: ٨٢٦هـ).

٤. تفسير شاهي، السيد أمير الفتوح الحسيني الجرجاني (ت: ٩٧٦هـ) باللغة الفارسية.

٥. مسالك الأفهام إلى آيات الأحكام، جواد الكاظمي (توفي في القرن الحادي عشر الهجري).

٦. تفسير آيات الأحكام، السيد محمد حسين الطباطبائي اليزدي (ت: ١٣٨٦هـ).

### ٢. الاتجاه الفقهي الشافعي

يطلق على أتباع محمد بن إدريس الشافعي (ن: ٢٠٤هـ) في الفقه لقب الشافعية، حيث ذهبوا في تفسير آيات الأحكام طبقاً لآرائه الفقهية. ومن كتبهم في التفسير الفقهي:

١. أحكام القرآن، المنسوب إلى الشافعي.

٢. أحكام القرآن، الهراسي (ت: ٥٠٤هـ).

٣. نيل المرام من تفسير آيات الأحكام، أبو الطيب سيد محمد صديق بن حسن خان القنوجي البخاري (ت: ١٣٠٧هـ).

### ٣. الاتجاه الفقهي المالكي

يطلق على أتباع مالك بن أنس (ت: ١٧٩هـ) لقب المالكية، وقد فسروا آيات الأحكام طبقاً لآرائه الفقهية، ومن كتبهم في التفسير الفقهي:

١. أحكام القرآن، أبو بكر ابن العربي (ت: ٥٤٣هـ).

٢. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ت: ٦٧١هـ).

### ٤. الاتجاه الفقهي الحنفي

يطلق على أتباع أبي حنيفة النعمان بن ثابت (٨٠-١٥٣هـ) في الفقه لقب الحنفية، حيث كتبوا وفسروا آيات الأحكام على أساس آراء أبي حنيفة الفقهية. ومن كتبهم في التفسير الفقهي:



١. أحكام القرآن، الجصاص (ت: ٣٧٠هـ).

٢. التفسيرات الأحمدية، أحمد بن أبي سعيد بن عبد الله (ت: ١١٣٠هـ)، المعروف باسم «ملاجيون» الحنفي.

### ٥. الاتجاه الفقهي الحنبلي

يطلق على أتباع أحمد بن حنبل (١٦٤ - ٢٤١هـ) في الفقه لقب الحنابلة، حيث ذهبوا في تفسير آيات الأحكام طبقاً لآراء أحمد الفقهية، ومن كتبهم في التفسير الفقهي:

١. آيات الأحكام، محمد بن الحسين بن محمد بن الفراء (ت: ٤٥٨هـ).

٢. تفسير آيات الأحكام، شمس الدين محمد أبو بكر الدمشقي المشهور بابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ).

٣. أحكام الرأي من أحكام الآلاء، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن ابن الصايغ (ت: ٧٧٦هـ).

ملاحظة (١): هناك بعض الكتب تناولت تفسير آيات الأحكام بطريقة مقارنة مثل تفسير آيات الأحكام، محمد علي السائس (ت: ١٣٩٦هـ)؛ روائع البيان في تفسير آيات الأحكام، محمد علي الصابوني؛ وتفسير آيات الأحكام، الطباطبائي اليزدي (ت: ١٣٨٦هـ).

ملاحظة (٢): تناولت بعض الكتب آيات الأحكام على الطريقة الموضوعية مثل: أحكام القرآن، الدكتور محمد الخزائلي؛ آيات الأحكام، زين العابدين قرباني.

وهناك من دون آيات الأحكام على الطريقة الترتيبية مثل آيات الأحكام، الميرخاني؛ آيات الأحكام، السيد محمد حسين الطباطبائي اليزدي.





## نماذج وموضوعات

ثمة آيات مختلف في معناها في الاتجاه الفقهي، من أهمها:

١- آية المتعة (النساء: ٢٤).

٢- آية الوضوء (المائدة: ٢٠).

٣- آية الخمس (الأنفال: ٤١).

٤- حجّ التمتع و...

وقد صُنِّفت آيات الأحكام على أساس التقسيم الفقهي إلى العبادات (الصلاة، الصوم و...)، العقود (النكاح و...)، الإيقاعات (الطلاق و...)، الأحكام القضائية (القصاص و...) وهناك من أضاف إليها الأحكام الحكومية (الولاية، الجهاد و...)، والأحكام الاجتماعية (الإرث، الوصية و...).





## خلاصة الدرس

- أشار القرآن الكريم في آيات متعددة إلى الأحكام التكليفية للإنسان والتي قيل إنها تقارب الخمسمائة آية.

- لما توفي النبي ﷺ أخذ الصحابة يستنبطون الأحكام من هذه الآيات ويعملون بها، وقد يختلفون حولها.

- إن المفسر ذا الاتجاه الفقهي غالباً ما يهتمّ بالعناصر التالية:

- 1- تفسير الآيات التي تتضمن أحكاماً فقهية تخص حياة الإنسان.
- 2- اهتمام المفسر يكمن في استنباط الأحكام الشرعية الفرعية عن طريق آيات القرآن.

3- عادة ما يكون المفسر لآيات الأحكام مجتهداً في الفقه.

4- عادة ما يستخدم المفسر في هذا الاتجاه المنهج الفقهي في التحليل ويستفيد من الكتاب والسنة والإجماع والعقل.

5- يتنوع التفسير الفقهي تبعاً للمباني التي يختارها المفسر في الفقه والأصول، فإذا ما ذهب المفسر الفقيه إلى حجية الخبر الواحد، أو الإجماع، فإن نتائج التفسير سوف تختلف عن المفسر الذي لا يعتقد بحجيتها.

217

◆ إن الاتجاه الفقهي للتفسير يختلف تبعاً لاختلاف المذاهب الفقهية، نشير إلى أهم هذه الاتجاهات: الاتجاه الفقهي الشيعي، الشافعي، المالكي، الحنفي، الحنبلي. وذكّرنا لكل اتجاه بعض الكتب.

ثمّة آيات مختلف في معناها في الاتجاه الفقهي، من أهمّها: آية المتعة



(النساء: ٢٤)، آية الوضوء (المائدة: ٢٠)، آية الخمس (الأنفال: ٤١)، حجّ  
التمتع و...

وقد صُنِّفَت آيات الأحكام على أساس التقسيم الفقهي إلى العبادات  
(الصلاة، الصوم و...)، العقود (النكاح و...)، الإيقاعات (الطلاق و...)،  
الأحكام القضائية (القصاص و...) وهناك من أضاف إليها الأحكام الحكوميّة  
(الولاية، الجهاد و...)، والأحكام الاجتماعية (الإرث، الوصية و...).





## نماذج تفسيرية

### محور الأهداف

أن يتعرّف الطالب إلى:

نموذج المنهج النقلي (الروائي)



نموذج المنهج العرفاني



نموذج المنهج النقلي (القرآن بالقرآن)



نموذج المنهج الكامل



نموذج الاتجاه الأدبي



نموذج الاتجاه الكلامي



نموذج الاتجاه الموضوعي







الدرس الواحد والعشرون

## آية الولاية



أهداف الدرس

- أن يتعرّف الطالب إلى نموذج المنهج النقلي (الروائي)
- أن يتعرّف إلى نموذج الاتجاهين الأدبي والكلامي





﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ (١).

اسم الكتاب	مجمع البيان في تفسير القرآن
تأليف	أمين الإسلام أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي ( ... - ٥٤٨ هـ )
القرن	السادس الهجري
الاتجاه	الأدبي
المصدر	ج ٣ ص ٣٢٢ - ٣٢٣

### اللغة

الوليّ: هو الذي يلي النصرة والمعونة والولي هو الذي يلي تدبير الأمر يقال فلان وليّ المرأة إذا كان يملك تدبير نكاحها ووليّ الدم من كان إليه المطالبة بالقود والسلطان ولي أمر الرعية ويقال لمن يرشحه لخلافته عليهم بعده وليّ عهد المسلمين قال الكميت يمدح عليّاً:

ونعم وليّ الأمر بعد وليّه      ومنتجع التقوى ونعم المؤدّب



وإنما أراد وليّ الأمر والقائم بتدبيره قال المبرد في كتاب العبارة عن صفات الله: أصل الوليّ الذي هو أولى أي أحقّ ومثله المولى.

والركوع هو التّطأطؤ المخصوص قال الخليل كلّ شيء ينكب لوجهه فتمسّ ركبته الأرض أو لا يمسّ بعد أن يطأطئ رأسه فهو راع وأشدّ لبيد:

أخبر أخبار القرون التي مضت أدب كأنني كلما قمت راع

وقال ابن دريد: الراكع الذي يكبو على وجهه ومنه الركوع في الصلاة، قال الشاعر:

وأفلت حاجب فوق العوالي على شقا تركع في الظراب

وقد يوصف الخاضع بأنّه راع على سبيل التشبيه والمجاز لما يستعمله من التّطامن والتّطأطؤ وعلى ذلك قول الشاعر:

لا تُهِنِ الْفَقِيرَ عَلكَ أَنْ تَرَكَعَ يَوْمًا وَالدهرُ قد رَفَعَهُ

## الإعراب

لفظة [إنّما] مخصّصة لما أثبت بعده نافية لما لم يثبت، يقول القائل لغيره: «إنّما لك عندي درهم فيكون مثل أن يقول أنّه ليس لك عندي إلاّ درهم»، وقالوا: «إنّما السخاء حاتم» يريدون نفي السخاء عن غيره والتقدير إنّما السخاء سخاء حاتم فحذف المضاف، والمفهوم من قول القائل إنّما أكلت رغيفاً وإنّما لقيت اليوم زيداً نفي أكل أكثر من رغيف ونفي لقاء غير زيد.

وقال الأعشى:

ولست بالأكثر منهم حصي وإنّما العزّة للكائر



أراد نفي العزة عنّ ليس بكاثر وقوله « وهم راعون » جملة في موضع النصب على الحال من يؤتون أي يؤتون الزكاة راعين كما يقال الجواد من يوجد بماله وهو ضاحك...

اسم الكتاب	تفسير القمي
تأليف	أبو الحسن عليّ بن إبراهيم القمي رَحِمَهُ اللهُ ( ... - ٣٠٧ هـ )
القرن	الثالث - الرابع الهجري
المنهج	الروائي
المصدر	ج ٩ ص ١١

وأما قوله ﴿ **إِنهَا وَلِيكُمْ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاعُونَ** ﴾ فإنه حدّثني أبي عن صفوان عن أبان بن عثمان بن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قال: بينما رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جالس وعنده قوم من اليهود فيهم عبد الله بن سلام، إذ نزلت عليه هذه الآية فخرج رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المسجد فاستقبله سائل، فقال هل أعطاك أحد شيئاً؟ قال نعم، ذلك المصلّي ف جاء رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإذا هو عليّ أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ .

آية الولاية

اسم الكتاب	تفسير العسكري
تأليف	منسوب إلى الإمام العسكري <small>عَلَيْهِ السَّلَامُ</small>
القرن	الثالث الهجري
المنهج	الروائي
المصدر	ج ٤ ص ١٠١

225



قال (أي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): يا عبد الله بن سلام ﴿ **إِنهَا وَلِيكُمْ اللهُ** ﴾ ناصركم الله على اليهود القاصدين بالسوء لك (ورسوله) [إنما] وليك وناصرك (والذين

آمنوا الذين - صفتهم أنهم - يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راعون) أي وهم في ركوعهم.

ثم قال: يا عبد الله بن سلام (ومن يتولى الله ورسوله والذين آمنوا) من يتولاهم، ووالى أولياءهم، وعادى أعداءهم، ولجأ عند المهمات إلى الله ثم إليهم (فإن حزب الله) جنده (هم الغالبون) لليهود وسائر الكافرين، أي فلا يهمنك يا بن سلام، فإن الله تعالى [هو ناصرك] وهؤلاء أنصارك، وهو كافيك شرور أعدائك وذائد عنك مكايدهم.

فقال رسول الله ﷺ: يا عبد الله بن سلام أبشر، فقد جعل الله لك أولياء خيراً منهم: الله، ورسوله، والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة، وهم راعون.

فقال عبد الله بن سلام: [يا رسول الله] من هؤلاء الذين آمنوا؟ فنظر رسول الله ﷺ إلى سائل، فقال: هل أعطاك أحد شيئاً الآن؟ قال: نعم ذلك المصلي، أشار إلي بأصبعه: أن خذ الخاتم.

فأخذته فنظرت إليه وإلى الخاتم، فإذا هو خاتم علي بن أبي طالب عليه السلام. فقال رسول الله ﷺ: الله أكبر، هذا وليكم [بعدي] وأولى الناس بالناس بعدي.



اسم الكتاب	التبيان في تفسير القرآن
تأليف	شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (٢٨٥ - ٤٦٠ هـ)
القرن	الرابع - الخامس الهجري
الاتجاه	الكلامي
المصدر	ج ٣ ص ٥٥٧ - ٥٦٢

### الاتجاه الكلامي

واعلم أنّ هذه الآية من الأدلة الواضحة على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام بعد النبيّ بلا فصل. ووجه الدلالة فيها أنّه قد ثبت أنّ الولي في الآية بمعنى الأولى والأحقّ. وثبت أيضاً أنّ المعنى بقوله ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أمير المؤمنين عليه السلام فإذا ثبت هذان الأصلان دلّ على إمامته، لأنّ كلّ من قال: «إنّ معنى الولي في الآية ما ذكرناه قال إنّها خاصّة فيه».

ومن قال باختصاصها به عليه السلام قال المراد بها الإمامة.

فإن قيل دلّوا أولاً على أنّ الولي يستعمل في اللغة بمعنى الأولى والأحقّ ثمّ على أنّ المراد به في الآية ذلك، ثمّ دلّوا على توجّهاها إلى أمير المؤمنين عليه السلام. قلنا: الذي يدلّ على أنّ الولي يفيد الأولى قول أهل اللغة لسلطان المالك للأمر: فلان ولي الأمر قال الكميت:

227 ونعم وليّ الأمر بعد وليّه      ومنتجع التقوى ونعم المؤدّب

ويقولون: فلان ولي عهد المسلمين إذا استخلف للأمر لأنّه أولى بمقام من قبله من غيره وقال النبيّ صلى الله عليه وآله: «أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل» يريد من هو أولى بالعقد عليها.

وقال تعالى: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ۖ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْهُ آلِ يَعْقُوبَ﴾ (١) يعني من يكون أولى بحياتة ميراثي من بني العم.

وقال المبرد: الولي والأولى والأحقّ والمولى بمعنى واحد والأمر فيما ذكرناه ظاهر، فأما الذي يدلّ على أنّ المراد به في الآية ما ذكرناه هو أنّ الله تعالى نفى أن يكون لنا ولي غير الله وغير رسوله، والذين آمنوا بلفظة «إنما» ولو كان المراد به الموالاتة في الدين لما خصّ بها المذكورين، لأنّ الموالاتة في الدين عامّة في المؤمنين كلّهم.

قال الله تعالى ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ (٢) وإنما قلنا: إنّ لفظة (إنما) تفيد التخصيص، لأنّ القائل، إذا قال إنّما لك عندي درهم فهم منه نفى ما زاد عليه، وقام مقام قوله: ليس لك عندي إلا درهم. ولذلك يقولون إنّما النحاة المدققون البصريون ويريدون نفى التدقيق عن غيرهم. ومثله قولهم: إنّما السخاء سخاء حاتم، يريدون نفى السخاء عن غيره، قال الأعشى:

ولست بالأكثر منهم حصي

وإنّما العزّة للكائر (٣)

أراد نفى العزّة عن من ليس بكائر.

واحتجّ الأنصار بما روي عن النبي ﷺ أنّه قال (إنّما الماء من الماء) في نفى الغسل من غير إنزال.

وأدعى المهاجرون نسخ الخبر، فلولا أنّ الفريقين فهموا التخصيص لما كان

(١) سورة مريم، الآيتان: ٥٤ - ٥٥.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٧٢.

(٣) (كثر) والأكثر هنا والكائر بمعنى العدد الكثير وليس هو للتفضيل.



الأمر كذلك ولقالوا (إنما) لا تفيد الاختصاص بوجوب الماء من الماء.

ويدلّ أيضاً على أنّ الولاية في الآية مختصة أنه قال: «وليكم» فخاطب به جميع المؤمنين ودخل فيه النبي ﷺ وغيره، ثم قال ورسوله، فأخرج النبي صلى الله عليه وآله من جملتهم لكونهم مضافين إلى ولايته، فلما قال ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ وجب أيضاً أن يكون الذي خوطب بالآية غير الذي جعلت له الولاية. وإلا أدى إلى أن يكون المضاف هو المضاف إليه وأدى إلى أن يكون كل واحد منهم ولي نفسه، وذلك محال. وإذا ثبت أن المراد بها في الآية ما ذكرناه، فالذي يدل على أن أمير المؤمنين ﷺ هو المخصوص بها أشياء:

منها - أن كل من قال: أن معنى الولي في الآية معنى الأحق قال إنه هو المخصوص به.

ومن خالف في اختصاص الآية يجعل الآية عامة في المؤمنين وذلك قد أبطلناه.

ومنها - أن الطائفتين المختلفتين الشيعة وأصحاب الحديث روى أن الآية نزلت فيه ﷺ خاصة.

ومنها - أن الله تعالى وصف الذين آمنوا بصفات ليست حاصلة إلا فيه، لأنه قال: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ فبين أن المعنى بالآية هو الذي أتى الزكاة في حال الركوع.

229

وأجمعت الأمة على أنه لم يؤت الزكاة في حال الركوع غير أمير المؤمنين ﷺ، وليس لأحد أن يقول: إن قوله ﴿وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ ليس هو حالاً ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ بل المراد به أن من صفتهم إيتاء الزكاة، لأن ذلك خلاف لأهل العربية، لأن القائل إذا قال لغيره لقيت فلاناً، وهو راكب لم يفهم منه إلا لقاءه له في حال الركوب، ولم

يفهم منه أن من شأنه الركوب.

وإذا قال: رأيتَه وهو جالس أو جاءني وهو ماش لم يفهم من ذلك كله إلا موافقة رؤيته في حال الجلوس أو مجيئه ماشياً. وإذا ثبت ذلك وجب أن يكون حكم الآية مثل ذلك. فإن قيل: ما أنكرتم أن يكون الركوع المذكور في الآية المراد به الخضوع كأنه قال يؤتون الزكاة خاضعين متواضعين كما قال الشاعر:

ولا تَهِنِ الْفَقِيرَ عَـلَّكَ أَنْ

تَرْكِعَ يَوْمًا وَالِدَهُرٍ قَدْ رَفَعَهُ (١)

والمراد علك أن تخضع، قلنا الركوع هو التلطأ المخصوص، وإنما يقال للخضوع ركوعاً تشبيهاً ومجازاً، لأن فيه ضرباً من الانخفاض، يدل على ما قلناه نص أهل اللغة عليه، قال صاحب العين: كل شيء ينكب لوجهه فتمس ركبتيه الأرض أولاً تمس بعد أن يطأ رأسه فهو راعع قال لبيد:

أخبر أخبار القرون التي مضت

أدب كأنني كلما قمت راعع

... وإذا كانت الحقيقة ما قلناه، لم يجز حمل الآية على المجاز.

فإن قيل قوله ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ لفظ جمع كيف تحملون ذلك على الواحد؟ قيل: قد يعبر عن الواحد لفظ الجمع إذا كان معظماً عالي الذكر قال تعالى

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (٢) وقال: ﴿رَبِّ أَرْجِعُونِ﴾ وقال ﴿وَلَوْ شِئْنَا

لَأَيْنَأْ كُلَّ نَفْسٍ هَدَيْنَاهَا﴾ (٣) ونظائر ذلك كثيرة.

(١) قائلة الأضبط بن قريع الأسيدي.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٩.

(٣) سورة ألم السجدة، الآية: ١٣.



وقال: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدَ جَمَعُوا لَكُمْ﴾<sup>(١)</sup> ولا خلاف في أنّ المراد به واحد، وهو نعيم بن مسعود الأشجعي.

وقال: ﴿أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾<sup>(٢)</sup> والمراد رسول الله ﷺ وقال ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾<sup>(٣)</sup> نزلت في عبد الله بن أبي ابن سلول.

فإذا ثبت استعمال ذلك كان قوله: «الذين يقيمون الصلاة» محمولاً على الواحد الذي قدّمناه.

فإن قيل: لو كانت الآية تفيد الإمامة لوجب أن يكون ذلك إماماً في الحال ولجاز له أن يأمر وينهى ويقوم بما يقوم به الأئمة. قلنا: من أصحابنا من قال: إنّه كان إماماً في الحال ولكن لم يأمر لوجود النبي ﷺ وكان وجوده مانعاً من تصرفه، فلما مضى النبي ﷺ قام بما كان له.

ومنهم من قال - وهو الذي نعتمده - أنّ الآية دلّت على فرض طاعته واستحقاقه للإمامة. وهذا كان حاصله له. وأمّا التصرف فموقوف على ما بعد الوفاة كما يثبت استحقاق الأمر لوليّ العهد في حياة الإمام الذي قبله وإن لم يجز له التصرف في حياته.

وكذلك يثبت استحقاق الوصية للوصي وإن منع من التصرف وجود الموصي.

وكذلك القول في الأئمة وقد استوفينا الكلام على الآية في كتب الإمامة بما لا يحتمل بسطه هاهنا.

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٧٣.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٩٩.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٦٨.



فإن قيل: أليس قد روي أنها نزلت في عبادة بن الصامت أو عبد الله بن سلام وأصحابه؟ فما أنكرتم أن يكون المراد بالذين آمنوا هم دون من ذهبتم إليه؟ قلنا: أول ما نقوله: إننا دللنا على أن هذه الآية نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام بنقل الطائفتين، ولما اعتبرناه من اعتبار الصفة المذكورة في الآية وأنها ليست حاصلة في غيره بطل ما يروى في خلاف ذلك، على أن الذي روي في الخبر من نزولها في عبادة بن الصامت لا ينافي ما قلناه، لأن عبادة لمّا تبرأ من حلف اليهود أعطي ولاية من تضمّنته الآية، فأما ما روي من خبر عبد الله بن سلام فبخلاف ما ذهبوا إليه لأنه روي أن عبد الله بن سلام لمّا أسلم قطعت اليهود حلفه وتبرؤوا منه فاشتد ذلك عليه، وعلى أصحابه فأنزل الله تعالى الآية تسليّة لعبد الله ابن سلام وأصحابه وأنه قد عوّضهم من مخالفة اليهود، ولاية الله وولاية رسوله وولاية الذين آمنوا.

والذي يكشف عمّا قلناه أنه قد روي أنها لمّا نزلت خرج النبيّ صلى الله عليه وآله من البيت، فقال لبعض أصحابه هل أعطى أحد سائلاً شيئاً فقالوا: نعم يا رسول الله قد أعطى عليّ بن أبي طالب السائل خاتمه، وهو راع. فقال النبيّ صلى الله عليه وآله أكبر قد أنزل الله فيه قرآناً ثمّ تلا الآية إلى آخرها. وفي ذلك بطلان ما قالوه.



## خلاصة الدرس

لقد أوردنا اتجاهات في تفسير آية الولاية: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾.

١- الاتجاه الأدبي من تفسير مجمع البيان للشيخ الطبرسي من أعلام القرن السادس الهجري.

اللغة: الولي هو الذي يلي النصرة والمعونة والولي هو الذي يلي تدبير الأمر وهو أولى أي أحق ومثله المولى. والركوع هو التطأطؤ المخصوص. وقد استشهد المؤلف لاستكشاف المعنى بكلام العرب. ثم أورد المؤلف إعراب الآية.

٢- المنهج الروائي: من تفسير القمي لأبي الحسن علي بن إبراهيم القمي. ومن تفسير العسكري، المنسوب إلى الإمام أبي محمد الحسن بن علي العسكري عليه السلام.

٣- الاتجاه الكلامي من التبيان: للشيخ الطوسي

حيث اعتبر المؤلف أن هذه الآية من الأدلة الواضحة على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام بعد النبي صلى الله عليه وآله بلا فصل. ووجه الدلالة فيها أنه قد ثبت أن الولي في الآية بمعنى الأولى والأحق. وثبت أيضاً أن المعنى بقوله ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أمير المؤمنين عليه السلام فإذا ثبت هذان الأصلان دل على إمامته.

ويدل أيضاً على أن الولاية في الآية مختصة أنه قال: «وليكم» فخطب به جميع المؤمنين ودخل فيه النبي صلى الله عليه وآله وغيره، ثم قال ورسوله، فأخرج النبي صلى الله عليه وآله من جملتهم لكونهم مضافين إلى ولايته، فلما قال ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ وجب أيضاً أن يكون الذي خوطب بالآية غير الذي جعلت له الولاية. وإلا أدى إلى أن يكون

المضاف هو المضاف إليه وأدى إلى أن يكون كل واحد منهم ولي نفسه، وذلك محال.

ومنها - أن الطائفتين المختلفتين الشيعة وأصحاب الحديث رووا أن الآية نزلت فيه عليه السلام خاصة.

ومنها - أن الله تعالى وصف الذين آمنوا بصفات ليست حاصلة إلا فيه، لأنه قال: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ فبين أن المعنى بالآية هو الذي أتى الزكاة في حال الركوع. وأجمعت الأمة على أنه لم يؤت الزكاة في حال الركوع غير أمير المؤمنين عليه السلام.



## آية الوضوء (1)



### أهداف الدرس

- أن يتعرّف الطالب إلى نموذج ثان من المنهج (النقلي) الروائي
- أن يتعرّف الطالب إلى نموذج من الاتجاه الفقهي





﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (١).

اسم الكتاب	زبدة البيان في أحكام القرآن
تأليف	المقدّس الأردبيلي، أحمد بن محمّد (.... - ٩٩٣ هـ)
القرن	العاشر الهجري
المنهج	النقلي (الروائي)
الاتجاه	النقلي (الروائي)
المصدر	ص ١٥ - ٢٢

تخصيص المؤمن بالخطاب لأن الكافر لم يقيم إلى الصلاة، ولأنه المنتفع به كما في أكثر التكاليف ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ أي إذا صليتم فإن المراد

(١) سورة المائدة، الآية: ٦.

بالتقيام قيامها، والتقدير إذا أردتم الصلاة مثل ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ  
 بِاللَّهِ﴾<sup>(١)</sup> فأقيم مسبب الإرادة مقامها للإشعار بأن الفعل ينبغي أن لا يترك  
 ولا يتهاون فيه، ويفعل سابقاً على القصد الذي لا يمكن إلا بعده، فظاهر الأمر  
 الوجوب، فيجب الوضوء للصلاة بأن يغسل الوجه. والغسل محمول على العرفي،  
 وفسر بإجراء الماء على العضو ولو كان بالآلة وأقله أن يجري ويتعدى من شعر  
 إلى آخر، وظاهرها يدل على وجوبه كلما قام إليها لأن ظاهر «إذا» العموم عرفاً  
 وإن لم يكن لغة، ولأن الظاهر أن القيام إليها علة، ولكن قيد بالإجماع والأخبار  
 بالمحدثين (من الحديث).

وقيل: كان ذلك في أول الأمر ثم نسخ، وقيل الأمر فيه للندب وردّ النسخ بما  
 روي عنه ﷺ: «المائدة آخر القرآن نزولاً فأحلوا حلالها وحرّموا حرامها»<sup>(٢)</sup> ولي  
 في النسخ تأمل إلا أن يقال المراد نسخ وجوب الوضوء على المتوضّئين المفهوم  
 من عموم فاغسلوا، فعمومه منسوخ، وليس ذلك بتخصيص حيث كان العموم  
 مراداً معمولاً به، وكذا في الندب إلا أن يقال الندب بالنسبة إلى المتوضّئين  
 فيكون المراد به الرجحان المطلق، فكان الندب بالنسبة إلى المتوضّئين  
 والوجوب بالنسبة إلى غيرهم هذا صحيح ولكن ليس هذا قولاً بأن الأمر للندب  
 فقط كما قاله في الكشف...

### الآية تدلّ على وجوب أمور في الوضوء:

الأول: غسل الوجه وهو العضو المعلوم عرفاً، وقد حدّد في بعض الأخبار المعتبرة  
 بأنه الذي يدور عليه الإبهام والوسطى عرضاً، وطولاً من قصاص شعر الرأس  
 إلى الذقن، وهو أول فعل في الوضوء، فظاهر الآية لا يدلّ على اعتبار النية،

(١) سورة النحل، الآية: ٩٨.

(٢) عوالي اللثالي، ابن أبي جمهور الأحسائي، ج ٢، ص ٧.



ولا على تعيين الابتداء، لكن اعتبار النيّة معلوم إذ لا يمكن الفعل الاختياريّ بدونها وفعلهم عليهم السّلام كان من الأعلى إلى الأسفل في أعضاء الغسل فهو أحوط، ولا على وجوب الترتيب بين أجزاء العضو، بل لا يمكن ذلك حقيقة، نعم ملاحظة العرفي حسن ولا على وجوب التخليل مطلقاً ويدلّ على عدمه الروايات الصحيحة<sup>(١)</sup> ولا على وجوب المسّ والدلك باليد لصدق الغسل مع الكلّ، فكلّما دلّ عليه دليل من خبر أو إجماع يقال به، والباقي يبقى على حاله.

الثاني: غسل اليدين والترتيب مستفاد من الإجماع والخبر ويمكن فهمه من الآية أيضاً بتكلف بأن يقال يفهم تقديم الوجه لوجود الفاء التعقيبيّة ولا قائل بعدم الترتيب حينئذ فإنّ الحنفيّة لا توجب الترتيب أصلاً، بل تجوز تقديم غسل الرجلين على غسل الوجه.

وأيضاً عطف الباقي على الوجه الذي هو مدخول الفاء يفيد التعقيب في كلّ واحد فتأمّل فيه فإنّها تدلّ على فعل المجموع بعد القيام إلى الصلاة فكأنّه قال:

إذا قمتم إلى الصلاة فتوضّؤوا ولا تدلّ على الموالاة أيضاً وفهمها بأنّه يفهم تعقيب الكلّ بلا فصل، وذلك غير ممكن فيراعى ما أمكن بعيد، فإنّ المراد مجرد التعقيب لا بلا مهلة، وعلى تقدير كونها مرادة فلا يفهم إلّا كون غسل الوجه بلا مهلة.

نعم: يفهم وجوب الموالاة وبطلان الوضوء بتركها، مع جفاف جميع الأعضاء  
السابقة من الروايات الصحيحة<sup>(٢)</sup> بل الإجماع ويمكن فهم أنّ محلّ الوجوب  
في غسل اليدين إلى المرافق، وإنّ سلّم أنّ ظاهرها كون الابتداء من الأصابع،

(١) أنظر: وسائل الشيعة، الحرّ العاملي، أبواب الوضوء، الباب ٤٦.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٢، ص ٢٥.





ولكن انعقد إجماع الأمة على عدم وجوب ذلك فيكون إلى هنا لانتهاء غاية المغسول ومحمولة على معناها اللغوي لا الغسل بمعنى كونه منتهاه بعد الابتداء من الأصابع، وأنه يكفي مسمى الغسل فيه أيضاً كالوجه على أي وجه كان ولا يبعد وجوب غسل المرفق وإن كان غاية وخارجاً من باب المقدمة لأنه مفصل وحدّ مشترك، كما ثبت في الأصول فقول القاضي البيضاوي: وجب غسلها احتياطاً غير مناسب.

الثالث: مسح الرأس مطلقاً، بما يصدق مقبلاً ومدبراً قليلاً أو كثيراً على أي وجه كان إلا أنّ إجماع الأصحاب، على ما نقل، وفعالهم عليهم السلام خصّصه بمقدّم الرأس ببقية البلل، لا بالماء الجديد اختياراً، وجوّزه بعض نادر، ودليله ليس بناهض عليه، فإنه روايتان صحيحتان دالتان على عدم جواز المسح بفضلة الوضوء والندى بل بالماء الجديد، وحملت، على التقيّة لذلك مع ما فيه، وعلى غير الاختيار والاحتياط لا يترك وقد منع بأكثر من ثلاث أصابع استحباباً، ووجوباً كأنه بالإجماع، وذهب البعض إلى وجوب ثلاث أصابع، ولا دليل عليه، وعموم الآية والأخبار بل خصوصها ينفيه.

الرابع: مسح الرجلين بالمسّمى كالرأس وفي الرواية الصحيحة أنه بكل الكف ويفهم من الأخرى كل الظهر، وإلى أصل الساق ومفصل القدم<sup>(١)</sup> وهو المراد بالكعب، ويدل عليه اللغة، وهو مذهب العلامة وكأنه موافق لمذهب العامة فافهم، ودليل مسحهما إجماع الإمامية وأخبارهم، وظاهر الآية، فإن قراءة الجرّ صريحة في ذلك لأنه عطف على رؤوسكم لا يحتمل غيره، وهو ظاهر وجرّ الجوار ضعيف خصوصاً مع الاشتباه، وحرف العطف، ولهذا ما قاله في الكشاف

(١) أنظر: وسائل الشيعة، الحرّ العاملي، أبواب الوضوء، الباب ١٥.



وقال: المراد بالمسح حينئذ الغسل القليل. وقد عرفت ما فيه وقراءة النصب أيضاً كذلك، لأنه عطف على محل رؤوسكم وأمثاله في القرآن العزيز وغيره كثيرة جداً وعطفه على الوجه معلوم قبحه خصوصاً في مثل القرآن العزيز، وليس وجود التحديد في المغسول دليلاً عليه كما قاله البيضاوي بل هو دليل على ما ذهب إليه أصحابنا لحصول التعادل بأن يكون العضو الأول من المغسول والممسوح غير محدود والثاني منهما محدوداً وللقاضي هنا مباحث ولنا كذلك، يطلب من الحاشية، وظاهر الآية عدم الترتيب بينهما، ولا دليل عليه أيضاً من الإجماع والأخبار، بل أكثر الأصحاب على عدمه والأصل مؤيد، ولا شك في الصدق مع فعله غير مرتب فتأمل...

آية الوضوء: (١)

وظاهر إذا قمتم كون الوضوء واجباً لغيره، وهي الصلاة مثلاً و﴿وإن كنتم جنباً فاطهروا﴾ أي: فاغتسلوا كون الغسل واجباً لنفسه لأن الظاهر أنه معطوف على قوله ﴿إذا قمتم﴾ فتقديره يا أيها الذين آمنوا إن كنتم جنباً فاطهروا ويدل عليه الأخبار أيضاً...

﴿وإن كنتم مرضى﴾ كأنه عطف على محذوف هو كنتم صحاحاً حاضرين قادرين، أي إذا قمتم إلى الصلوة وكنتم صحاحاً حاضرين قادرين على استعمال الماء فإن كنتم محدثين لغير الجنابة توضؤوا، وإن كنتم جنباً فاغتسلوا وإن كنتم مرضى مرضاً يضركم استعمال الماء، أو مسافرين فلم تقدرُوا على استعمال الماء لعدمه أو للتضرر به. ﴿أو جاء أحد منكم من الغائط﴾ لعله هنا كناية عن الحدث الخارج من أحد السبيلين فأو، بمعنى الواو «أو لا مستئم النساء» لعله كناية عن الجماع الموجب لغسل الجنابة وهو الدخول حتى تغيب الحشفة قبلاً أو دبراً ﴿فتيمموا صعيداً طيباً﴾ أي اقصداً أرضاً طاهرة مباحة فامسحوا بأيديكم بعض وجوهكم وبعض أيديكم مبتدئاً من الصعيد أو ببعض الصعيد، بأن تضعوا

أيديكم على بعضه، ثم تمسحوا الوجه واليد أو من بعض التيمم كما ورد في الرواية أي ما يتيمم به وهو الصَّعيد فلا دلالة على تقدير كونها تبعيضية على وجوب لصوق شيء من الصَّعيد، فيجب كونه تراباً يلصق كما توهم.

**فالآية تدلُّ على وجوب الغسل، وأنَّ الجنابة موجبة له، وأنَّ الغائط بل البول والريح أيضاً أحداث موجبة للوضوء وأنَّ المرض والسفر مع عدم القدرة على الماء موجب للتيمم بدلها، ومشعرة بأنه يبيح به ما يبيح بهما وعلى اشتراط طاهرية ما يتيمم به، بل إباحته أيضاً بل طهارة الماء وإباحته أيضاً في الوضوء والغسل وأنَّ كيفية التيمم أنَّ المسح يكفي ببعض الوجه مطلقاً وكذا ببعض اليد ولا يحتاج إلى الاستيعاب والتخليل وأنَّ أوَّل أفعال التيمم مسح الوجه.**

والوضوء والغسل والتيمم مبيِّنات في كتاب الفروع مع أحكامها وجميع واجباتها وموجباتها والفروع الكثيرة ليس هذا محلها إذا لمقصود هنا ما يمكن فهمه من الآيات الكريمة، ثمَّ لا يخفى أنَّ نظم هذه الآية مثل التي سيجيء لا يخلو عن إشكال على حسب فهمنا مثل ترك الحدث في أوَّلها وذكر الجنابة فقط بعده والإجمال الذي لم يفهم أنَّ الغسل بعد القيام إلى الصلاة أم لا، وترك كنتم حاضرين صحاحاً قادرين على استعمال الماء، ثمَّ عطف إن كنتم عليه، وترك تقييد المرضى وتأخير فلم تجدوا عن قوله أو جاء وذكر جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم مع عدم الحاجة إليهما إذ يمكن الفهم عمماً سبق، والعطف بأو، والمناسب بالواو، وغير ذلك مثل الاختصار في بيان الحدث الأصغر على الغائط والتعبير عنه بجاء أحد منكم من الغائط والأكبر على لامستم والتعبير عن الجنابة به وكأنه لذلك قال في كشف الكشاف ونعم ما قال: والآية من معضلات القرآن ثمَّ طول الكلام في توجيه «أو» في قوله:

﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ﴾، ولعلَّ السرَّ في ذلك الترغيب على الاجتهاد، وتحصيل العلوم لتظهير السعادات الدائمة.



ثم في الآية احتمالات وأبحاث آخر ستجيء في الثانية إنشاءً الله تعالى وقد استدلّ بقوله «فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً» على طلب الماء غلوة سهم في الحزنة، وغلوتين في السهلة ولا دلالة عليه فيها، ولا في الخبر<sup>(١)</sup> والأصل ينبغي نعم ينبغي الطلب حتى يتحقق عدم الماء عنده عرفاً مثل رحله وحواليه مع الاحتمال فتأمل.

﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾ قيل: أي ما يريد الله الأمر بالوضوء للصلاة أو بالتيّم تضييقاً عليكم ويحتمل أن يكون المراد ما يريد الله جعل الحرج عليكم بالتكاليف الشاقّة مثل تحصيل الماء على كل وجه ممكن مع عدم كون الماء حاضراً وإن كان ممكناً في نفس الأمر، ولا [يكلّف] بالطلب الشاق كالحفر وغيره بل بنى على الظاهر فقبل التيمّم ولا كلف في التيمّم أيضاً بأن يوصل الأرض إلى جميع البدن أو أعضاء الوضوء بل التيمّم أيضاً وأن يطلب ما يمكن إيصاله بل يكفي مجرد وجه الأرض، وهو مقتضى الشريعة السمحة.

آية الوضوء: (١)

﴿وَلَنْ يَكُن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ أي من الذنوب فإنّ العبادة مثل الوضوء كفارة للذنوب أو لينظفكم عن الأحداث ويزيل المنع عن الدخول فيما شرط فيه الطهارة عليكم فيطهركم بالماء عند وجوده وعند الإعواز بالتراب، فالآية تدلّ على أنّ التيمّم رافع في الجملة وطهارة فيباح به ما يباح بالماء، ويؤيده ما في الأخبار ويكفيك الصعيد عشر سنين والتراب أحد الطهورين وربّ الماء وربّ التراب واحد<sup>(٢)</sup> فيبعد منع إباحة التيمّم ما يبيحه الماء، وأنّه يجب لما يجب له.

ثمّ إنه يزول التيمّم بزوال المانع لأنّه لا يرفع الحدث بالكلية نعم يحتمل رفعه إلى أن يتحقق الماء أو توجد القدرة على استعماله إذ لا استبعاد في حكم الشارع بزوال الحدث إلى مدّة فإنه مجرد حكم الشارع فلعلّ البحث يرجع إلى اللفظي فتأمل.

(١) وسائل الشيعة، الحرّ العاملي، أبواب التيمّم، الباب الأوّل، الحديث ٢.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٢، ص ٦٢.



واللام للعلّة فمفعول يريد محذوف وهو الأمر في الموضعين وقيل زائدة وليجعل وليطهركم مفعول، والتقدير لأن يجعل عليكم ولأن يطهركم وليس فيه قصور وضعف: لأن «أن» لا تقدّر بعد اللام المزيدة كما قاله البيضاوي. لأنّ الشيخ المحقق الرضوي قدس سره قال في شرح الكافية: وكذا اللام زائدة في لا أبا لك عند سيبويه، وكذا اللام المقدّر بعدها أن بعد فعل الأمر والإرادة كقوله تعالى ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ على أنه قال البيضاوي أيضاً في تفسير قوله تعالى ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ أن يبيّن مفعول يريد، واللام مزيدة لتأكيد معنى الاستقبال اللازم للإرادة، وهل هذا إلا تناقض.

﴿وَلِيَتِمَّ نِعْمَتَهُ﴾ أي ليتمّ بشرعه ما هو مطهّر لأبد انكم ومكفّر لذنوبكم في الدين، أو ليتمّ برخصه إنعامه ﴿عَلَيْكُمْ﴾ بغزائمه ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نعمته ثم أمر الله تعالى بعد ذلك بذكر النعمة والميثاق والعهد الذي عاهدتم به بقوله ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ﴾ الآية وأمر المؤمنين بكونهم قوامين لله شهداء بالعدل فأوجب عليهم ذلك، ونهاهم عن أن يحملهم البغض على العدول والخروج عن الشرع بقوله ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَتَاؤُنَ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ قال البيضاوي في ﴿أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ إذا كان هذا مع الكفار فما ظنك بالعدل مع المؤمنين؟ ثم أمر بالتقوى ووعدهم بالامتثال وأوعدهم على تركه بقوله ﴿وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

ثم أعلم أن في حكاية ابني آدم على نبيّنا وآله ﷺ إشارة إلى أن التقوى شرط لقبول العمل «وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنِي آدَمَ بِالْحَقِّ» صفة مصدر محذوف أي أتل وقرأ تلاوة متلبسة بالحق أو حال من ضمير ﴿أَتَلُ﴾ أو من نيا ﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾ ظرف بناء، أو حال منه، والقربان اسم لما يتقرب به إلى الله من ذبيحة وغيرها كما أن الحلوان اسم لما يحلى أي يعطى وهو في الأصل مصدر ولهذا لم يثن مع أن المراد منه اثنان، وقيل



تقديره إذ قَرَّبَ كلَّ واحد منهما قرباناً فلا يحتاج إلى التثنية ﴿فَنُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُنْقَبَلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ﴾ قاييل ﴿لَأَقْتُلَنَّكَ﴾ وعده بالقتل بعد عدم قبول قربانه وقبول قربان أخيه، لفرط الحسد على ذلك ولبقاء ما يريده له «قال» أخوه هاييل ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ أي إنما أصابك ما أصابك من عدم القبول عند الله من قبل نفسك، لا من قبلي، فلم تقتلني؟ فاقتل نفسك لا نفسي.

وفيه إشارة إلى أنّ الحاسد ينبغي أن يرى حرمانه من تقصيره فيكون الذنب له لا للمحسود، فلا بدّ أن يجتهد في تحصيل ما صار به المحسود محسوداً ومحظوظاً لا في إزالة حظّ المحسود فإنّ ذلك يضرّه ولا ينفع الحاسد، بل يضرّه وهو ظاهر. وفيه دلالة على أنّ القبول يشترط فيه التقوى كما قلناه.

قال البيضاوي: وفيه إشارة إلى أنّ الطاعة لا تقبل إلاّ من مؤمن متّق وفيه إشكال ولهذا ما شرطه الفقهاء فإنّ الفسق لا يمنع من صحّة عبادة إذا فعلت على وجهها، ويمكن أن يقال المراد اشتراط التقوى في تلك العبادة أي لا يقبل الله العبادة إلاّ من المتّقين فيها بأن يأتي بها بحيث لا يكون عصياناً مثل أن يقصد بها الرئاء أو غيره من المبطلات أو المراد تقوى عن ذنب ينافي تلك العبادة فيكون إشارة إلى أنّ الأمر بالشيء يستلزم النهي عن ضده وهو موجب للفساد، وبالجملة يشترط في قبولها عدم كونها معصية ولا مستلزماً لها، الله يعلم ﴿لَيْنُ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدَيْ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِلَيَّ أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾.

245 قال في الكشاف: كان هاييل أقوى من قاييل، ولكنّه تحرّج عن قتله واستسلم له خوفاً من الله تعالى لأنّ الدفع لم يبيح بعد أو تحرّياً لما هو الأفضل، قال عليه الصلاة والسلام: كن عبد الله المقتول، ولا تكن عبد الله القاتل، ويمكن أن يقال التسليم غير ظاهر، وكذا كونه مباحاً فإنّ وجوب حفظ النفس عقليّ ولا يمكن إباحة التسليم الذي هو ينافيه بل هو قتل النفس والآية لا تدلّ على التسليم، فإنّه

قال ﴿مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ﴾ فَإِنَّهُ يَدُلُّ عَلَى عَدَمِ بَسْطِ الْيَدِ بِقَصْدِ قَتْلِهِ لَا لِلدَّفْعِ أَيْضاً وَهُوَ ظَاهِرٌ وَيُمْكِنُ فَهْمُ وَجُوبِ الدَّفْنِ مِنْ آخِرِ الْآيَةِ<sup>(١)</sup> فَافْهَمْ.

## خلاصة الدرس

- أوردنا نموذجاً للمنهج النقلي الروائي ذات الاتجاه الفقهي من كتاب: زبدة البيان في أحكام القرآن، للمقدّس الأردبيلي، وذلك في تفسير الآية التالية:

﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾

الآية تدلّ على وجوب أمور في الوضوء:

غسل الوجه...، غسل اليدين... مسح الرأس مطلقاً، مسح الرجلين...  
ثم إن الآية تدلّ على وجوب الغسل، وأن الجنابة موجبة له، وأن الغائط بل البول والريح أيضاً أحداث موجبة للوضوء وأن المرض والسفر مع عدم القدرة على الماء موجب للتيمّم بدلهما... وأن أول أفعال التيمّم مسح الوجه.

والوضوء والغسل والتيمّم مبيّنات في كتاب الفروع مع أحكامها وجميع واجباتها وموجباتها والفروع الكثيرة ليس هذا محلّها إذا لمقصود هنا ما يمكن فهمه من الآيات الكريمة.

(١) يعني قوله تعالى ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ، كَيْفَ يُؤَدِّي سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾ (والآيات في سورة المائدة: ٢٧-٢١).



## آية الوضوء (2)



### أهداف الدرس

- أن يتعرّف الطالب إلى نموذج من المنهج العرفاني في التفسير







﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (١).

اسم الكتاب	تفسير المحيط الأعظم والبحر الخضم
تأليف	السيد حيدر الأملي (٧١٩ - ٧٨٧ هـ)
القرن	الثامن الهجري
المنهج	العرفاني
المصدر	ج ٤ ص ١٨ - ٢٦ و ص ٢٩ - ٤١



بعد أن يتحدث السيد حيدر الأملي عن وضوء أهل الشريعة يقول:

وأما وضوء أهل الطريقة (طهارة النفس والعقل) فالطهارة عندهم

(١) سورة المائدة، الآية: ٦.

بعد القيام بالطهارة المذكورة، عبارة عن طهارة النفس من رذائل الأخلاق وخسائسها، وطهارة العقل من دنس الأفكار الرديئة والشبه المؤدية إلى الضلال والإضلال، وطهارة السر من النظر إلى الأغيار، وطهارة الأعضاء من الأفعال الغير المرضية عقلاً وشرعاً.

### وأما أفعال هذه الطهارة المعبر عنها بالوضوء

فالنية فيه، وهي أن ينوي المكلف بقلبه وسرّه أنه لا يفعل فعلاً يخالف رضى الله تعالى بوجهه من الوجوه، ويكون جميع عباداته لله خالصة دون غيره لقوله تعالى:

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ (١).

وغسل الوجه، وهو أن يغسل وجه قلبه عن حدث التعلق بالدنيا وما فيها، فإن الدنيا جيفة وطلابها كلاب، فالطالب والمطلوب نجسان، ولهذا قال ﷺ:

«حب الدنيا رأس كل خطيئة وترك الدنيا رأس كل عبادة» (٢).

وقال عليّ ﷺ:

«يا دنيا غري غري فإنني قد طلقتك ثلاثاً لا رجعة فيها» (٣).

وغسل اليدين، وهو غسلهما وطهارتهما عما في قبضتهما من النقد والجنس والدنيا والآخرة، فإن طهارتهما حقيقة ليس إلا بترك مما في تصرفهما وحكمهما.

(١) سورة الأنعام، الآيات: ١٦٣-١٦٤.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٦٧، ص ٢١٥، الشطر الأول من الحديث: «حب الدنيا رأس كل خطيئة».

(٣) نهج البلاغة، الحكمة: ٧٧.



ومسح الرأس، وهو أن يمسح رأسه الحقيقي المسمّى بالعقل أو النفس، أي يطلع عليهما حتى يعرف أنه بقي عندهما شيء من محبة الدنيا وما يتعلّق بها من المال والجاه.

ومسح الرجلين وهو أن يمنعهما عن المشي بغير رضی الله وطاعته ظاهراً وباطناً، والمراد بالرجلين في الظاهر معلوم وأما في الباطن هما عبارتان عن القوة النظرية والعملية عند البعض وعن القوة الشهوية والغضبية عند الآخرين وإلى مثل هذا الوضوء المضاف إلى الوضوء الأول أشار النبي ﷺ وقال: «الوضوء نور»

«الوضوء على الوضوء نور على نور»<sup>(١)</sup>.

أعني صفاء الظاهر مع صفاء الباطن على الوجه المذكور فهو نور على نور، أي نور البصيرة على نور الشرع سبب صفاء الظاهر والباطن وموجب ثبات السالك على الطريق المستقيم في الدنيا والآخرة لقوله تعالى:

﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾<sup>(٢)</sup>.

رزقنا الله الجمع بينهما والإقامة على كل واحد منهما، لأنه المستعان وعليه التكلان.

### وأما وضوء أهل الحقيقة

فالوضوء عندهم المعبر عنه بالطهارة عبارة عن طهارة السرّ عن مشاهدة الغير مطلقاً.



(١) ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة، الشهيد الأول، ج ٢، ص ١٩٥.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٧.

والنية فيها وهي أن ينوي السالك في سره أنه لا يشاهد في الوجود غيره ولا يتوجه إلا إليه، لأن كل من توجه في الباطن إلى غيره فهو مشرك بالشرك الخفي المتقدم ذكره المشار إليه في قوله تعالى:

﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوْنَهُ﴾ (١).

ولقوله:

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ (٢).

والمشرك نجس لقوله:

﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ (٣).

**التوحيد الحقيقي:**

فطهارته لا يكون إلا بهذه النية التي هي عبارة عن التوحيد الحقيقي النافي للشرك مطلقاً، لأنه معلوم، وبإلزامه مقرر أن الخلاص من الشرك جلياً كان أو خفياً لا يمكن إلا بالتوحيد ألوهياً كان، أو وجودياً كما سبق ذكره مفصلاً عند بحث الأصول.

وغسل الوجه فيها عبارة عن طهارة الوجه الحقيقي ونظافة سره عن دنس التوجه إلى الغير، بحيث لا يشاهد غير وجهه الكريم المشار إليه في قوله:

﴿فَأَيْنَمَا تُولُونَ فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ (٤).

ولا يعرف غير ذاته المحيط المومئ إليه في قوله:

(١) سورة الجاثية، الآية: ٢٢.

(٢) سورة يوسف، الآية: ١٠٦.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٢٨.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١١٥.



«والله بكل شيء محيط» وعن هذا التوجه أخبر من لسان إبراهيم عليه السلام،

بقوله:

﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ خَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

وغسل اليدين عبارة عن عدم الالتفات إلى ما في يديه من متاع الدنيا والآخرة، من الدنيا كالمال والجاه والأهل والولد، ومن الآخرة كالعلم والزهد والطاعة وما يحصل منها كالثواب والجنة والحدود والقصور، لأن رؤية الطاعة والعبادة واستحقاق التعظيم بهما عند أهل الله معصية، وفيه قيل:

«سَيِّئَةٌ تَسُوؤُكَ خَيْرٌ مِنْ حَسَنَةٍ تَعْجِبُكَ»<sup>(٢)</sup>.

وفيه قيل:

«خير الأعمال ذنب أحدث توبة، وشر الأعمال طاعة أورت عجباً».

وإليه أشار عليه السلام في قوله:

«الدنيا حرام على أهل الآخرة، والآخرة حرام على أهل الدنيا، وهما حرامان

على أهل الله»<sup>(٣)</sup>.

ومسح الرأس عبارة عن تنزيه سرّه وتقديس باطنه الذي هو الرأس الحقيقي

عن دنس الأنانية وحدث الغيرية الحاجب والحاجز بينه وبين محبوبه لقول بعض

العارفين فيه:

(١) سورة الأنعام، الآية: ٧٩.

(٢) نهج البلاغة، الحكمة: ٤٦.

(٣) عوالي اللئالي، ابن أبي جمهور الأحسائي، ج ٤، ص ١١٩.

بينني وبينك إنني ينازعني  
فأرفع بفضلك إنني من البين  
وفيه قيل:

«وجودك ذنب لا يقاس به ذنب».

وقد سبق أن كل من شاهد الغير فهو مشرك، وكل مشرك نجس، والنجس ليس له طريق إلى عالم القدس والحضرة الإلهية لقوله:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾<sup>(١)</sup>.

ومسح الرجلين، عبارة عن تنزيه قوتَي العملية والعلمية عن السير إلا بالله وفي الله، لأنهما كالقدمين.

والرجلين في الظاهر لأنه بهما يسعى في طلب الحق وبهما يصل إليه، وعند التحقيق:

﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طَوًى﴾<sup>(٢)</sup>.

إشارة إليهما، أعني إذا وصلت إلينا بواسطتهما فدعهما فإنك بعد هذا ما أنت محتاج إليهما، ومعلوم عند الوصول يجب طرح كل ما في الوجود سيما القوى والحواس وما اشتمل عليهما ظاهراً وباطناً.

وعند البعض المراد بالنعلين الدنيا والآخرة. وعند البعض عالم الظاهر والباطن، وعند البعض النفس والبدن، والكل صحيح، وفي مثل هذا الحال وهذا المقام ورد في الحديث القدسي:

(١) سورة النساء، الآية: ٤٨.

(٢) سورة طه، الآية: ١٢.



«لا يزال العبد يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه وبصره  
ولسانه ويده ورجله، فبي يسمع وبي يبصر وبي ينطق وبي يبطن وبي يمشي»<sup>(١)</sup>.  
إشارة إلى السير بالله الذي هو مقام التكميل دون الكمال المشار إليه في  
قوله:

﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَفْقَهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا  
رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وأما بالنسبة إلى اليمين كقوله:

﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَنْ كُنَّ اللَّهُ رَمِيًّا﴾<sup>(٣)</sup>.

وها هنا أبحاث وأسرار يطول ذكرها، يكفي الفطن اللبيب هذا المقدار، والله  
يقول الحق وهو يهدي السبيل.

ثم بعد أن يتحدث السيد حيدر الأملي عن غسل أهل الشريعة يقول:

## و أما غسل أهل الطريقة

(حب الدنيا جنابة)

فالمغسل عندهم بعد القيام بالمغسل المذكور، طهارة من الجنابة الحقيقية  
التي هي البعد عن الله، دون المجازية التي هي الأحداث الشرعية.

والجنابة الحقيقية على قسمين: قسم يتعلق بهم، وقسم متعلق بأهل الحقيقة.

أما الذي يتعلق بأهل الحقيقة فسيجيء بيانه بعد هذا بلا فصل.

(١) أنظر: عوالي اللئالي، ابن أبي جمهور الأحسائي، ج ٤، ص ١٠٢. مع اختلاف بسيط.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٢٢.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ١٧.





وأما الذي يتعلّق بهم فهي الجنابة الحاصلة من محبة الدنيا، فإنّ الدنيا في الحقيقة كالمرأة التي لها كل ساعة بعل آخر كما أشار إليها الإمام عليه السلام في قوله:

«قد طلقتك ثلاثاً لا رجعة فيها»<sup>(١)</sup>.

لأنّها لو لم تكن كالمرأة أو في حكمها ما خاطبها الإمام بهذا الخطاب، فكلّ من يلامس مثل هذه ويجامعها بالنفس أو الروح أو القلب يكون جنباً بالحقيقة، والجنابة هي البعد عن الله تعالى، فكلّ من يحبّ الدنيا على الوجه المذكور يكون بعيداً عن الله ضرورة، فإنّ محبة الله وقربه، ومحبة الدنيا وقربها ضدّان لا يجتمعان، وإليه الإشارة في القول السابق عن النبي صلى الله عليه وآله الذي قال:

«الدنيا حرام على أهل الآخرة، والآخرة حرام على أهل الدنيا، وهما حرامان على أهل الله»<sup>(٢)</sup>.

وكذلك ما قال تعالى في كتابه العزيز:

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾<sup>(٣)</sup>.

وكذلك ما أشار الإمام عليه السلام في قوله:

«إنّ الدنيا والآخرة عدوان متفاوتان وسبيلان مختلفان، فمن أحبّ الدنيا وتولّاهَا أبغض الآخرة وعاداهَا، وهما بمنزلة المشرق والمغرب، وماش بينهما كلّما قرب من واحد بعد من الآخر، وهما بعد ضرتان»<sup>(٤)</sup>.

(١) نهج البلاغة، الحكمة: ٧٧.

(٢) عوالي اللئالي، ابن جمهور الأحسائي، ج ٤، ص ١١٩.

(٣) سورة الشورى، الآية: ٢٠.

(٤) نهج البلاغة، الحكمة: ١٠٢.



فالغسل والطهارة من هذه الجنابة يكون بترك الدنيا وما فيها بحيث لا يبقى له تعلق بها بمقدار شعرة، لأنَّ في الغسل الشرعي لوبرقي على الجسد شعرة لم يصل الماء إليها: لم يصح غسله ولم يطهر صاحبه من الجنابة، فإنَّ التعلق من حيث التعلق له حكم واحد وهو التعلق سواء كان قليلاً أو كثيراً، كما قيل:

«المحجوب محجوب سواء كان بحجاب أو ألف حجاب».

وترتيب هذا الغسل وهو أن يغسل السائلك أولاً رأسه الحقيقي - الذي هو القلب هاهنا - بماء العلم الحقيقي النازل من بحر القدس، من حدث الأهواء المختلفة، والآراء المتشعبة المتعلقة بالدنيا وبمحببتها الموجبة للدخول في الهاوية التي هي النار لأنَّ الهوى إذا أغلب انجذب صاحبه إلى عبادة الأصنام والأوثان الباطلة ذهناً كان أو خارجاً، أمَّا الخارج فهو معلوم، وأمَّا الدَّاخل فذلك أيضاً قد سبق بحكم قوله تعالى:

﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ﴾ (١).

وكلُّ من أطاق هواه لا بدَّ وأن يدخل النار لقوله تعالى أيضاً:

﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ (٨) ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ (٢).

أي من خفت موازينه من العلم والعمل الصالح الصادران من العقل الصحيح والنفس الكامل، فهو في الهاوية التي هي أصلها وأمها، لأنَّ منشأ الهوى من النفس الأمارة، والنفس الأمارة منشأها ومنبعها الطبيعة الحيوانية، والقوى الشهوية والغضبية اللتان هما من جنودها وأعوانها، كذلك صادران من الطبيعة والنفس، فلا تكون الهاوية في الحقيقة إلاَّ التوجُّه إلى النفس، الأمارة والشهوة

(١) سورة الجاثية، الآية: ٢٣.

(٢) سورة القارعة، الآيتان: ٧-٨.

والغضب، وأسفل سافلين إشارة إليها في قوله تعالى:

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿١﴾﴾.

أي رددناه بأفعاله إلى أسفل عالم الطبيعة والنفس الأمارة بمتابعة الهوى ومخالفة الحق في أفعاله وأقواله، لقول أهل النار فيه:

﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٢﴾﴾. ولهذا دائماً أهل الله الذين

هم أهل العلم الحقيقي والعمل الصالح والعقل الصحيح، موصوفون بالسكينة والوقار، والطمأنينة والإخبات وأمثال ذلك لقوله تعالى فيهم:

﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٢﴾ ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٤﴾﴾.

وأهل الأهواء والبدع موصوفون بالخفة وقلة العقل، وعدم السكينة والوقار، لقوله تعالى فيهم:

﴿كَالَّذِي أُسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ ﴿٥﴾﴾.

وقد سدّ باب سؤال كل سائل في هذا المقام قوله تعالى:

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٦﴾﴾.

لأن هذا تحريض على منع النفس عن الهوى، وتشويق إلى دخول الجنة التي هي المأوى الحقيقي والموطن الأصلي من غير التراخي ولا التأخير وإليه أشار عليّ عليه السلام في قوله:

(١) سورة التين، الآيتان: ٤-٥.

(٢) سورة الملك، الآية: ١٠.

(٣) سورة الفارعة، الآيتان: ٦-٧.

(٤) سورة الغاشية، الآية: ١٠.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ٧١.

(٦) سورة النازعات، الآيتان: ٤٠-٤١.



«تخفضوا تلحقوا فإنما ينتظر بأولكم آخركم»<sup>(١)</sup>، يعني تخفضوا من أثقالكم الحاصلة من متابعة الهوى ومحبة الدنيا، فإن الحاقكم بالحق وبالجنة موقوف عليه، أي على تخفيفكم منها، وإليه الإشارة بقوله تعالى:

﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

ثم يغسل ويطهر روحه وسره الذي هو من الجانب الأيمن المعبر عنه: بالروحانيات عن محبة العلويات، والروحانيات المعبر عنها بالآخرة والجنة، لأن أهل الآخرة مخصوصون بأصحاب اليمين والعلويات، لقوله تعالى في الأول:

﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلِّ مَمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ﴾<sup>(٣)</sup>

ولقوله في الثاني:

﴿وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾<sup>(٤)</sup>.

ثم يغسل جانبه الأيسر، أي يغسل ويطهر نفسه وجسده الذي هو الجانب الأيسر المعبر عنه: بالجسمانيات عن محبة السفليات والنفسانيات المعبرة عنها بالدنيا، بماء الترك والتجريد وعدم الالتفات إليه، فإن الدنيا مخصوصة بأهل الشمال، كما أن الآخرة مخصوصة بأهل اليمين لقوله تعالى:

﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سُمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلِّ مِّنْ يَّحْمُومٍ﴾<sup>(٥)</sup>، فإن

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ٢١ و١٦٧.

(٢) سورة الصافات، الآيات: ٦٠-٦١.

(٣) سورة الواقعة، الآيات: ٢٧-٣١.

(٤) سورة الزمر، الآية: ٦٧.

(٥) سورة الواقعة، الآيات: ٤١-٤٢.

بهذه الطهارة يحصل له استحقاق دخول الجنة واستعداد قرب الحضرة العزة،  
كما قال:

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقَدِّرٍ ﴿٥٥﴾﴾<sup>(١)</sup>.

رزقنا الله الوصول إليها، فإن ذلك فضل الله يؤتیه من يشاء والله ذو الفضل  
العظيم.

### وأما غسل أهل الحقيقة

(البعد عن الحق سبحانه ومشاهدة الغير، جنابة عند أهل الحقيقة)

فالمغسل عندهم عبارة عن طهارتهم من الجنابة الحقيقية التي هي مشاهدة  
الغير مطلقاً، لأن الجنابة كما سبق بيانها هي البعد، وكل من شاهد الغير فهو بعد  
عن الحق ومشاهدته، ولا يمكن إزالة هذا البعد إلا بقربه إلى التوحيد الحقيقي  
الذي هو مشاهدة الحق تعالى من حيث هو هو لقوله:

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ  
الْمُتَّزِعُ الْحَكِيمُ﴾<sup>(٢)</sup>، وقد مرّ بيان هذا التوحيد مراراً.

وترتيب هذا الغسل وهو أن يغسل رأسه الحقيقي الذي هو هاهنا روحه المجرد  
بماء التوحيد الذاتي عن حدث مشاهدة الغير، لأن محبة الله تعالى كما هو وظيفة  
الباطن المعبر عنه بالنفس مطمئنة، معرفته وظيفة القلب، ومشاهدته وظيفة  
الروح، كما أن الوصول إليه وظيفة (السّر) الذي هو باطن الروح.

والى هذا الترتيب أشار جعفر بن محمد الصادق عليه السلام في بعض أدعيته وهو  
قوله:

(١) سورة القمر، الآيتان: ٥٤-٥٥.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٨.



«اللهم نور ظاهري بطاعتك، وباطني بمحبتك، وقلبي بمعرفتك، وروحي بمشاهدتك، وسري باستقلال اتصال حضرتك يا ذا الجلال والإكرام»<sup>(١)</sup>.

وهذا الغسل لا يمكن إلا بفناء العارف في المعروف، والشاهد في المشهود المعبر عنه بالفناء في التوحيد، وذلك يكون بمشاهدة الحق من حيث هو هو، أعني يشاهده بحيث لا يشاهد معه غيره، أعني لا يشاهد في الوجود إلا وجوداً واحداً، وذاتاً واحدة مجردة عن جميع الاعتبارات والتعيينات، وإليه أشار الحق تعالى في قوله:

﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وكذلك في قوله:

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٣٦﴾ وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾<sup>(٣)</sup>، وقد مرّ تحقيق

هاتين الآيتين غير مرة والتكرار غير مستحسن.

وحيث تقرّر هذا التوحيد، هو الصراط المستقيم الحقيقي، المأمور بالاستقامة عليه عليه نبينا ﷺ:

﴿وَأَسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتُ﴾<sup>(٤)</sup>.

و الحد الأوسط المشار إليه في قوله:

﴿وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصْنُكُمْ بِئِهٍ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾<sup>(٥)</sup>

(١) أنظر: موسوعة مؤلّفي الإمامية، مجمع الفكر الإسلامي، ج ٢، ص ٦٠٠، لكن الدعاء منسوب إلى الإمام عليّ عليه السلام.

(٢) سورة القصص، الآية: ٨٨.

(٣) سورة الرحمن، الآيتان: ٢٦-٢٧.

(٤) سورة هود، الآية: ١١٢.

(٥) سورة الانعام، الآية: ١٥٢.



وتقرر أنّ له طرفان: طرف إفراط، وطرف تفريط، اللذان هما التوحيد الإجمالي، والتوحيد التفصيلي.

فالتّهارة من دنس جانب الإفراط المعبر عنه بالأيمن يكون بخلاصه من التوحيد الإجمالي، والتّهارة من دنس التفريط المعبر عنه بالأسري يكون بخلاصه من التوحيد التفصيلي، والاستقامة على الصراط المذكور والحد الأوسط المعبر عنه بالتّهارة الكبرى يكون بجمعه بين التوحيدين، وقطع النظر عن مشاهدة الغير أصلاً ورأساً مع اعتباره ومشاهدته من حيث الجمع المعبر عنه بأحدية الفرق بعد الجمع، وذلك صعب في غاية الصعوبة، ولهذا وصفه النبي ﷺ :

«أحد من السيف، وأدق من الشعر»<sup>(١)</sup>.

وقوله تعالى:

﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾<sup>(٢)</sup>، إشارة إلى الطرفين، وقوله:

﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴾<sup>(٣)</sup>، إشارة إلى التوحيد الجمعي المحمدي الجامع للتوحيدات كلها.

وبالجملة ليست الجنابة الحقيقية إلا مشاهدة الغير على أي وجه كان، وليست التّهارة الحقيقية عند التحقيق إلا بعد الخلاص منها على أي وجه كان، وفيه قيل:

قنعت بطيف من خيال بعثتم  
وكنت بوصول منكم غير قانع

(١) أنظر: فتح الباري، ابن حجر، ج ١١، ص ٢٩٥.

(٢) سورة النجم، الآية: ١٧.

(٣) سورة النجم، الآية: ٩.



إذا رمت من ليلى من البعدِ نظرةً  
لتطوى جوى بين الحشا والأضالعِ  
تقول نساء الحيّ تطمعُ أن ترى  
بعينيك ليلى مُتَّ بـداءِ المطامعِ  
وكيفَ ترى ليلى بعين ترى بها  
سواها، وما طَهَّرَتْهَا بِالْمَدَامِعِ  
وأمثال ذلك في هذا المعنى كثير، فليطلب من مظانها.  
والله أعلم وأحكم وهو يقول الحقّ وهو يهدي السبيل.  
هذا غسل الطوائف الثلاث بقدر هذا المقام.





أوردنا نموذجاً من المنهج العرفاني من كتاب: تفسير المحيط الأعظم والبحر الخضم، للسيد حيدر الأملي، وذلك تفسيراً للآية التالية: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَٰكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

بعد أن يتحدث السيد حيدر الأملي عن وضوء أهل الشريعة يقول: وأما وضوء أهل الطريقة (طهارة النفس والعقل)، وأما أفعال هذه الطهارة المعبر عنها بالوضوء: فالنية فيه، وهي أن ينوي المكلف بقلبه وسره أنه لا يفعل فعلاً يخالف رضى الله تعالى بوجهه من الوجوه، ويكون جميع عباداته لله خالصة دون غيره.

وغسل الوجه، وهو أن يغسل وجه قلبه عن حدث التعلق بالدنيا وما فيها.

وغسل اليدين، وهو غسلهما وطهارتهما عما في قبضتهما من النقد والجنس والدنيا والآخرة، فإن طهارتهما حقيقة ليس إلا بترك مما في تصرفهما وحكمهما.

ومسح الرأس، وهو أن يمسح رأسه الحقيقي المسمى بالعقل أو النفس، أي يطلع عليهما حتى يعرف أنه بقي عندهما شيء من محبة الدنيا وما يتعلق بها من المال والجاه.



ومسح الرجلين وهو أن يمنعهما عن المشي بغير رضى الله وطاعته ظاهراً وباطناً، والمراد بالرجلين في الظاهر معلوم وأما في الباطن هما عبارتان عن القوّة النظرية والعملية عند البعض وعن القوّة الشهويّة والغضبيّة عند الآخرين.

وأما وضوء أهل الحقيقة (طهارة السرّ عن مشاهدة الغير).

فالوضوء عندهم المعبر عنه بالطهارة عبارة عن طهارة السرّ عن مشاهدة الغير مطلقاً.

والنية فيها وهي أن ينوي السالك في سرّه أنه لا يشاهد في الوجود غيره ولا يتوجّه إلا إليه.

وغسل الوجه فيها عبارة عن طهارة الوجه الحقيقي ونظافة سرّه عن دنس التوجّه إلى الغير، بحيث لا يشاهد غير وجهه الكريم ولا يعرف غير ذاته المحيط.

وغسل اليدين عبارة عن عدم الالتفات إلى ما في يديه من متاع الدنيا والآخرة، من الدنيا كالمال والجاه والأهل والولد، ومن الآخرة كالعلم والزهد والطاعة وما يحصل منها كالثواب والجنّة والحدود والقصور، لأن رؤية الطاعة والعبادة واستحقاق التعظيم بهما عند أهل الله معصية.

ومسح الرأس عبارة عن تنزيه سرّه وتقديس باطنه الذي هو الرأس الحقيقي عن دنس الأنانية وحدث الغيرية الحاجب والحاجز بينه وبين محبوبه.

ثم بعد أن يتحدّث السيّد حيدر الأملي عن غسل أهل الشريعة يقول:

وأما غسل أهل الطريقة (حبّ الدنيا جنابة)، وأما غسل أهل الحقيقة (البعد عن الحقّ سبحانه ومشاهدة الغير، جنابة عند أهل الحقيقة).





الدرس الرابع والعشرون

تفسير موضوعي لبط: حب الدنيا

## تفسير موضوعي لبحث: حب الدنيا



أهداف الدرس

- أن يتعرّف الطالب إلى نموذج من المنهج النقلي (القرآن بالقرآن)
- أن يتعرّف إلى الاتجاه الموضوعي (نموذج حب الدنيا)







اسم الكتاب	الأخلاق في القرآن
تأليف	الشيخ مكارم الشيرازي (١٣٤٥ هـ - ...)
القرن	عالم معاصر
المنهج	النقلي (تفسير القرآن بالقرآن)
الاتجاه	الموضوعي الأخلاقي
الموضوع	حبّ الدنيا
المصدر	ج ٢ ص ٩٢ - ٩٧ و ص ١٠٠ - ١٠١

... نعود إلى آيات القرآن الكريم لنستوحي من تعبيراتها الدقيقة ما يضيء

لنا الطريق لدراسة هذه المبادئ والمواقف الأخلاقية المهمة:

١ - إنَّ القرآن الكريم يرى أنَّ الدنيا ما هي إلاَّ لعب ولهو كما يلهو ويلعب الأطفال،

وقد ورد وصف ذلك في آيات متعدّدة، ففي قوله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا

إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ...﴾<sup>(١)</sup>.



وفي آية أخرى قوله تعالى ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ مِّنْكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ...﴾<sup>(١)</sup>.

وفي الحقيقة: إنَّ هذه الآيات الكريمة تشبّه أصحاب الدنيا بأنهم كالأطفال الذين يعيشون الغفلة والجهل عمّا يدور حولهم ولا همّ لهم إلاّ الاشتغال بالتوافه والسفاسف من الأمور فلا يرون حتّى الخطر القريب المحدق بهم.

بعض المفسّرين قسّم حياة الإنسان إلى خمس مراحل (من الطفولة إلى أن يبلغ مرحلة الكهولة في سن الأربعين) وذكر أن لكلّ مرحلة ثمان سنوات وقال: إنَّ السنوات الثمانية الأولى من عمر الإنسان هي مرحلة اللعب، والسنوات الثمانية الثانية هي مرحلة اللهو، والسنوات الثمانية الثالثة حيث يعيش الإنسان في فترة الشباب فإنّه يتجه إلى الزينة والالتذاذ بالجمال، والسنوات الثمانية الرابعة يقضي وقته وطاقاته في التفاخر، وأخيراً في السنوات الثمانية الخامسة يهتم بالتكاثر في الأموال والأولاد، وهنا يثبت شخصية الإنسان ويستمر على هذه الحالة إلى آخر عمره، وبالتالي فإنَّ أصحاب الدنيا لا يبقى لهم مجال للتفكر في الحياة المعنوية والقيم الإنسانية السامية.

٢. ومن الآيات الأخرى في هذا المجال نرى مفهوم «متاع الغرور» بالنسبة إلى الحياة الدنيا حيث يقول تعالى ﴿...وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾<sup>(٢)</sup>.

ويقول في مكان آخر ﴿...فَلَا تَعْرَنَكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَعْزَنُكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾<sup>(٣)</sup>.

وهذه التعبيرات تدلّ على أنّ زخارف الدنيا وبريقها الخادع يُعدّ أحد الموانع

(١) سورة الحديد، الآية: ٢٠.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٨٥.

(٣) سورة لقمان، الآية: ٢٣.



المهمّة للتكامل المعنوي والصعود في درجات الكمال الإلهي للإنسان وما دام هذا المانع موجوداً فإنه لا يصل إلى شيء من هذه الكمالات المعنوية.

إن الحياة الدنيا مثلها كمثل السراب الذي يجذب العطاشى نحوه في الصحراء المحرقة ولكنهم لا يحصلون على شيء منه أخيراً، وهكذا حال التعلقات المادية الدنيوية فإنها تجذب أصحاب الدنيا نحوها طمعاً في إرواء ظمأهم وعطشهم إلا أنهم لا يجدون ما يطلبونه في هذا المسير المنحرف بل يزدادون ظمأً وحرقاً، وكما أن السراب يبتعد عن الإنسان كلما مشى نحوه وهكذا يظل يركض وراء السراب حتى يهلك، فكذا الدنيا تبتعد عن الإنسان كلما اتجه نحوها فتزيده عطشاً لها وإرهاقاً حتى يهلك.

ونرى هذه الحالة في الكثير من أصحاب الدنيا الذين يركضون وراء متاع الدنيا وزخارفها سنوات مديدة من عمرهم وعندما يحصلوا على شيء منها فإنهم يصرّحون بأنهم لم يجدوا ضالتهم ألا وهي (الهدوء النفسي والطمأنينة الروحية) بل يعيشون الجفاف الروحي أكثر ويجدون أن ملذات الحياة الدنيا تقترب دائماً مع الأشواك والمنغصات وبدلاً من أن تورثهم الهدوء والطمأنينة فإنها تعمل على إذكاء حالة القلق والاضطراب في جوانحهم وأعماق وجودهم وبذلك لا يجدون مبتغاهم فيها.

٣- وهناك طائفة أخرى من الآيات الكريمة التي تقرّر لنا هذه الحقيقة، وهي أن الانجذاب نحو زخارف الدنيا وزبارجها يؤدي إلى أن يعيش الإنسان الغفلة عن الآخرة، أي أن يكون الشغل الشاغل له وهمّه الوحيد هو تحصيل هذه

الزخارف الخادعة، فتقول الآية الشريفة: ﴿يَعْلَمُونَ ظَهْرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾<sup>(١)</sup>.



فهؤلاء يجهلون حتى الحياة الدنيا أيضاً وبدلاً من أن يجعلوها مزرعة الآخرة وقنطرة للوصول إلى الحياة الخالدة ونيل المقامات المعنوية وميداناً لممارسة السلوكيات التي تصعد بهم في سلم الفضائل الأخلاقية ومدارج الإنسانية، يتخذون الدنيا بعنوان أنها الهدف النهائي والمطلوب الحقيقي والمعبود الواقعي لهم، ومن الطبيعي أن مثل هؤلاء الأشخاص يعيشون الغفلة عن الحياة الأخرى.

ويقول القرآن الكريم في آية أخرى :

﴿أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ﴾<sup>(١)</sup> ثم تضيف الآية ﴿فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾<sup>(٢)</sup> أجل فإن الأشخاص الذين يعيشون ضيق الأفق ومحدودية الفكر فإنهم يرون الدنيا كبيرة وواسعة وخالدة وينسون الحياة الأخرى الأبدية التي قررها الله تعالى لحياة الإنسان الكريمة والمليئة بالموهب الإلهية والنعيم الخالد.

٤- ونقرأ في قسم آخر من الآيات الكريمة أن الدنيا هي «عرض» على وزن «عرض» بمعنى الموجود المتزلزل والذي يعيش الاهتزاز والتغير والتبدل في جميع جوانبه وحالاته، ومن ذلك قوله تعالى ﴿تَبْتَغُونَ عَرْضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ﴾<sup>(٣)</sup>.

وتقول الآيات في مكان آخر مخاطبة لأصحاب النبي الأكرم ﷺ ﴿...تُرِيدُونَ عَرْضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ...﴾<sup>(٤)</sup>.

وفي آيات أخرى نجد هذا التعبير أيضاً حيث يدل على أن جماعة من المسلمين أو غير المسلمين وبدافع من الحرص والطمع تركوا الاهتمام بالموهب الإلهية

(١) سورة التوبة، الآية: ٢٨.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٢٨.

(٣) سورة النساء، الآية: ٩٤.

(٤) سورة الأنفال، الآية: ٦٧.



الخالدة والحياة الأخرى والقيم الإنسانية العالية واشتغلوا في جمع زخارف الدنيا الزائلة وإشباع الملذات

الرخيصة في حركة الحياة الدنيا. أجل فإنَّ النعمة الحقيقية هي ما عند الله تعالى وما بقي فكله «عرض» يقبل الزوال والاندثار.

وهذا التعبير هو في الحقيقة إنذار لجميع طلاب الدنيا بأنهم ينبغي عليهم الاهتمام بما لديهم من طاقات ورأس مال عظيم وبإمكانهم استخدامها في سبيل حياة كريمة وخالدة فلا يضيعونها في الأمور الرخيصة والزائلة.

٥- ونقرأ في قسم آخر من الآيات التعبير عن المواهب المادية بأنها ﴿زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾<sup>(١)</sup>.

ووردت تعبيرات مشابهة لهذه الآية في آيات أخرى أيضاً في قوله ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وفي مكان آخر يخاطب القرآن الكريم نساء النبي ﷺ ويقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأُزْوَاجِكُمْ إِن كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَأَفْعَلْنَ وَأَسْرَحْنَ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾<sup>(٣)</sup>.

وهذه التعبيرات توضح بصورة جيّدة أنّ هذا البريق لزخارف الحياة الدنيا ما هو إلاّ زينة للحياة المادية، وبديهي أنّ الإنسان لا يُعبّر عن الأمور الحياتية والمصيرية بتعبير «زينة» أو «زينة الحياة الدنيا» أي الحياة السفلى والتافهة.

ومن الجدير بالذكر أنّه حتّى أنّ مفهوم «الزينة» نجده في آيات أخرى مبنياً

(١) سورة الكهف، الآية: ٢٨ و٤٦.

(٢) سورة هود، الآية: ١٥.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٢٨.

للمجهول حيث ورد تعبير «زَيْن» وهذا يدل على أن هذه الزينة غير حقيقية بل خيالية وهمية.

مثلاً نقرأ في سورة البقرة الآية: ٢١٢ قوله تعالى: ﴿زَيْنٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا...﴾.

ونقرأ في سورة آل عمران الآية: ١٤ قوله تعالى: ﴿زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ﴾.

هذه التعبيرات وتعبيرات أخرى مماثلة تشير إلى أنه حتى مفهوم «الزينة» في مثل هذه الموارد ما هي إلا زينة وهمية وخيالية حيث يتوهم الناس من طلاب الدنيا أنها زينة حقيقية وواقعية.

وهنا يتبادر سؤال مهم، وهو أنه لماذا جعل الله تعالى مثل هذه الأمور زينة في أنظار الناس؟

ومن المعلوم أن الدنيا إنما جعلت لتربية الإنسان واختباره وامتحانه لأن الإنسان إذا ترك مثل هذه الزينة الجميلة والخادعة والتي تكون مقرونة بالحرام والإثم غالباً من أجل الله تعالى والسير في خط التقوى والإيمان فإن ذلك من شأنه أن يعمق في نفسه روح التقوى والقيم الأخلاقية ويصعد به في مدارج الكمال المعنوي والأفانٍ صرف النظر عن هذه الأمور المخادعة بمجرد لا يعد افتخاراً ومكرمة للإنسان.

وبعبارة أدق فإن التمايلات والرغبات الباطنية والأهواء النفسانية تزين للإنسان الأمور المادية بزينة جميلة لكي تدعوه إلى ارتكاب الإثم وممارسة الحرام، وعليه فإن هذه الزينة تنبع من ذات الإنسان ومن باطنه، وعندما نرى في الآيات الكريمة نسبة التزيين إلى الله تعالى فذلك بسبب أن الله تعالى هو



الَّذِي خَلَقَ هَذِهِ التَّمَايِلَاتِ وَالرَّغْبَاتِ وَالْأَهْوَاءَ الطَّاعِيَةَ، وَعِنْدَمَا نَقَرَأُ فِي بَعْضِ  
الآيَاتِ نَسَبْتَهَا إِلَى الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿...وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ  
أَعْمَلَهُمْ...﴾<sup>(١)</sup> فَذَلِكَ بِسَبَبِ أَنَّ عَمَلِيَةَ التَّزْيِينِ هَذِهِ بِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّهَا مِنْ جِهَةِ  
مَنْسُوبَةٍ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِسَبَبِ الْقَانُونِ الْعَامِّ فِي عَالَمِ الْخَلْقَةِ، إِلَّا أَنَّ اتِّبَاعَ هَذِهِ  
الْأَهْوَاءِ وَالشَّهَوَاتِ مِنْ جِهَةِ هُوَ عَمَلُ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ الَّذِي يَسْؤُلُ لِلإِنْسَانِ هَذِهِ  
الْأُمُورَ الْخَاطِئَةَ لِيُوقِعَهُ فِي الإِثْمِ وَالذَّنْبِ.

وَعَلَى آيَةٍ حَالٍ فَإِنَّ الْمُسْتَفَادَ مِنْ مَجْمُوعِ الْآيَاتِ الْمَذْكُورَةِ أَعْلَاهُ أَنَّ «حَبَّ  
الدُّنْيَا» إِذَا اسْتَقَرَّ فِي قَلْبِ الْإِنْسَانِ وَبِصُورَةٍ مَفْرُطَةٍ فَإِنَّهُ سَيُؤَدِّي بِهِ إِلَى الْإِبْتِعَادِ  
عَنِ اللَّهِ تَعَالَى وَالغَفْلَةِ عَنِ الْآخِرَةِ.

### الدنيا المطلوبة والدنيا المذمومة

قَلْنَا كَرَاراً أَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْ حَبِّ الدُّنْيَا فِي هَذَا الْبَحْثِ هُوَ مَا يَسَاوِي  
العِشْقَ لِلدُّنْيَا لِأَنَّ الاسْتِفَادَةَ الْعَقُولَةَ مِنَ الْمَوَاهِبِ الْمَادِّيَةِ وَالطَّبِيعِيَّةِ  
لِلتَّوَصُّلِ بِهَا إِلَى الْكَمَالِ الْمَعْنَوِيِّ فَإِنَّ ذَلِكَ لَيْسَ مِنْ حَبِّ الدُّنْيَا قَطْعاً بَلْ مِنْ  
حَبِّ الْآخِرَةِ، وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى إِنَّ الْكَثِيرَ مِنَ الْبَرَامِجِ الْمَعْنَوِيَّةِ لِلسَّيْرِ فِي خَطِّ  
التَّكَامُلِ الْإِنْسَانِيِّ لَا تَتَسَنَّى بِدُونِ الْإِمْكَانَاتِ الْمَادِّيَّةِ، وَفِي الْوَاقِعِ إِنَّ هَذِهِ  
الْإِمْكَانَاتِ الْمَادِّيَّةِ مِنْ قَبِيلِ مَقَدِّمَةِ الْوَاجِبِ الَّتِي إِذَا أَتَى بِهَا الْإِنْسَانُ بِنِيَّةِ  
مَقَدِّمَةِ الْوَاجِبِ، فَمُضَافاً إِلَى أَنَّهَا لَا تَكُونُ عَيْباً فَإِنَّهَا تَكُونُ مَشْمُولَةً بِالثَّوَابِ  
الْإِلَهِيِّ أَيْضاً.

ولهذا السبب نجد في الآيات القرآنية الكثيرة تعبيرات إيجابية عن مواهب  
الدنيا، ومن ذلك:

١- ما ورد في آية الوصية من التعبير عن مال الدنيا بـ «خير» أي الخير المطلق

(١) سورة النمل، الآية: ٢٤.

حيث تقول الآية : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا  
الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ ﴾<sup>(١)</sup>.

٢- ويقول في مكان آخر «بركات السماء والأرض» عن مواهب الطبيعة التي فتحها  
الله تعالى للمؤمنين وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىءِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا  
لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ... ﴾<sup>(٢)</sup>.

٣- ونقرأ في مكان آخر التعبير عن المال والثروة بأنها «فضل الله» كما ورد في  
سورة الجمعة : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ  
اللَّهِ ... ﴾<sup>(٣)</sup>.

٤- وفي آية أخرى ورد أن كثرة الأموال والثروات بأنها ثواب من الله تعالى  
للتائبين كما ورد في قصة نوح : ﴿ بُرِّسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمِدَّكُمْ بِأَمْوَالٍ  
وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴾<sup>(٤)</sup>.

وفي مكان آخر يقرر أن الأموال هي وسيلة للحياة ومحور للنشاطات الدنيوية  
للاقوام البشرية وتؤكد الآيات على عدم وضعها بيد السفهاء وتقول : ﴿ وَلَا تَوَدُّوا  
السُّفَهَاءَ أَمْوَالِكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا ﴾<sup>(٥)</sup>.

٥- وفي مورد آخر يتحدث القرآن الكريم عن وعد الله تعالى للمجاهدين  
في سبيله بالفنائم الكثيرة ويعدّها من أنواع الثواب الإلهي لهم ويقول:

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٠.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٩٦.

(٣) سورة الجمعة، الآية: ١٠.

(٤) سورة نوح، الآيتان: ١١، ١٢.

(٥) سورة النساء، الآية: ٥.



﴿وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ...﴾ (١).

٦- وفي موضع آخر من الآيات القرآنية الكريمة يتحدث القرآن عن النعم المادية الدنيوية ويُعبّر عنها بـ «الطيبات» كما نقرأ في سورة الأعراف الآية: ٣٢ قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ...﴾.

وفي مورد آخر يقول: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَنْخَظَّكُمْ النَّاسُ فَأَوْرَثَكُمُ وَأَيَّدَكُمُ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمُ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٢).

هذه التعبيرات العميقة وأمثالها من تعبيرات القرآن الكريم يُستفاد منها جيداً أنّ المواهب المادية والدنيوية في ظلّ ظروف خاصّة وأجواء متناسبة ليست فقط غير مطلوبة بل هي طيّبة وطاهرة وباعثة على طيب البشر وطهارتهم.

٧- ونقرأ في آيات أخرى عبارات تُقرّر أنّ الإمكانات المادية مضافاً إلى أنّها من فضل الله على الإنسان يمكنها أن تكون سبباً للصعود بالإنسان إلى مرتبة الصالحين، كما ورد في الآية: ٧٥ من سورة التوبة: ﴿وَمِنْهُمْ مَن عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنْ آتَيْنَاهُ مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

هذه الآية الشريفة وبالنظر إلى شأن نزولها كما ورد في التفاسير أنّها نزلت في أحد الأنصار يُدعى «ثعلبة بن حاطب» الذي طلب من النبي ﷺ أن يدعو له بكثرة المال لينفق منه في سبيل الله وليكون من الصالحين ففي البداية لم يستجب النبي ﷺ لطلبه لما يعرف من مزاجه وروحيته ولكن بعد إصراره دعا له

(١) سورة الفتح، الآية: ٢٠.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٢٦.



النبيّ بذلك وكانت النتيجة معروفة، فهذه الآية توضح على أنّ الامكانيات الماديّة يمكنها أن تكون وسيلة للصعود بالإنسان في مدارج الكمال المعنوي ونيل السعادة الحقيقية والوصول إلى مرتبة الصالحين والمقربين.

ومن مجموع العناوين السبعة الواردة بالآيات أعلاه يتّضح جيّداً أنّ النعم الماديّة والمواهب الدنيوية ليست مذمومة وقبيحة بالذات بل هي تابعة لكيفية استخدامها واستعمالها والطريقة التي يسلك بها الإنسان في الاستفادة منها، فلو أنّه استفاد منها بصورة صحيحة لأضحت مطلوبة وجميلة ونقيّة وظاهرة، وفي غير هذه الصورة فهي ذميمة وسلبية ومضرة....





## خلاصة الدرس

أوردنا نموذجاً للمنهج: النقل «تفسير القرآن بالقرآن» والاتجاه: الموضوعي الأخلاقي والموضوع عن حبّ الدنيا، من كتاب الأخلاق في القرآن للشيخ مكارم الشيرازي (عالم معاصر).

وقد استوحى من آيات القرآن الكريم بخصوص موضوع حبّ الدنيا هذه المبادئ والمواقف الأخلاقية المهمة:

١- إنّ القرآن الكريم يرى أنّ الدنيا ما هي إلاّ لعب ولهو كما يلهو ويلعب الأطفال،

٢- ومن الآيات الأخرى في هذا المجال نرى مفهوم «متاع الغرور» بالنسبة إلى الحياة الدنيا، وهذه التعبيرات تدلّ على أنّ زخارف الدنيا وبريقها الخادع يُعدّ أحد الموانع المهمة للتكامل المعنوي والصعود في درجات الكمال الإلهي للإنسان وما دام هذا المانع موجوداً فإنه لا يصل إلى شيء من هذه الكمالات المعنوية.

٣- وهناك طائفة أخرى من الآيات الكريمة التي تُقرّر لنا هذه الحقيقة، وهي أنّ الانجذاب نحو زخارف الدنيا وزبارجها يؤدي إلى أن يعيش الإنسان الغفلة عن الآخرة، أي أن يكون الشغل الشاغل له وهمّه الوحيد هو تحصيل هذه الزخارف الخادعة.

٤- ونقرأ في قسم آخر من الآيات الكريمة أنّ الدنيا هي «عرض» على وزن «عرض» بمعنى الموجود المتزلزل والذي يعيش الاهتزاز والتغيّر والتبدّل في جميع جوانبه وحالاته.



٥- ونقرأ في قسم آخر من الآيات التعبير عن المواهب المادية بأنها «زينة الحياة الدنيا»

وهذه التعبيرات توضح بصورة جيدة أنّ هذا البريق لزخارف الحياة الدنيا ما هو إلا زينة للحياة المادية، وبديهي أنّ الإنسان لا يُعبر عن الأمور الحياتية والمصيرية بتعبير «زينة» أو «زينة الحياة الدنيا» أي الحياة السفلى والتافهة.

### الدنيا المطلوبة والدنيا المذمومة

إنّ المقصود من حبّ الدنيا في هذا البحث هو ما يساوي العشق للدنيا لا الاستفادة المعقولة من المواهب المادية والطبيعية للتوصّل بها إلى الكمال المعنوي فإنّ ذلك ليس من حبّ الدنيا قطعاً بل من حبّ الآخرة، وبعبارة أخرى إنّ الكثير من البرامج المعنوية للسير في خطّ التكامل الإنساني لا تتسنّى بدون الإمكانيات المادية، وفي الواقع إنّ هذه الإمكانيات المادية من قبيل مقدّمة الواجب التي إذا أتى بها الإنسان بنية مقدّمة الواجب، فمضافاً إلى أنّها لا تكون عيباً فإنّها تكون مشمولة بالثواب الإلهي أيضاً.

ولهذا السبب نجد في الآيات القرآنية الكثيرة تعبيرات إيجابية عن مواهب الدنيا.



الدرس الخامس والعشرون

## تفسير موضوعي لبحث: الشفاعة (1)



أهداف الدرس

- أن يتعرّف الطالب إلى نموذج من التفسير الكامل  
نموذج بحث الشفاعة (1)







﴿يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ (١)

اسم الكتاب	الميزان في تفسير القرآن
تأليف	العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (١٣٢١ - ١٤٠٢ هـ)
القرن	الرابع عشر - الخامس عشر
المنهج	الكامل
الاتجاه	الموضوعي - الكلامي العقائدي - الفلسفي - الاجتماعي
الموضوع	الشفاعة
المصدر	ج ١ ص ٨٧ - ٩٩

قوله تعالى: واتقوا يوماً لا تجزي.

الملك والسلطان الديني بأنواعه وأقسامه وجميع شؤونه، وقواه المقننة

(١) سورة البقرة، الآيات: ٤٧-٤٨.

الحاكمة والمجرية مبتنية على حوائج الحياة، وغايتها رفع الحاجة حسب ما يساعد عليه العوامل الزمانية والمكانية، فربما بدل متاع من متاع أو نفع من نفع أو حكم من حكم من غير ميزان كلي يضبط الحكم ويجري ذلك في باب المجازاة أيضاً فإنَّ الجرم والجنائية عندهم يستتبع العقاب، وربما بدلَّ الحاكم العقاب لغرض يستدعي منه ذلك كأن يلحَّ المحكوم الذي يرجى عقابه على القاضي ويسترحمه أو يرتشيه فينحرف في قضائه فيجزى أي يقضي فيه بخلاف الحق، أو يبعث المجرم شفيحاً يتوسَّط بينه وبين الحاكم أو مجري الحكم أو يعطي عدلاً وبدلاً إذا كانت حاجة الحاكم المرید للعقاب إليه أزيد وأكثر من الحاجة إلى عقاب ذلك المجرم، أو يستنصر قومه فينصروه فيتخلص بذلك عن تبعة العقاب ونحو ذلك.

تلك سنةٌ جارية وعادة دائرة بينهم، وكانت الملل القديمة من الوثنيين وغيرهم تعتقد أن الحياة الآخرة نوع حياة دنيوية يطرد فيها قانون الأسباب ويحكم فيها ناموس التأثير والتأثر المادّي الطبيعي، فيقدمون إلى آلهتهم أنواع القرابين والهدايا للصفح عن جرائمهم أو الإمداد في حوائجهم، أو يستشفعون بها، أو يفتنون بشيء عن جريمة أو يستنصرون بنفس أو سلاح حتى إنهم كانوا يفتنون مع الأموات أنواع الزخرف والزينة، ليكون معهم ما يتمتعون به في آخرتهم، ومن أنواع السلاح ما يدافعون به عن أنفسهم، وربما ألدوا معه من الجوّاري من يستأنس بها، ومن الأبطال من يستنصر به الميت، وتوجد اليوم في المتاحف بين الآثار الأرضية عتائق كثيرة من هذا القبيل، ويوجد عقائد متنوّعة شبيهة بتلك العقائد بين الملل الإسلامية على اختلاف أسنتهم وألوانهم، بقيت بينهم بالتوارث، ربّما تلوّنت لونا بعد لون، جيلاً بعد جيل، وقد أبطل القرآن جميع هذه



الآراء الواهية، والأقاويل الكاذبة، فقد قال عزّ من قائل: ﴿وَأَلْمَزُوا يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾<sup>(١)</sup>، وقال: ﴿وَرَأُوا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾<sup>(٢)</sup>، وقال: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرْكْتُمْ مَا حَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، وقال: ﴿هُنَالِكَ تَبَلَّوْا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَمْتَرُونَ﴾<sup>(٤)</sup>، إلى غير ذلك من الآيات التي بيّن فيها: أنّ الموطن خال عن الأسباب الدنيوية، وبمعزل عن الارتباطات الطبيعية، وهذا أصل يتفرّع عليه بطلان كل واحد من تلك الأقاويل والأوهام على طريق الإجمال، ثمّ فصل القول في نفي واحد واحد منها وإبطاله فقال: ﴿وَأَنْقُوا يَوْمًا لَا تَجْرِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾<sup>(٥)</sup>، وقال: ﴿يَوْمَ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَعَةٌ﴾<sup>(٦)</sup>، وقال: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا﴾<sup>(٧)</sup>، وقال: ﴿يَوْمَ تُؤَلَّفُونَ مَدِيرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾<sup>(٨)</sup>، وقال: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنْصَرُونَ﴾<sup>(٩)</sup> بل هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾<sup>(٩)</sup>، وقال: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾<sup>(١٠)</sup>، وقال: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ



(١) سورة الإنفطار، الآية: ١٩.  
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٦٦.  
(٣) سورة الأنعام، الآية: ٩٤.  
(٤) سورة يونس، الآية: ٣٠.  
(٥) سورة البقرة، الآية: ٤٨.  
(٦) سورة البقرة، الآية: ٢٥٤.  
(٧) سورة الدخان، الآية: ٤١.  
(٨) سورة المؤمن، الآية: ٣٢.  
(٩) سورة الصافات، الآيتان: ٢٥ - ٢٦.  
(١٠) سورة يونس، الآية: ١٨.

حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١﴾، وقال: ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ (٢)، إلى غير ذلك من الآيات الكريمة النافية لوقوع الشفاعة وتأثير الوسائط والأسباب يوم القيامة هذا.

ثم إن القرآن مع ذلك لا ينفي الشفاعة من أصلها، بل يشبها بعض الإثبات، قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ (٣)، وقال تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ (٤)، وقال تعالى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا﴾ (٥)، وقال تعالى: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ (٦)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأُمُورَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ (٧)، وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴿٣٦﴾ لَا يَسْقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٣٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ (٨)، وقال: ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٩)، وقال: ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ (١٠)، وقال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا نَنْفَعُ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَنْ أُذِنَ

(١) سورة المؤمن، الآية: ١٨.

(٢) سورة الشعراء، الآيات: ١٠٠ - ١٠١.

(٣) سورة السجدة، الآية: ٣.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٥١.

(٥) سورة الزمر، الآية: ٤٤.

(٦) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٧) سورة يونس، الآية: ٣.

(٨) سورة الأنبياء، الآيات: ٢٦ - ٢٨.

(٩) سورة الزخرف، الآية: ٨٦.

(١٠) سورة مريم، الآية: ٨٧.



لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ، قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ، عِلْمًا ﴿١﴾،  
وقال تعالى: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾<sup>(٢)</sup>، وقال تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ  
مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾<sup>(٣)</sup>.

فهذه الآيات كما ترى بين ما يحكم باختصاص الشفاعة بالله عز اسمه  
كالآيات الثلاثة الأولى وبين ما يعممها لغيره تعالى بإذنه وارتضائه ونحو ذلك،  
وكيف كان فهي تثبت الشفاعة بلا ريب، غير أن بعضها تثبتها بنحو الأصالة لله  
وحده من غير شريك، وبعضها تثبتها لغيره بإذنه وارتضائه، وقد عرفت أن هناك  
آيات تنفيها فتكون النسبة بين هذه الآيات كالنسبة بين الآيات النافية لعلم الغيب  
عن غيره، وإثباته له تعالى بالاختصاص ولغيره بارتضائه، قال تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ  
مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ﴾<sup>(٤)</sup>، وقال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا  
هُوَ﴾<sup>(٥)</sup> وقال تعالى: ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾<sup>(٦)</sup> إِلَّا مَنْ أَرْضَى  
مِنْ رَسُولٍ<sup>(٦)</sup>، وكذلك الآيات الناطقة في التوفّي والخلق والرزق والتأثير والحكم  
والملك وغير ذلك فإنها شائعة في أسلوب القرآن، حيث ينفي كل كمال عن غيره  
تعالى، ثم يثبت لنفسه، ثم يثبت لغيره بإذنه ومشيته، فتفيد أن الموجودات غيره  
تعالى لا تملك ما تملك من هذه الكمالات بنفسها واستقلالها، وإنما تملكها  
بتمليك الله لها إياها، حتى أن القرآن يثبت نوعاً من المشية في ما حكم فيه  
وقضى عليه بقضاء، حتم كقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ  
وَشَهيقٌ﴾<sup>(٧)</sup> خَلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ

(١) سورة طه، الآيتان: ١٠٩ - ١١٠.

(٢) سورة سبأ، الآية: ٢٣.

(٣) سورة النجم، الآية: ٢٦.

(٤) سورة النمل، الآية: ٦٥.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ٥٩.

(٦) سورة الجن، الآيتان: ٢٦ - ٢٧.





لِمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فِي الْجَنَّةِ خَلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرٌ مَجْذُوزٍ ﴿١﴾.

فقد علق الخلود بالمشية وخاصّة في خلود الجنّة مع حكمه بأنّ العطاء غير مجذوذ، إشعاراً بأنّ قضاءه تعالى بالخلود لا يخرج الأمر من يده ولا يبطل سلطانه وملكه عزّ سلطانه كما يدلّ عليه قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾<sup>(٢)</sup>، وبالجملة لا إعطاء هناك يخرج الأمر من يده ويوجب له الفقر، ولا منع يضطره إلى حفظ ما منعه وإبطال سلطانه تعالى.

ومن هنا يظهر أنّ الآيات النافية للشفاعة إنّ كانت ناظرة إلى يوم القيامة فإنّما تنفيها عن غيره تعالى بمعنى الاستقلال في الملك، والآيات المثبتة تثبتها لله سبحانه بنحو الأصالة، ولغيره تعالى بإذنه وتمليكه، فالشفاعة ثابتة لغيره تعالى بإذنه فلننظر ماذا يفيد كلامه في معنى الشفاعة ومتعلّقها؟ وفيمن تجري؟ وممّن تصحّ؟ ومتى تتحقّق؟ وما نسبتها إلى العفو والمغفرة منه تعالى؟ ونحو ذلك في أمور.

١ - ما هي الشفاعة؟ ...

٢ - إشكالات الشفاعة ...

٣ - فيمن تجري الشفاعة؟

قد عرفت أنّ تعيين المشفوع لهم يوم القيامة لا يلائم التربية الدنيوية كلّ الملاءمة إلا أن يعرفوا بما لا يخلو عن شوب إبهام وعلى ذلك جرى بيان القرآن، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّاتٍ يَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ

(١) سورة هود، الآيات: ١٠٦ - ١٠٨.

(٢) سورة هود، الآية: ١٠٧.



الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمَصْلِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نَطْعُمُ الْمَسْكِينِ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَحُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰ آتَانَا الْيَقِينَ ﴿٤٧﴾ فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿١﴾،

بين سبحانه فيها أنّ كل نفس مرهونة يوم القيامة بما كسبت من الذنوب، مأخوذة بما أسلفت من الخطايا إلا أصحاب اليمين فقد فكوا من الرهن وأطلقوا واستقرّوا في الجنان، ثم ذكر أنهم غير محجوبين عن المجرمين الذين هم مرهونون بأعمالهم، مأخوذ عليهم في سقر، يتساءلون عنهم سلوكهم في النار، وهم يجيئون بالإشارة إلى عدة صفات ساقتهم إلى النار، فرّع على هذه الصفات بأنّه لم ينفعهم لذلك شفاعة الشافعين.

ومقتضى هذا البيان كون أصحاب اليمين غير متّصّفين بهذه الصفات التي يدلّ الكلام على كونها هي المانعة عن شمول الشفاعة، وإذا كانوا غير متّصّفين بهذه الصفات المانعة عن شمول الشفاعة وقد فكّ الله تعالى نفوسهم عن رهانة الذنوب والآثام دون المجرمين المحرومين عن الشفاعة، المسلوكين في سقر، فهذا الفكّ والإخراج إنّما هو بالشفاعة فأصحاب اليمين هم المشفعون بالشفاعة، وفي الآيات تعريف أصحاب اليمين بانتفاء الأوصاف المذكورة عنهم، بيان ذلك: أنّ الآيات واقعة في سورة المدثر وهي من السور النازلة بمكة في بدء البعثة كما ترشد إليه مضامين الآيات الواقعة فيها، ولم يشرع يومئذ الصلاة والزكاة بالكيفية الموجودة اليوم، فالمراد بالصلاة في قوله لم نك من المصلين التوجه إلى الله تعالى بالخضوع العبودي، وبإطعام المسكين مطلق الإنفاق على المحتاج في سبيل الله، دون الصلاة والزكاة المعهودتين في الشريعة الإسلامية والخوض هو الغور في ملاهي الحياة وزخارف الدنيا الصارفة للإنسان عن الإقبال على الآخرة وذكر الحساب يوم الدين، أو التعمّق

في الطعن في آيات الله المذكرة ليوم الحساب المبشرة المنذرة، وبالتلبس بهذه الصفات الأربع، وهي ترك الصلاة لله وترك الإنفاق في سبيل الله والخوض وبتكذيب يوم الدين ينهدم أركان الدين، وبالتلبس بها تقوم قاعدته على ساق فإن الدين هو الاقتداء بالهداة الطاهرين بالإعراض عن الإخلاق إلى الأرض والإقبال إلى يوم لقاء الله، وهذان هما ترك الخوض وتصديق يوم الدين ولازم هذين عملاً التوجه إلى الله بالعبودية، والسعي في رفع حوائج جامعة الحياة وهذان هما الصلاة والإنفاق في سبيل الله، فالدين يتقوم بحسب جهتي العلم والعمل بهذه الخصال الأربع، وتستلزم بقية الأركان كالتوحيد والنبوة استلزماً هذا، فأصحاب اليمين هم الفائزون بالشفاعة، وهم المرضيون ديناً واعتقاداً سواء كانت أعمالهم مرضية غير محتاجة إلى شفاعاة يوم القيامة أو لم تكن، وهم المعنيون بالشفاعة، فالشفاعة للمذنبين من أصحاب اليمين، وقد قال تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَبُوا كِبَائِرَ مَا نُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكْفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾<sup>(١)</sup>، فمن كان له ذنب باق إلى يوم القيامة فهو لا محالة من أهل الكبائر، إذ لو كان الذنب من الصغائر فقط لكان مكفراً عنه، فقد بان أن الشفاعة لأهل الكبائر من أصحاب اليمين، وقد قال النبي ﷺ: إنما شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي فأما المحسنون فما عليهم من سبيل، الحديث.

ومن جهة أخرى إنما سمي هؤلاء بأصحاب اليمين في مقابل أصحاب الشمال وربما سموا أصحاب اليمين في مقابل أصحاب المشأمة، وهو من الألفاظ التي اصطلح عليه القرآن مأخوذ من إيتاء الإنسان يوم القيامة كتابه بيمينه أو بشماله، قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْئِهِمْ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَى



فَهُوَ فِي الْأَخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿١﴾، وسنبين في الآية إن شاء الله تعالى أن المراد من إيتاء الكتاب باليمين اتباع الإمام الحق، ومن إيتائه بالشمال اتباع إمام الضلال كما قال تعالى في فرعون: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾ ﴿٢﴾، وبالجملة مرجع التسمية بأصحاب اليمين أيضاً إلى ارتضاء الدين كما أن إليه مرجع التوصيف بالصفات الأربعة المذكورة هذا.

ثم إنه تعالى قال في موضع آخر من كلامه: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ ﴿٣﴾، فأثبت الشفاعة على من ارتضى، وقد أطلق الارتضاء من غير تقييد بعمل ونحوه، كما فعله في قوله: ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ ﴿٤﴾، ففهمنا أن المراد به ارتضاء أنفسهم أي ارتضاء دينهم لا ارتضاء عملهم، فهذه الآية أيضاً ترجع من حيث الإفادة إلى ما ترجع إليه الآيات السابقة ثم إنه تعالى قال ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفَدًا﴾ ﴿٥٥﴾ ﴿وَسَوْفُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًا﴾ ﴿٥٦﴾ لَا يَمْلِكُونَ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٥٧﴾ فهو يملك الشفاعة أي المصدر المبني للمفعول وليس كل مجرم بكافر محتوم له النار، بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ ﴿٧٤﴾ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴿٥٥﴾، فمن لم يكن مؤمناً قد عمل صالحاً فهو مجرم سواء كان لم يؤمن، أو كان قد آمن ولم يعمل صالحاً، فمن المجرمين من كان على دين الحق لكنه لم يعمل صالحاً وهو الذي قد اتخذ عند الله عهداً لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ بِنَبِيِّءِ آدَمَ أَنْ لَا

تفسير موضوعي لطب: الشفاعة (١)

(١) سورة الإسراء، الآيتان: ٧١ - ٧٢.  
 (٢) سورة هود، الآية: ٩٨.  
 (٣) سورة الأنبياء، الآية: ٢٨.  
 (٤) سورة طه، الآية: ١٠٩.  
 (٥) سورة طه، الآيتان: ٧٤ - ٧٥.

تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿١﴾  
 فقوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَعْبُدُونِي﴾ عهد بمعنى الأمر وقوله تعالى: هذا صراط  
 مستقيم، عهد بمعنى الالتزام لاشتغال الصراط المستقيم على الهداية إلى  
 السعادة والنجاة، فهؤلاء قوم من أهل الإيمان يدخلون النار لسوء أعمالهم،  
 ثم ينجون منها بالشفاعة، وإلى هذا المعنى يلوح قوله تعالى ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا  
 النَّارُ إِلَّا أَلْفَاكًا مَعْدُودَةً قُلْ أَخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا﴾<sup>(٢)</sup>، فهذه الآيات أيضاً  
 ترجع إلى ما ترجع إليه الآيات السابقة، والجميع تدلُّ على أن مورد الشفاعة  
 أعني المشفوع لهم يوم القيمة هم الدائنون بدين الحق من أصحاب الكبائر،  
 وهم الذين ارتضى الله دينهم.

#### ٤ - من تقع منه الشفاعة؟

قد عرفت أن الشفاعة منها تكوينية، ومنها تشريعية، فأما الشفاعة التكوينية  
 فجملة الأسباب الكونية شفعاء عند الله بما هم وسائط بينه وبين الأشياء.  
 وأما الشفاعة التشريعية، وهي الواقعة في عالم التكليف والمجازات، فمنها  
 ما يستدعي في الدنيا مغفرة من الله سبحانه أو قرباً وزلفى، فهو شفيع متوسط  
 بينه وبين عبده.

ومنه التوبة كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا  
 مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ  
 رَبِّكُمْ ﴿٣﴾، ويعمّ شموله لجميع المعاصي حتى الشرك.

(١) سورة يس، الآيتان: ٦٠ - ٦١.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٨٠.

(٣) سورة الزمر، الآيتان: ٥٣ - ٥٤.



ومنه الإيمان قال تعالى: ﴿وَأْمِنُوا بِرَسُولِهِ﴾، إلى قوله: وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴿<sup>(١)</sup>.

ومنه كل عمل صالح.

قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ <sup>(٢)</sup>، وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ <sup>(٣)</sup> والآيات فيه كثيرة، ومنه القرآن لقوله تعالى: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ <sup>(٤)</sup>.

ومنه كل ما له ارتباط بعمل صالح، والمساجد والأمكنة المباركة والأيام الشريفة، ومنه الأنبياء والرسل باستغفارهم لأممهم.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ <sup>(٥)</sup>.

ومنه الملائكة في استغفارهم للمؤمنين، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَمْجُلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ <sup>(٦)</sup>، وقال تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ <sup>(٧)</sup> ومنه المؤمنون باستغفارهم لأنفسهم وإخوانهم المؤمنين.

قال تعالى حكاية عنهم ﴿وَأَعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا﴾ <sup>(٨)</sup>.



(١) سورة الحديد، الآية: ٢٨.  
 (٢) سورة المائدة، الآية: ٩.  
 (٣) سورة المائدة، الآية: ٣٥.  
 (٤) سورة المائدة، الآية: ١٦.  
 (٥) سورة النساء، الآية: ٦٤.  
 (٦) سورة المؤمنون، الآية: ٧.  
 (٧) سورة الشورى، الآية: ٥.  
 (٨) سورة البقرة، الآية: ٢٧٦.

ومنها الشفيع يوم القيمة، بالمعنى الذي عرفت، فمنهم الأنبياء، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ إلى أن قال: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾<sup>(٩)</sup>، فإن منهم عيسى بن مريم وهو نبي، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾<sup>(١٠)</sup>، والآيتان تدلان على جواز الشفاعة من الملائكة أيضاً لأنهم قالوا إنهم بنات الله سبحانه.

ومنهم الملائكة، قال تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾<sup>(١١)</sup>، وقال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تُنْفَعُ الشَّفَعَةُ إِلَّا مَنْ آذَنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾<sup>(١٢)</sup> ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾<sup>(١٣)</sup>. ومنهم الشهداء لدلالة قوله تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾<sup>(١٤)</sup>، على تملكهم للشفاعة لشهادتهم بالحق، فكل شهيد فهو شفيع يملك الشهادة غير أن هذه الشهادة كما مر في سورة الفاتحة وسيأتي في قوله تعالى ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾<sup>(١٥)</sup> شهادة الأعمال دون الشهادة بمعنى القتل في معركة القتال، ومن هنا يظهر أن المؤمنين أيضاً من الشفعاء فإن الله عز وجل أخبر بلحوقهم بالشهداء يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾<sup>(١٥)</sup>، كما سيجيء بيانه.

(٩) سورة الأنبياء، الآية: ٢٩.

(١٠) سورة الزخرف، الآية: ٨٦.

(١١) سورة النجم، الآية: ٢٦.

(١٢) سورة طه، الآية: ١١٠.

(١٣) سورة الزخرف، الآية: ٨٦.

(١٤) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

(١٥) سورة الحديد، الآية: ١٩.



## ٥ - بماذا تتعلّق الشفاعة؟

قد عرفت أنّ الشفاعة منها تكوينية تتعلّق بكلّ سبب تكويني في عالم الأسباب ومنها شفاعة تشريعية متعلّقة بالثواب والعقاب فمنها ما يتعلّق بعقاب كلّ ذنب، الشرك فما دونه كشفاعة التوبة والإيمان قبل يوم القيامة ومنها ما يتعلّق بتبعات بعض الذنوب كبعض الأعمال الصالحة، وأمّا الشفاعة المتنازع فيها وهي شفاعة الأنبياء وغيرهم يوم القيامة لرفع العقاب ممن استحقّه بالحساب، فقد عرفت في الأمر الثالث أنّ متعلّقيها أهل المعاصي الكبيرة ممن يدين دين الحقّ وقد ارتضى الله دينه.

## ٦ - متى تنفع الشفاعة؟

ونعني بها أيضاً الشفاعة الرافعة للعقاب، والذي يدلّ عليه قوله سبحانه: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۗ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّةٍ يَسَاءُلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ۖ ﴿١﴾، فالآيات كما مرّ دالة على توصيف من تناله الشفاعة ومن يحرم منها غير أنّها تدلّ على أنّ الشفاعة إنّما تنفع في الفكّ عن هذه الرهانة والإقامة والخلود في سجن النار، وأمّا ما يتقدّم عليه من أهوال يوم القيامة وعظائمها فلا دليل على وقوع شفاعة فيها لو لم تدلّ الآية على انحصار الشفاعة في الخلاص من رهانة النار.

و اعلم أنّه يمكن أن يستفاد من هذه الآيات وقوع هذا التساؤل بعد استقرار

295 أهل الجنّة في الجنّة وأهل النار في النار وتعلّق الشفاعة بجمع من المجرمين بإخراجهم من النار، وذلك لمكان قوله: في جنّات، الدالّ على الاستقرار وقوله: ما سلّكم فإنّ السلوك هو الإدخال لكن لا كلّ إدخال بل إدخال على سبيل النضد



والجمع والنظم ففيه معنى الاستقرار وكذا قوله: فما تنفعهم، فإن ما لنفي الحال، فافهم ذلك.

وأما نشأة البرزخ وما يدل على حضور النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام عند الموت وعند مساءلة القبر وإعانتهم إياه على الشدائد كما سيأتي في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنُوا بِهِ﴾<sup>(١)</sup>، فليس من الشفاعة عند الله في شيء وإنما هو من سبيل التصرفات والحكومة الموهوبة لهم بإذن الله سبحانه، قال تعالى: ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَانِهِمْ وَنَادُوا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ لَمَّا دَخَلُواهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ إلى أن قال: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَانِهِمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهْتُولَاءَ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، ومن هذا القبيل من وجه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْئِهِمْ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾<sup>(٣)</sup>، فوساطة الإمام في الدعوة، وإيتاء الكتاب من قبيل الحكومة الموهوبة فافهم.

فتحصّل أنّ المتحصّل من أمر الشفاعة وقوعها في آخر موقف من مواقف يوم القيامة باستيهاب المغفرة بالمنع عن دخول النار، أو إخراج بعض من كان داخلها فيها، باتساع الرحمة أو ظهور الكرامة.

(١) سورة النساء، الآية: ١٥٨.

(٢) سورة الأعراف، الآيات: ٤٦، ٤٨، ٤٩.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٧١.



## خلاصة الدرس

- أوردنا نموذجاً للمنهج الكامل من تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي، وذلك تفسيراً للآية التالية: ﴿يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَأَتَقُوا يَوْمًا لَا تَجْرِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١﴾.

بعد أن يورد العلامة الآيات الواردة في الشفاعة وينفي كونها بمعنى الوساطة المتعارفة عند الناس، يصل إلى هذه النتيجة: «ومن هنا يظهر أن الآيات النافية للشفاعة إن كانت ناظرة إلى يوم القيامة فإنما تنفيها عن غيره تعالى بمعنى الاستقلال في الملك، والآيات المثبتة تثبتها لله سبحانه بنحو الأصالة، ولغيره تعالى بإذنه وتمليكه، فالشفاعة ثابتة لغيره تعالى».

- فيمن تجري الشفاعة؟ الشفاعة تجري في أصحاب اليمين الذين ارتضى الله تعالى دينهم من أصحاب الكبائر.

- من تقع منه الشفاعة؟ الشفاعة منها تكوينية: وتعني أن جملة الأسباب الكونية شفعاء عند الله بما هم وسائط بينه وبين الأشياء. ومنها تشريعية: وهي الواقعة في عالم التكليف والمجازات، كالإيمان والعمل الصالح والتوبة والقرآن والمساجد والأمكنة المباركة والأيام الشريفة والأنبياء والملائكة.

- متى تنفع الشفاعة؟ المتحصّل من أمر الشفاعة وقوعها في آخر موقف من مواقف يوم القيامة باستيهاب المغفرة بالمنع عن دخول النار، أو إخراج بعض من كان داخلياً فيها.







الدرس السادس والعشرون

## تفسير موضوعي لبحث: الشفاعة (2)



أهداف الدرس

- أن يتعرّف الطالب إلى نموذج من التفسير الكامل  
نموذج بحث الشفاعة (2)







اسم الكتاب	الميزان في تفسير القرآن
تأليف	العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (١٣٢١ - ١٤٠٢ هـ)
القرن	الرابع عشر - الخامس عشر
المنهج	الكامل
الاتجاه	الموضوعي - الكلامي العقائدي - الفلسفي - الاجتماعي
الموضوع	الشفاعة
المصدر	ج ١ ص ٩٩ - ١٠٦

بعد أن بحثنا في الدرس السابق جانباً من تفسير العلامة الطباطبائي  
للآيتين: ٤٧- ٤٨ من سورة البقرة: ﴿يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ  
وَإِنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا  
شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ نكمل في هذا الدرس تكملة تفسيره،  
وهنا يبحث العلامة بحثاً روائياً وفلسفياً واجتماعياً.

### بحث روائي

في أمالي الصدوق، عن الحسين بن خالد عن الرضا عن آبائه عن أمير  
المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: من لم يؤمن بحوضي فلا أورده الله

حوضي ومن لم يؤمن بشفاعتي فلا أناله الله شفاعتي ثم قال ﷺ إنما شفاعتي لأهل الكبائر من أمّتي، فأما المحسنون منهم فما عليهم من سبيل، قال الحسين بن خالد: فقلت للرضا عليه السلام يا بن رسول الله فما معنى قول الله عز وجل: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ قال عليه السلام لا يشفعون إلا لمن ارتضى الله دينه (١)....

وفي تفسير العياشي، أيضاً: عن أحدهما عليه السلام: في قوله تعالى: عسى أن يبيعتك ربك مقاماً محموداً، قال: هي الشفاعة (٢).....

وفي تفسير القمي، أيضاً: في قوله تعالى: ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له. قال عليه السلام: لا يشفع أحد من أنبياء الله ورسله حتى يأذن الله له إلا رسول الله فإن الله أذن له في الشفاعة قبل يوم القيامة، والشفاعة له وللأئمة من ولده ثم من بعد ذلك للأنبياء (٣).

وفي الخصال عن علي عليه السلام قال قال: رسول الله ﷺ: ثلاثة يشفعون إلى الله عز وجل فيشفعون: الأنبياء، ثم العلماء، ثم الشهداء (٤).

أقول: الظاهر أن المراد بالشهداء، شهداء معركة القتال كما هو المعروف في لسان الأئمة في الأخبار لا شهداء الأعمال كما هو مصطلح القرآن.

وفي الخصال، في حديث الأربعمائة: وقال عليه السلام: لنا شفاعة ولأهل مودتنا شفاعة (٥).

أقول: وهناك روايات كثيرة في شفاعة سيدة النساء فاطمة عليها السلام وشفاعة ذريتها غير الأئمة وشفاعة المؤمنين حتى السقط منهم....

(١) الأمالي، الشيخ الصدوق، ص ٥٦.

(٢) تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي، ج ٢، ص ٢١٤.

(٣) تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي، ج ٢، ص ٢٠١.

(٤) الخصال، الشيخ الصدوق، ص ١٥٦.

(٥) الخصال، الشيخ الصدوق، ص ٦٢٤.



وفي الخصال بأسانيد عن الرضا عن آبائه عليهم السلام قال قال: رسول الله ﷺ:  
إذا كان يوم القيامة تجلّى الله عزّ وجلّ لعبده المؤمن فيوقفه على ذنوبه ذنباً  
ذنوباً ثمّ يغفر الله له لا يطلع الله له ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسللاً ويستتر عليه أن  
يقف عليه أحد، ثمّ يقول لسيئاته: كوني حسنة (١)....

وفي الأمالي عن الصادق عليه السلام: إذا كان يوم القيامة نشر الله تبارك وتعالى  
رحمته حتى يطمع إبليس في رحمته (٢).

أقول: والروايات الثلاث الأخيرة من المطلقات والأخبار الدالة على وقوع  
شفاعة النبي ﷺ يوم القيامة من طرق أئمة أهل البيت وكذا من طرق أهل السنة  
والجماعة بالغة حدّ التواتر، وهي من حيث المجموع إنّما تدلّ على معنى واحد  
وهو الشفاعة على المذنبين من أهل الإيمان إمّا بالتخليص من دخول النار وإمّا  
بالإخراج منها بعد الدخول فيها، والمتيقن منها عدم خلود المذنبين من أهل  
الإيمان في النار وقد عرفت أنّ القرآن أيضاً لا يدلّ على مزيد من ذلك.

### بحث فلسفي

البراهين العقلية وإن قصرت عن إعطاء التفاصيل الواردة كتاباً وسنة في  
المعاد لعدم نيلها المقدمات المتوسطة في الاستنتاج على ما ذكره الشيخ ابن  
سينا لكنها تنال ما يستقبله الإنسان من كمالاته العقلية والمثالية في صراطي  
السعادة والشقاوة بعد مفارقة نفسه بدنه من جهة التجرد العقلي والمثالي  
الناهض عليهما البرهان.

فالإنسان في بادئ أمره يحصل له من كلّ فعل يفعله هيئة نفسانية وحال من  
أحوال السعادة والشقاوة، ونعني بالسعادة ما هو خير له من حيث إنه إنسان،

(١) عيون أخبار الرضا، الشيخ الصدوق، ج ١، ص ٣٦.

(٢) الأمالي، الشيخ الصدوق، ص ٢٧٤.



وبالشقاوة ما يقابل ذلك، ثم تصير تلك الأحوال بتكرُّرها ملكة راسخة، ثم يتحصَّل منها صورة سعيدة أو شقية للنفس تكون مبدأ لهيئات وصور نفسانية، فإن كانت سعيدة فآثارها وجودية ملائمة للصورة الجديدة، وللنفس التي هي بمنزلة المادة القابلة لها، وإن كانت شقية فآثارها أمور عدمية ترجع بالتحليل إلى الفقدان والشر، فالنفس السعيدة تلتذُّ بآثارها بما هي إنسان، وتلتذُّ بها بما هي إنسان سعيد بالفعل، والنفس الشقية وإن كانت آثارها مستأنسة لها وملائمة بما أنَّها مبدأ لها لكنها تتألم بها بما أنَّها إنسان، هذا بالنسبة إلى النفوس الكاملة في جانب السعادة والشقاوة، أعني الإنسان السعيد ذاتاً والصالح عملاً والإنسان الشقي ذاتاً والطالح عملاً، وأمَّا الناقصة في سعادتها وشقاوتها فالإنسان السعيد ذاتاً الشقي فعلاً بمعنى أن يكون ذاته ذات صورة سعيدة بالاعتقاد الحق الثابت غير أن في نفسه هيئات شقية ردية من الذنوب والآثام اكتسبتها حين تعلقها بالبدن الدنيوي وارتضاعها من ثدي الاختيار، فهي أمور قسرية غير ملائمة لذاته، وقد أقيم البرهان على أن القسر لا يدوم، فهذه النفس سترزق التطهُّر منها في برزخ أو قيامة على حسب قوَّة رسوخها في النفس، وكذلك الأمر فيما للنفس الشقية من الهيئات العارضة السعيدة فإنَّها ستسلب عنها وتزول سريعاً أو بطيئاً، وأمَّا النفس التي لم تتم لها فعلية السعادة والشقاوة في الحياة الدنيا حتَّى فارقت البدن مستضعفة ناقصة فهي من المرجئين لأمر الله عزَّ وجلَّ، فهذا ما يقتضيه البراهين في المجازاة بالثواب والعقاب المقتضية لكونها من لوازم الأعمال ونتائجها، لوجوب رجوع الروابط الوضعية الاعتبارية بالآخرة إلى روابط حقيقية وجودية هذا.

ثم إنَّ البراهين قائمة على أنَّ الكمال الوجودي مختلف بحسب مراتب الكمال والنقص والشدة والضعف وهو التشكيك خاصَّة في النور المجرَّد فهذه النفوس مراتب مختلفة في القرب والبعد من مبدأ الكمال ومنتهاه في سيرها الارتقائي وعودها إلى ما بدأت منها وهي



بعضها فوق بعض، وهذه شأن العلل الفاعلية بمعنى ما به ووسائط الفيض، فلبعض النفوس وهي النفوس التامة الكاملة كنفوس الأنبياء ﷺ وخاصة من هو في أرقى درجات الكمال والفعلية وساطة في زوال الهيئات الشقية الردية القسرية من نفوس الضعفاء، ومن دونهم من السعداء إذا لزمتهما قسراً، وهذه هي الشفاعة الخاصة بأصحاب الذنوب.

## بحث اجتماعي

الذي تعطيه أصول الاجتماع أنّ المجتمع الإنساني لا يقدر على حفظ حياته وإدامة وجوده إلا بقوانين موضوعة معتبرة بينهم، لها النظارة في حاله، والحكومة في أعمال الأفراد وشؤونهم، تنشأ عن فطرة المجتمع وغريزة الأفراد المجتمعين بحسب الشرائط الموجودة، فتسير بهدايتها جميع طبقات الاجتماع كل على حسب ما يلائم شأنه ويناسب موقعه فيسير المجتمع بذلك سيراً حثيثاً ويتولد بتألف أطرافه وتفاعل متفرقاته العدل الاجتماعي وهي موضوعة على مصالح ومنافع مادية يحتاج إليها ارتقاء الاجتماع المادي، وعلى كمالات معنوية كالأخلاق الحسنة الفاضلة التي يدعو إليها صلاح الاجتماع كالصدق في القول والوفاء بالعهد والنصح وغير ذلك.

وحيث كانت القوانين والأحكام وضعية غير حقيقية احتاجت إلى تنميم تأثيرها، بوضع أحكام مقررة أخرى في المجازاة لتكون هي الحافظة لحماها عن تعدي الأفراد المتهوّسين وتساهل آخرين، ولذلك كلما قويت حكومة أي حكومة كانت على إجراء مقررات الجزاء لم يتوقف المجتمع في سيره ولا ضل سائره عن طريقه ومقصده، وكلما ضعفت اشتدّ الهرج والمرج في داخله وانحرف عن مسيره فمن التعاليم اللازمة تثبيتها في الاجتماع تلقين أمر الجزاء، وإيجاد الإيمان به في نفوس الأفراد، ومن الواجب الاحتراز من أن يدخل في نفوسهم رجاء التخلص عن حكم الجزاء، وتبعة المخالفة والعصيان، بشفاعة أو رشوة أو بشيء من الحيل والوسائل المهلكة،



ولذلك نعموا على الديانة المسيحية ما وقع فيها أن المسيح فدى الناس في معاصيهم بصلبه، فالناس يتكلمون عليه في تخليصهم من يد القضاء يوم القيامة ويكون الدين إذ ذاك هادماً للإنسانية، مؤخراً للمدنية، راجعاً بالإنسان القهقري كما قيل.

وأن الإحصاء يدل من أن المتدينين أكثر كذباً وأبعد من العدل من غيرهم وليس ذلك إلا أنهم يتكلمون بحقيّة دينهم، وادخار الشفاعة في حقهم ليوم القيامة، فلا يباليون ما يعملون بخلاف غيرهم، فإنهم خلوا وغرائزهم وفطرتهم ولم يبطل حكمها بما بطل به في المتدينين فحكمت بقبح التخلف عما يخالف حكم الإنسانية والمدنية الفاضلة.

وبذلك عوّج جمع من الباحثين في تأويل ما ورد في خصوص الشفاعة في الإسلام وقد نطق به الكتاب وتواترت عليه السنة.

ولعمري لا الإسلام تثبت الشفاعة بالمعنى الذي فسّروها به، ولا الشفاعة التي تثبتها تؤثر الأثر الذي زعموه لها، فمن الواجب أن يحصل الباحث في المعارف الدينية وتطبيق ما شرّعه الإسلام على هيكل الاجتماع الصالح والمدنية الفاضلة تمام ما رامه الإسلام من الأصول والقوانين المنطبقة على الاجتماع كيفية ذلك التطبيق، ثم يحصل ما هي الشفاعة الموعودة وما هو محلها وموقعها بين المعارف التي جاء بها.

فيعلم أولاً: أن الذي يثبت القرآن من الشفاعة هو أن المؤمنين لا يخلدون في النار يوم القيامة بشرط أن يلاقوا ربهم بالإيمان المرضي والدين الحق فهو وعد وعده القرآن مشروطاً ثم نطق بأن الإيمان من حيث بقائه على خطر عظيم من جهة الذنوب ولا سيّما الكبائر ولا سيّما الإدمان منها والإمرار فيها، فهو على شفا جرف الهلاك الدائم، وبذلك يتحصّل رجاء النجاة وخوف الهلاك، ويسلك نفس المؤمن بين الخوف والرجاء فيعبد ربه رغبة ورهبة، ويسير في حياته سيراً معتدلاً غير منحرف لا إلى خمود القنوط ولا إلى كسل الوثوق.



وثانياً: أنّ الإسلام قد وضع من القوانين الاجتماعية من ماديّاتها ومعنوياتها ما يستوعب جميع الحركات والسكنات الفردية والاجتماعية، ثمّ اعتبر لكلّ مادّة من موادّها ما هو المناسب له من التبعة والجزاء من دية وحدّ وتعزير إلى أن ينتهي إلى تحريم مزايا الاجتماع واللوم والذمّ والتقبّيح، ثمّ تحفّظ على ذلك بعد تحكيم حكومة أولياء الأمر، بتسليط الكلّ على الكلّ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ثمّ أحيا ذلك بنفخ روح الدعوة الدينية المضمنة بالإنذار والتبشير بالعقاب والثواب في الآخرة، وبنى أساس تربيته بتلقين معارف المبدأ والمعاد على هذا الترتيب.

فهذا ما يرومه الإسلام بتعليمه، جاء به النبيّ ﷺ وصدّقه التجارب الواقع في عهده وعهد من يليه حتى أثبت به أيدي الولاة في السلطنة الأموية ومن شايعهم في استبدادهم ولعبهم بأحكام الدّين وإبطالهم الحدود والسياسات الدينية حتى آل الأمر إلى ما آل إليه اليوم وارتفعت أعلام الحرّية وظهرت المدنية الغربية ولم يبق من الدّين بين المسلمين إلا كصابة في إناء فهذا الضعف البيّن في سياسة الدّين وارتجاع المسلمين القهقري هو الموجب لتنزّلهم في الفضائل والفواضل وانحطاطهم في الأخلاق والآداب الشريفة وانغمارهم في الملاهي والشهوات وخوضهم في الفواحش والمنكرات، هو الذي أجرأهم على انتهاك كلّ حرمة واقتراف كلّ ما يستشنع حتى غير المنتحل بالدّين لا ما يتخيّله المعترض من استناد الفساد إلى بعض المعارف الدينية التي لا غاية لها وفيها إلا سعادة الإنسان في آجله وعاجله والله المعين، والإحصاء الذي ذكروها إنّما وقع على جمعية المتدينين وليس عليهم قيّم ولا حافظ قوي وعلى جمعية غير المنتحلين، والتعليم والتربية الاجتماعيان قيّمان عليهم حافظان لصلاحهم الاجتماعي فلا يفيد فيما أرادته شيئاً.

.نتابع في هذا الدرس - تكملة للدرس السابق- النموذج الكامل من تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي، وذلك تفسيراً للآية: ﴿يَبْنِي إِسْرَاءَ بِلْ أَدْكُرُوا نَعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ سورة البقرة - ٤٧ - ٤٨

وهنا يبحث العلامة الطباطبائي بحثاً روائياً وفلسفياً واجتماعياً.

أوردنا البحث الروائي في موضوع الشفاعة واختصرنا منه خوفاً من الإطالة. أما البحث الفلسفي: فيصل إلى نتيجة: أن البراهين قائمة على أن الكمال الوجودي مختلف بحسب مراتب الكمال والنقص. فلبعض النفوس وهي النفوس التامة الكاملة كنفوس الأنبياء ﷺ وخاصة من هوفي أرقى درجات الكمال والفعلية وساطة في زوال الهيئات الشقية من نفوس الضعفاء، وهذه هي الشفاعة الخاصة بأصحاب الذنوب.

.أما البحث الاجتماعي: ففيه: ضرورة وجود قوانين موضوعة للمجتمع الإنساني لحفظ وجوده، وهذه الضرورة تقتضيها فطرة المجتمع. والقوانين تحتاج إلى تتميم تأثيرها بوضع أحكام مقررة أخرى في المجازاة (قانون العقاب). وينبغي الاحتراز من التقلت من العقاب بشفاعة (بالمعنى السلبي) أو رشوة أو غير ذلك.

من هنا نعموا على المسيحية المنحرفة لأنها تؤمن بالشفاعة بالمعنى الخاطئ. أما الإسلام فالشفاعة التي يؤمن بها مشروطة بشروط لا تؤدي إلى التجرؤ على المعاصي. وفي الإسلام قانون كامل للعقوبات يدعمه بحكومة أولياء الأمر الشرعيين والإيمان بالعقاب والثواب الأخروي.

ولكن للأسف عندما تحكّم الأمويون ومن شاكلهم وعطلوا الحدود ووصل الأمر إلى أيامنا لم يبق من الدين إلا اسمه فشاعت المعاصي والانحرافات.